مشاهداتي في ديار الإسلام

الحبشة المسلمة

كتب مقدمته الامير شكيب ارسلان

تأليف

محمد تيسير ظبيان الكيلاني

منشئ جريدة الجزيرة

مشاهداتي في ديار الإسلام

الحبشة المسلمة

تأليف

محمد تيسير ظبيان الكيلاني

منشئ جريدة الجزيرة

كتب مقدمة الكتاب

الامير شكيب ارسلان

يطلب من ادارة جريدة الجزيرة (دمشق صندوق البريد ٣٣٤)
ومن مكتبة عرفه بدمشق وسائر المكاتب الشهيرة

دمشق عام ١٣٥٦ هـ - الموافق عام ١٩٣٧ م

محتويات الكتاب

تصحيح خطأ

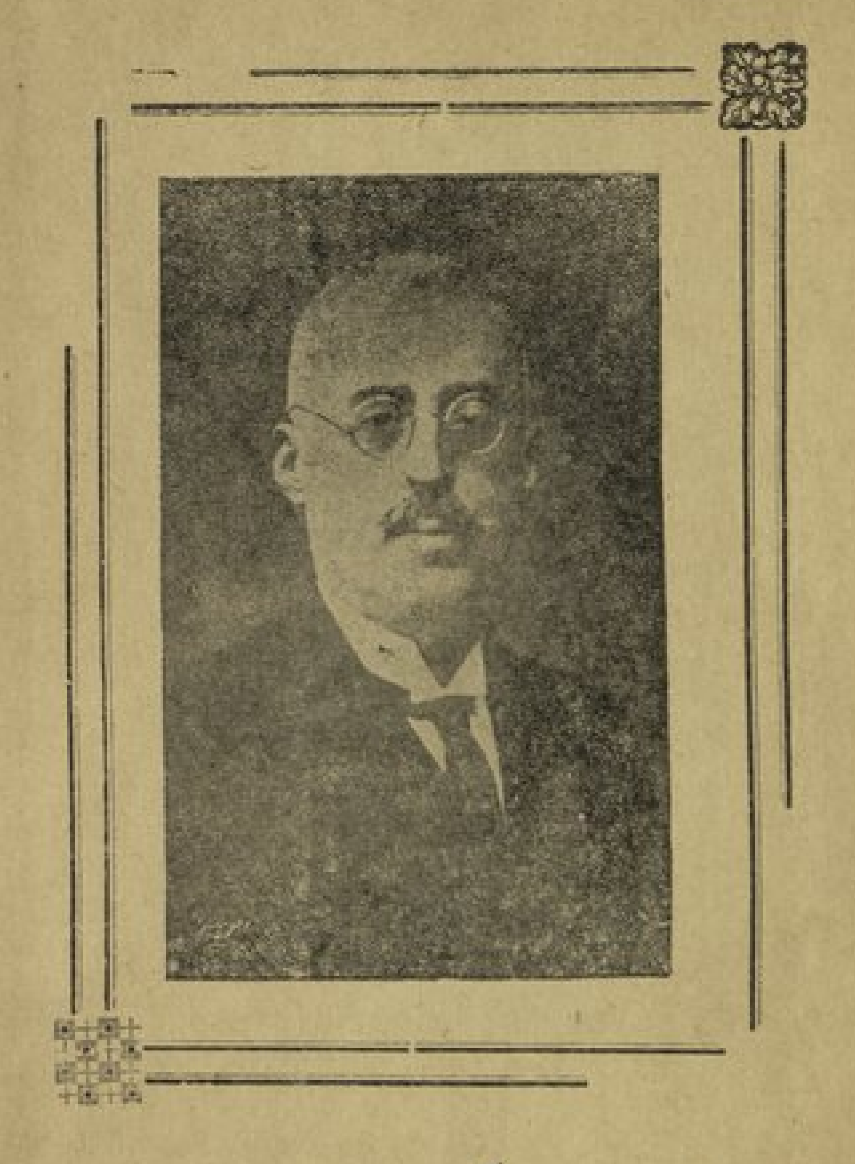
رغم ما بذل من العناية بتصحيح الكتاب فقد ظهرت اخطاء مطبعية فاحشة لانرى بدا من الاشارة الى بعضها نحو الوارقة صفحة ٣٢ وصوابها الوارفة التي صفحة ٣٤ وصوابها الذي وهدوء صفحة ٥٤ وصوابها هدوءاً وتنضيضهم صفحة ٨٣ وصوابها تعضيدهم والى جانبي صفحة ٨٥ وصوابها جانبي وستون صفحة ٨٨ وصوابها ستين والشهادة صفحة ٨٨ وصوابها الشهامة والسبيجا صفحة ٩٢ وصوابها البيجا واوحشوا صفحة ٩٦ وصوابها اوجسوا واغورادت صفحة ١٣٧ وصوابها اغوردات الى غير ذلك من الاغلاط التي يفطن لها القارىء اللبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة امير البيان

الامير شكيب ارسلان

ما كان لنا نحن المستضعفين في الارض ان نؤيد في الارض امة قوية على امة ضعيفة ولا ان نتمنى استيلاء شعب على شعب مهما بلغ هذا الشعب المستباح حماه من استحقاق العقاب . ان امة تشكو تسلط الاجنبي عليها لايحق لها ان تحلل هذا المبدأ عاماً وتحرمه عاماً ولهذا يوم شنت ايطاليا غارتها على مملكة الحبشة صرحنا بدون مواربة في مجلتنا « لاناسيون آراب » وفي مقالات متعددة لنا في الجرائد العربية اننا لانقدر ان نوافق على محو استقلال الحبشة بالغاً مابلغ السبب الذي يحدو ايطاليا الى وضع يدها عليها . ولم يكن يفرقنا عن سائر المعترضين على عمل ايطاليا هذا سوى ان هؤلاء كانوا يريدون حصر هذا الاستنكار في قضية الحبشة وحدها واننا نحن كنا نريد ان يشمل هذا الاستنكار جميع دول الاستعمار على السواء ليس بينها من هو ابن ست ومن هو ابن جارية . كانت الدعاية الانكليزية منبثة في جميع اقطار الشرق والغرب لاظهار ما في غارة ايطاليا هذه على الحبشة من الفظاعة والاخلال بسلم العالم والعبث بحقوق الامم ؟ ولكن ما كان اجدر المسلمين بان يخاطبوا الانكليز بقوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) فان تكن ايطاليا قد استولت على عشرة ملايين من اهل افريقية فان انكلترا قد اخنت على استقلال امم من اهل افريقيا واسيا قد يناهز عددها اربعمائة مليون آدمي . فكيف جاز لدولة هذا شأنها في الاستعمار ان تنسى نفسها وتتجاهل بعد شاوها في هذه السبيل المنكرة وان تستفز الشرقيين بخاصة للقيام على ايطاليا من



الامير شكيب ارسلان

صاحب مقدمة هذا الكتاب

اجل عمل لم يبلغ عشر معشار مااتت به انكلترا نفسها . وكيف جاز لانكلترا ان تتكلم في غصب امة لاملاك امة وهي تقتل عرب فلسطين في بيوتهم وامام نسائهم لانهم يأبون ان يتخلوا عن بلادهم لليهود الذين جاء الانكليز عليهم بها جادحين من سويق غيرهم فامة بلغ من استخفافها بحقوق الامم ان تحاول اقتلاع امة عربية تملك فلسطين من اربعة عشر قرنا لتؤسس فيها مملكة يهودية انكليزية لايحق لها ان تفتح فمها في قضية استيلاء ايطاليا على الحبشة التي كان مع ذلك الانكليز انفسهم قد اتفقوا مع الطليان على تقسيمها الى مناطق نفوذ فيما بينهم قبل غارة ايطاليا على الحبشة بعدة سنوات . فما اشد رثاء دولة تعقد المعاهدات السرية على تقسيم مملكة مستقلة ثم تعود فتقيم الارض وتقعدها بحجة المحافظة على استقلال تلك المملكة نفسها ! . . كلا ليس لانكلترا ام الاستعمار في الدنيا وسيدة من هضم حقوق الامم الحرة وغصب املاكهم ان تنبس ببنت شفة في موضوع استقلال الحبشة . لقد نسيت انكلترا ونسي اولئك المسلمون الغافلون الذين تأثروا بدعايتها ماذا صنع الاحباش بالمسلمين الذين في بلادهم والبلدان المجاورة لهم من الافاعيل التي تفوق وصف الواصفين وما ساموهم من سوء العذاب من قرون متطاولة وما استعبدوا من ذراريهم وما غصبوا من اراضيهم وكيف اكرهوا مئات الوف منهم على التنصر وكيف كانت للاسلام في ديار الحبشة سبع امارات مستقلة (اقرأ تفصيل هذه الممالك في المعلمة الاسلامية المسماة بصبح الاعشى للقلقشندي) فازالوا استقلالها ظلما وعدوانا وخضعوها لسلطانهم وجعلوا اهلها عبيدا بعد ان كانوا سادة اعزة في ديارهم انه والله ليحار الانسان كيف يعطف اناس من المسلمين على الاحباش بعد اعمالهم هذه باخوانهم الذين ان لم يكونوا ينتصرون لهم لاجل الاسلامية فلينتصروا لهم بالاقل لاجل الانسانية التي هي رابطة عامة لايقدر احد ان يبرأ منها

يقول بعضهم انهم انما عطفوا على الحبشة لكونها مملكة قديمة مستقلة جاء الطليان فاعتدوا عليها وانها دولة ضعيفة بازاء دولة قوية كما لايخفى ومن طبيعة الرجل الكريم ان يعطف على الضعيف الذي يقع في يد القوي . كل هذا في حد ذاته صحيح لولا انه جاء من جهة واحدة ... فيا ايها المسلمون الذين اكبروا اخناء ايطالية على استقلال

الحبشة افلا تذكرتم اختناء هذه الحبشة نفسها على استقلال سبع ممالك اسلامية اخرها سلطنة « جمة جفار » التي استلحقها النجاشي طفري هذا من سنتين خلافا لكل حق ولكل عهد والتي كانت ارقى من الحبشة بكثير فاعاد الاحابيش عمدانهـا خرابا واطلقوا على هذه السلطنة « جما هيلا سلاسي » ومعناها « قوة الثالوث الاقدس » افلا تذكرتم سلطنة هرر الاسلامية الصومالية التي اغار عليها منليك النجاشي السابق ونسف استقلالها واستلحقها وذبح من اهلها خمسة الاف رجل في شوارع هرر وضبط املاك كثير من المسلمين واستولى على اوقافهم وجعل مسجدهم الاعظم كنيسة ومنع استعمال اللغة العربية في هرر التي كانت من اعظم كراسي الاسلام والعروبة ثم في اثناء الحرب العامة عاد طفري هذا فحمل على اهالي هرر بتهمة ميلهم الى لياسو حفيد منليك وذبح منهم عددا عظيما . وهلا تذكرتم ان مسلمي الحبشة هم نصف سكان تلك المملكة بل يزيدون وانهم مع ذلك محرومون كل حق في مناصب الدولة وانه يوجد في الحبشة عشرات الوف من العبيد اكثرهم مسلمون والباقي منهم وثنيون وان النجاشي طفري نفسه كان عنده الف عبد من هؤلاء ؟ افلا تذكرتم كيف اصدر النجاشي يوحانس سنة ١٨٨٢ امرا جازما بتنصير جميع مسلمي الحبشة بلا استثناء او يرحلوا عن البلاد فتنصر منهم مئات الوف ورحل مئات الوف (راجعوا الانسيكلوبيدية الاسلامية المشهورة) وخربت مدن اسلامية بتمامها ولم ترجع الحبشة عن تنفيذ امرها هذا الا بعد ان انتقم دراويش السودان لمسلمي الحبشة وزحفوا صوب هذه المملكة وتلاقوا مع النجاشي يوحانس وقتلوه وبعد ذلك رجع المسلمون المتنصرون الى الاسلام الا قليلا منهم لبثوا نصارى حرصا على وظائف كانوا قلدوهم اياها

ان كان بعض اخواننا المسلمين يجهلون حقائق احوال الحبشة فعليهم ان يطالعوا التواريخ العربية والاوربية المتعلقة بتلك المملكة وتوابعها وبعد ذلك يحكمون حكمهم في الموضوع او يستطلعون طلع هذه الاحوال بمراجعة مسلمي الحبشة انفسهم الذين عندنا منهم مايقارب مجلدا من الكتب والتقارير عن احوالهم السيئة والمظالم الواقعة عليهم مما اشرنا الى بعضه في « حاضر العالم الاسلامي » منذ اثنتي عشرة سنة

وقد نشر المؤرخ المصري المشهور الاستاذ يوسف احمد في السنة الماضية كتابا اسمه

« الاسلام في الحبشة » جلى فيه حقائق احوال مسلمي تلك المملكة وماهم فيه من عناء لا يوصف مع الاحباش ولكنه نقل هذه المعلومات عن الكتب العربية والاوربية التي هي متفقة فيها بالجملة

الا انه نهض اخيرا الوطني الفاضل الكاتب البارع السيد تيسير ظبيان الكيلاني الدمشقي فقصد الى بلاد الحبشة بنفسه وجول فيها وشافه المفكرين والعلماء ومختلف الطبقات من مسلميها فعرف عن احوالهم مايطابق مانعلمه نحن من الكتب المؤلفة والمكاتيب الخصوصية وقد اودع معلوماته هذه كتابه هذا الذي طبعنا فيه كلمتنا هذه وخير مانوصي به بشأن هذا الكتاب هو حث الناس على قراءته اذ بذلك يأخذون صورة صحيحة عن الاسلام في الحبشة ويثنون على مؤلفه خير الثناء بما نصح للاسلام واهله وخدم العروبة وابناءها

في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦ — كتبه شكيب ارسلان



كلمة المؤلف

ولعت منذ نعومة اظفاري بحب الاسفار والتغرب عن الديار . وما ان شببت عن الطوق حتى كانت الحرب الكونية قد اندلعت نارها واستعر اوارها فلم تتفتح عيناي الا على نيران تشب وعواصف تهب ، وارواح تزهق واجسام بضة ناعمة ترهق؛ ونفوس بريئة تتطاير الى السماء تشكو الى بارئها ظلم الانسان وعدوان البشرية

يالها من مناظر بشعة ومآس دامية كلما ذكرتها ارتعدت فرائصي خوفا وهلعا وتمزق قلبي حزنا وجزعا ...

وفي تلك الايام الداجية والظلمات الساجية تحركت في نفسي اول رغبة للسفر فغادرت مسقط رأسي دمشق الى بيت المقدس لاجل ارتشاف مناهل العلم واستكمال مايلزمني من المعارف ، وقد اسعدني الحظ حينئذ بالانتظام في « الكلية الصلاحية » التي كان لها الفضل الاوفى في تهذيب عواطفي وتنمية مشاعري وطبعي بطابع اسلامي مجيد ، وتعريفي على شيء جديد اسمه (العالم الاسلامي) . فكنت اشعر في قرارة نفسي بان من اقصى واجباتي الدينية والدنيوية ان انبسط في معرفة هذا الشيء الجديد وان اقف على جميع مايتعلق به من المعلومات والبيانات

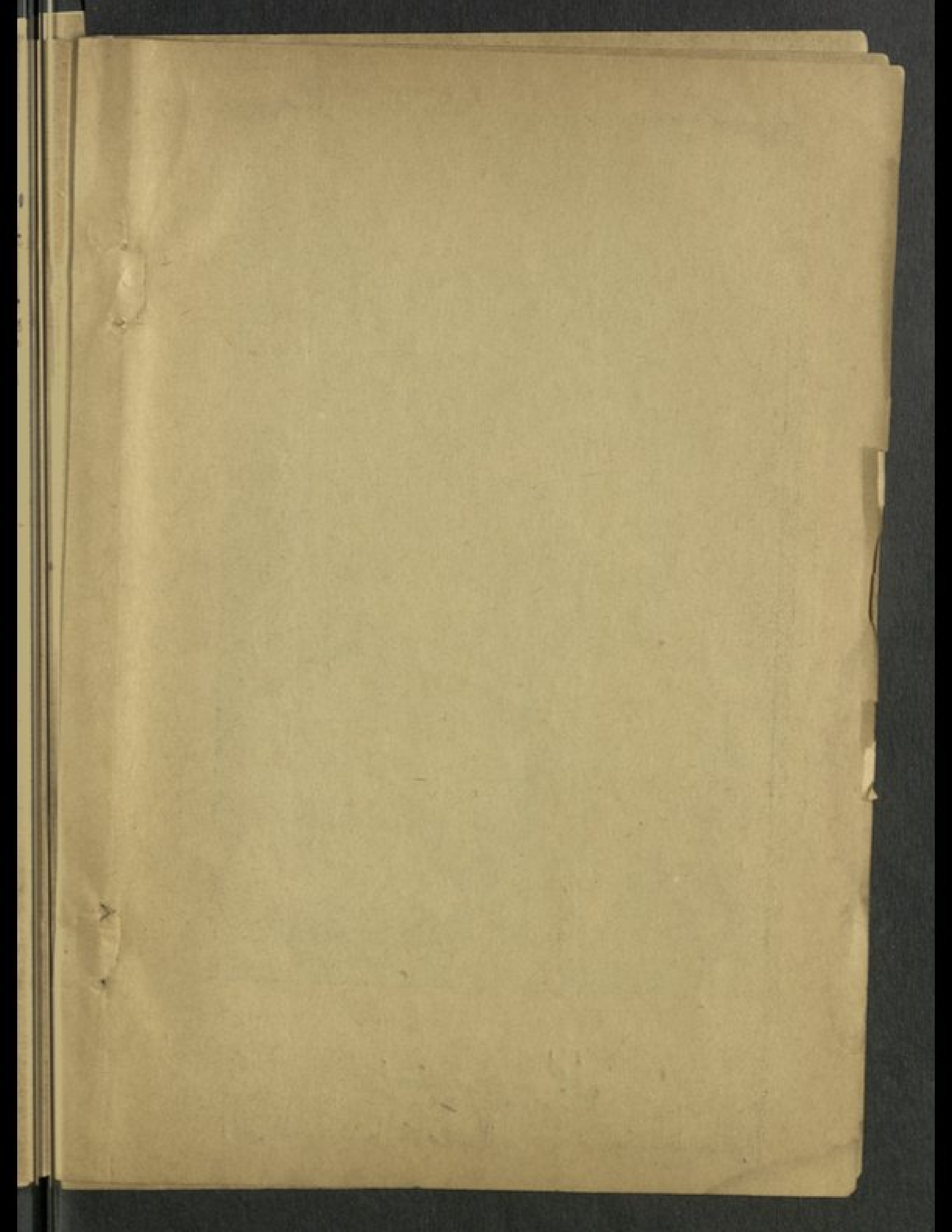
ثم اخذت هذه الرغبة تزداد وتتضاعف كلما تقدم بي الزمان حتى اذا وضعت الحرب اوزارها وبسم الدهر لبلادي عاما وبعض عام ماعتم ان قلب لها ظهر المجن وناصبها العداء فهجرتها عقب الاحتلال وفي القلب مافيه من حسرة لاذعة ولوعة كامنة

ومازالت تطوح بي طوائح الزمن من عبر الاردن الى فلسطين ومن فلسطين الى مصر حتى القيت عصا تسياري في ارض الكنانة ولبثت ارمق الفرصة السانحة للعودة الى بلادي



السنيور موسوليني

رئيس الحكومة الايطالية وصاحب التصريحات المدرجة في هذا الكتاب



الاسلام والبشرية المعذبة

ولما زالت العقبات التي كانت قائمة في هذا السبيل عدت الى الوطن العزيز وانا مزود بطائفة من المعلومات والاختبارات التي افدتها في وحدات الجيش (١) ومقاعد التدريس واوساط الصحافة ، ومشبع بنظريات وافكار خالدة امتزجت بعقلي ونفسي ودمي امتزاج الماء بالراح ويمكنني تلخيصها فيما يلي : —

١ — ان ماتسعى اليه الاوساط الاوربية الراقية من ايجاد رابطة قوية للامم والشعوب تقضي على الاختلافات والمنازعات والتباين في العقائد والبيئات وتؤلف منها وحدة كاملة لاانفصام لها قد كفله الدين الاسلامي الذي يؤلف من جميع الامم والاقوام المنتمية اليه والمنضوية تحت لوائه امة واحدة متحدة في اهوائها ومنازعها وثقافاتها ونواحي تفكيرها

٢ — ان الاسلام هو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية مما تعانيه من محن واوصاب وما تجابهه من مشاكل ومتاعب فهو ينطوي على اسمى ماجاءت به الاديان السماوية والقرائح البشرية : من نظم سياسية ومبادئ اخلاقية واجتماعية وقوانين مدنية وقواعد تشريعية ونظريات اقتصادية

٣ — لاعبرة بما يسود المسلمين في هذا العصر من انحطاط وجهل وتخاذل فالاسلام الحالي يختلف اختلافا كبيرا عن الاسلام الحقيقي الذي جاء به افضل العرب والعجم ، وانما اصاب المسلمين مااصابهم بسبب تقاعسهم عن التمسك باهداب الدين الحنيف والشريعة المطهرة ، وهم لم يبلغوا في العصور الغابرة مابلغوه من شوكة وعز وسؤدد الا بفضل اعتصامهم بدينهم وتنفيذهم لمبادئه وتعاليمه

---

(١) لما كان مؤلف هذا الكتاب يحمل شهادة المدرسة الحربية من دمشق فقد عين ضابطا في الجيش العربي بشرق الاردن ثم انتقل بعد ذلك الى التدريس في مدارس فلسطين وشرق الاردن الرسمية ثم انصرف الى الصحافة اثر شخوصه الى مصر

٤ — مع الاعتراف بان الاسلام دين المساواة فهو لا يميز عربيا على عجمي الا بالتقوى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فقد كان للعرب الشرف العظيم في حمل الرسالة ونشر مبادىء الاسلام وتأسيس ذلك المجد المؤثل والحضارة الوارفة

ولست بصدد تعليل الأسباب والعوامل التي هيأت العرب للاضطلاع بهذا العبء او القيام بتلك المهمة — ولكن اقول ان تألق ذلك النور العظيم في تلك البقعة الغالية من الوطن العربي المعروفة بالجزيرة جعلني أهيم بحبها واستميت في سبيل خدمتها، وعلى ذلك فما كدت اعود الى دمشق بعد تلك الغربه الشاقة حتى عقدت النية على اصدار جريدة باسم « الجزيرة » اقفها على خدمة العروبة والاسلام

وقد بادرت حالا الى تنفيذ هذه الفكرة رغم ما اعترضني من مشاق ومتاعب ونفقات وفي تلك الاثناء كنت اعكف على تلاوة سفر جليل صدر باللغة الانكليزية وترجم الى العربية واعنى به (حاضر العالم الاسلامي) (١) فكان للروح الطيب الذي افرغ فيه ذلك الكتاب والمعلومات القيمة التي ينطوي عليها والبيانات الوافية المدرجة فيه عن حالة المسلمين في هذه الايام خير حافز لي على ارتياد الممالك الاسلامية والاتصال بابنائها والوقوف على احوالهم وشؤونهم

فبدات بزيارة العراق قبل ثلاثة اعوام ثم تشرفت في العام الفائت بزيارة ارض الاباء والاجداد (الحجاز) واديت مع لفيف من اخواني الصحافيين فريضة الحج

الحافز الاول ...

وفي تلك الاثناء كانت الحرب الايطالية الحبشية حامية الوطيس فاجتمعنا ونحن في الديار الحجازية بنفر من ابناء الحبشة والارتيريا والصومال المسلمين الذين اقبلوا لاداء

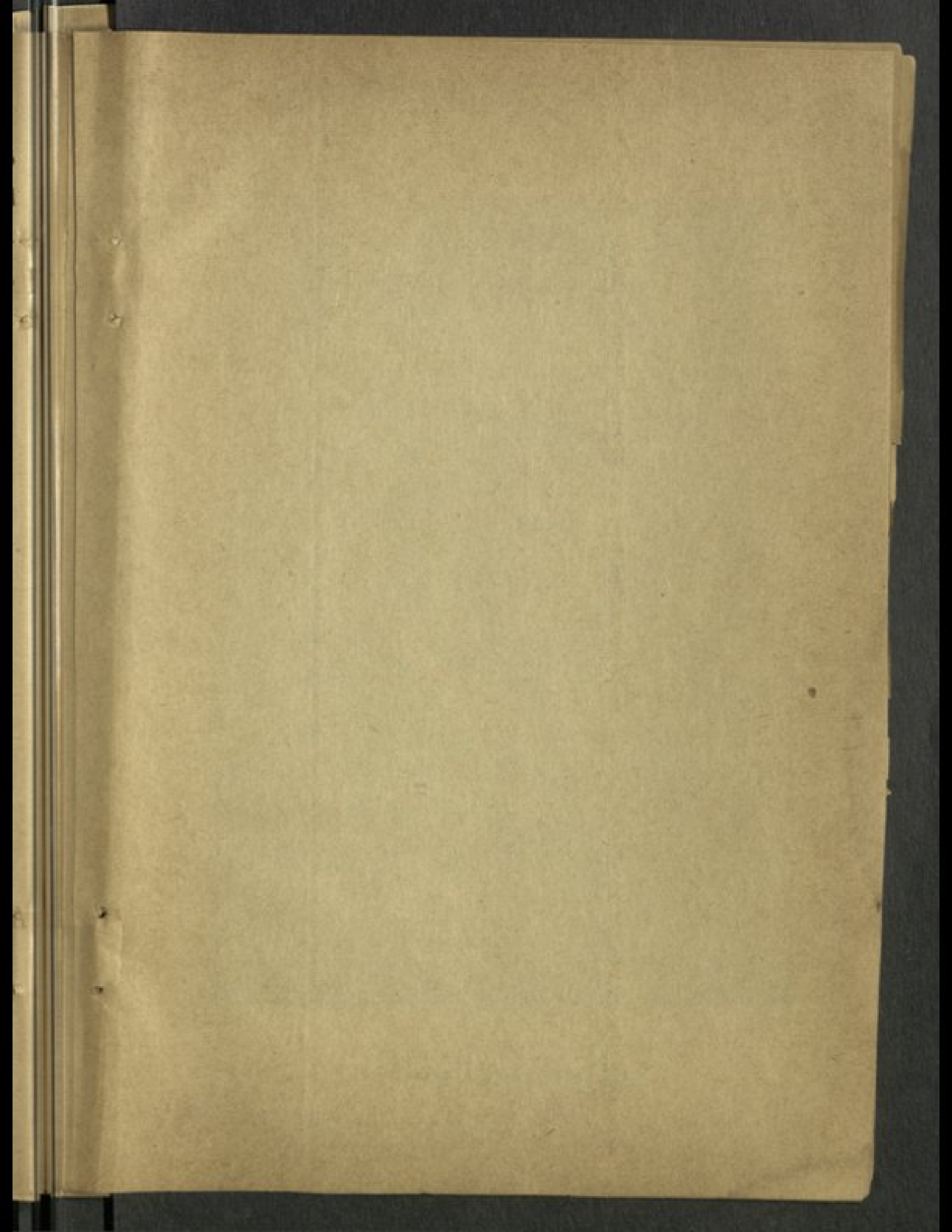
---

(١) الف هذا الكتاب بالانكليزية العالم الاميريكي (استوردارد) ونقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض وقد اضيفت اليه معلومات وبيانات هامة بقلم الامير شكيب ارسلان، ويعتبر هذا الكتاب من انفس الكتب التي ظهرت في هذا العصر وقد طبع عدة مرات



المارشال غراسيانى

نائب الملك في الحبشة وصاحب التصريحات المدرجة في هذا الكتاب



فريضة الحج فحدثونا حديثا طويلا عن احوال بلادهم وما يلقاه المسلمون في الحبشة من المظالم والاضطهادات وكانت اقوالهم مؤيدة تماما للمقالات التي كان ينشرها في ذلك الحين عطوفة امير البيان الامير شكيب ارسلان والتي كان يصف فيها حالة اولئك المساكين وصفا مثيرا ويستفز شعور المسلمين عامة والعرب خاصة للحدب على اخوانهم وابناء ملتهم والمطالبة برفع الجور والظلم عنهم

هنالك تقدم مني احد الزملاء وقال ما رايك في رحلة الى الحبشة نزور فيها منطقة الحرب وندرس حالة اخواننا المسلمين في تلك الديار لاسيما ونحن على بعد بضع عشر ساعة من الشاطيء الحبشي

قلت : انها فرصة سانحة يجب اهتبالها . ولكن لما كانت زيارتنا لساحة الحرب تستدعي مرورنا من بعض المناطق الايطالية فقد قمت (بعد الاتفاق مع الزميل المذكور) بزيارة القنصلية الايطالية بجدة للحصول على الاذن اللازم ولكن كان جواب القنصل لنا بانه يأسف لعدم تمكنه من تلبية طلبنا لان ذلك ليس من خصائصه واشار علينا بمراجعة الجهات المختصة في مصر او جيبوتي.

اما الزميل فلاسباب لا اعرفها عدل عن تلك الرحلة واما انا فما كدت اغادر الحجاز حتى اخذت اتذرع بالاسباب المتنوعة لتحقيق امنيتي ، فتوجهت الى جيبوتي وهناك افرغت جهودا جبارة حتى تمكنت من التأشير على الجواز ودخلت بلاد الحبشة كما سيأتي

وقد اتيح لي بهذه المناسبة زيارة الصومال الافرنسي والاريتريا واليمن وعدن

الامانة في النقل

اذا كلفت مصوراً خاصاً بالتقاط صور شمسية لمناظر احدى المدن مثلا فالواجب عليه ان يتوخى الامانة في اختيار تلك الصور بحيث لايقتصر على مناظر الشوارع الكبيرة والقصور الفخمة والحدائق الغناء بل عليه ان يلتقط ايضا مناظر الازقة الضيقة والاكواخ المتهدمة والاطلال البالية وانا في مذكراتي التي كتبتها عن رحلة الحبشة وعن مشاهداتي

في ديار الاسلام كنت اقوم بمهمة المصور الامين فاسعى لاعطاء القاريء صورا عن الحقائق التي قدتبدو متناقضة في بعض الاحيان ، وانا غيرمسؤول عمايبدو من التناقض والتباين في تلك الصور لانني اخذتها على علاتها وعلى القاريء اللبيب ان يمحص الحقائق ويميز الغث من السمين .

ان اكثر المعلومات المدرجة في هذا الكتاب (عن مسلمي الحبشة) مستقاة من مصادر معلومة الممت اليها ونوهت بها وافصحت عن نزعاتها وانا أؤكد بانني تعمدت كثيرا طرح جانب غير يسير من المبالغات والروايات الغريبه التي كنت اسمعها وقد كون قد ظلمت الحقيقة والتاريخ في عملي هذا ولكنني في الوقت نفسه راعيت بعض الاعتبارات السياسية حتى لاتحمل تلك الروايات على غير محملها

يناهضون الاستعمار ويؤيدون العبودية

هنالك طائفة من الناس لايرضيها هذا الكتاب لانها لا تنظر الى ابعد من انوفهـا ولا تودان تجتلي الحقائق فهي تأبى الا التمادي في الضلال والاسترسال في الاوهام ،هذه الطائفة التي يتبجح افرادها بالعاطفة الانسانية ويتغنون بالفاظ الحرية والسيادة القومية والاستقلال ترتكب اعظم وزر بسكوتها عن الاعمال الوحشية التي كانت ترتكب في عهد الحكومات الحبشية والتي كانت ترمي لابادة ٦ ملايين من المسلمين عن طريق الاسترقاق والاستعباد والتنصير والتعذيب ، فاين الانسانية واين المروءة واين الشرف ؟؟

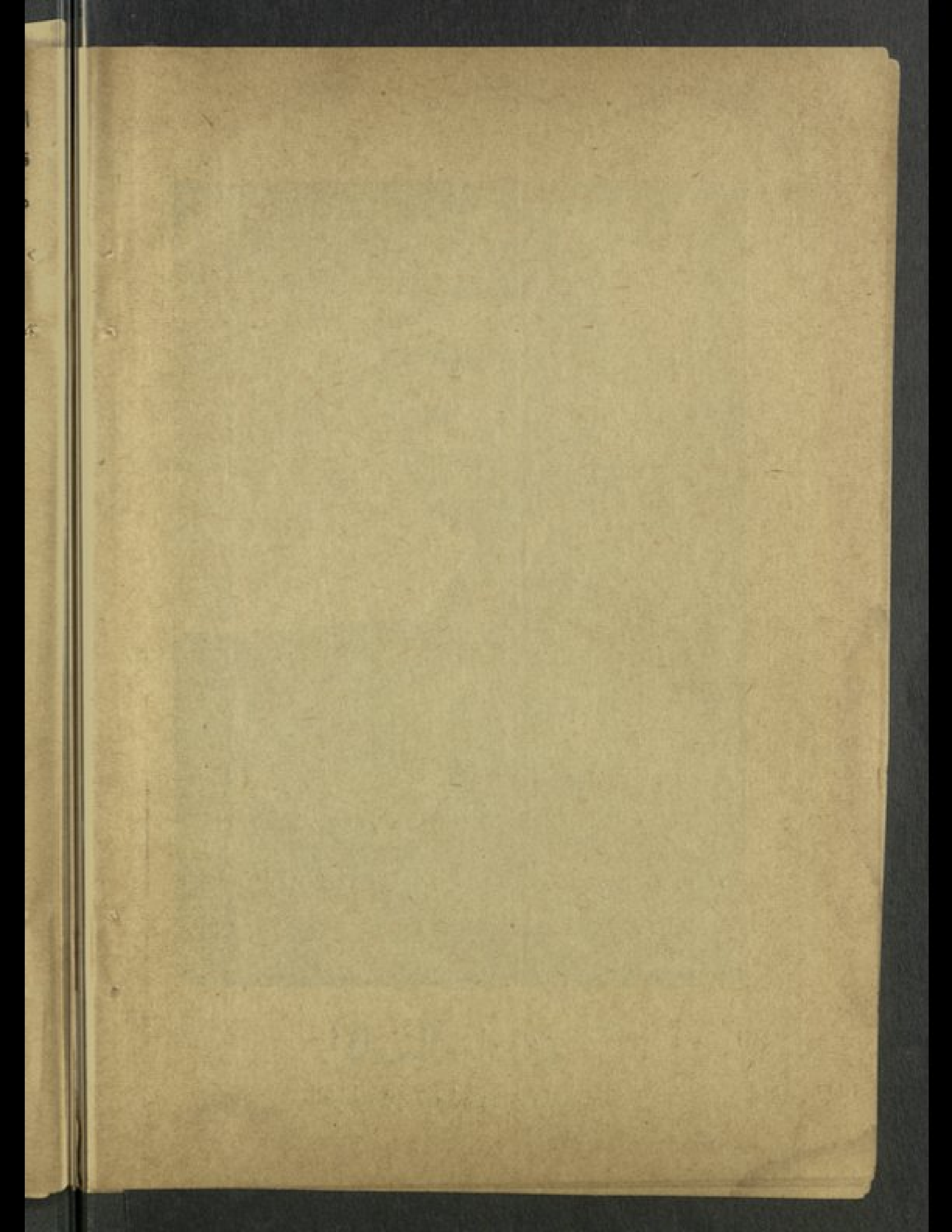
وهذه الطائفة نفسها كانت تخدم المصالح الاستعمارية من حيث تشعر (اولا تشعر) باثارتها تلك العاصفة الهوجاء اثناء الحرب الحبشية الاخيرة ونحن وان كنا نشاطرهـا رأيها باستنكار جميع الوان الاستعمار مهما كانت مبرراته واسبابه ولكننا نأسف جدا لان صوتا واحدا لم يرتفع من جوانب العالم الاسلامي للاحتجاج على ماهو افدح من الاستعمار واشد وطأة من الاحتلال غير صوت الامير شكيب

فاذا جاء هذا الكتاب مصداقا لاقوال الامير ومؤيدا للبيانات التي بسطها والمعلومات



المارشال بادوليو

قائد الجيوش الايطالية في الحرب الحبشية



التي نشرها فانما هي الحقائق الراهنة لاتبقى في طي الكتمان مهما طال عليها الزمان ، وكما قال جبران خليل جبران : « ان الذئاب تفترس النعجة في ظلمة الليل ولكن آثار دمائها تبقى على حصباء الوادي الى ان يذهب الظلام ويطلع الفجر »

ورحم الله طرفة بن العبد حيث يقول :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

اهتمامي بشؤون اخواني المسلمين

على ان مهمتي في هذه الرحلات التي قمت بها حتى الان والتي ساقوم بها في المستقبل ان شاء الله في الديار الاسلامية لاتقتصر على الناحية الدرسية والاستطلاعية فحسب بل اشهد الله على انني لم ولن ادع فرصة استطيع بها خدمة اخواني المسلمين ورفع الحيف عنهم واصلاح شؤونهم فاتقاعس عن اهتبالها وسيتحقق القراء من صدق هذا القول حينما يطالعون هذا الكتاب ويتتبعون الجهود والمساعي التي بذلتها لدى رجال الحكومة الايطالية في الحبشة بل لدى سعادة المارشال غراسياني نفسه نائب الملك وحاكم الحبشة العام في سبيل ايصال مطاليب اخواني المسلمين اليه وبسط وجهة نظرهم وقد اثمرت هذه المساعي والجهود بعض الثمرات كما فهمت مؤخراً .

تصريحات خطيرة للسنيور موسوليني

وحسبي في هذا المقام ان اعزز هذا الادعاء بالاسئلة الخطيرة الصريحة التي وجهتها الى فخامة السنيور موسوليني رئيس الحكومة الايطالية اثناء الرحلة التي قام بها في ليبيا هذا العام للاستفسار عن بعض المسائل التي لها علاقة بسياسة ايطاليا العليا في البلاد الاسلامية وقد حاول بعض الموظفين والصحافيين التأثير علي واقناعي بوجوب سحبها حتى ان المترجم الذي كان يتولى الترجمة بيني وبين الزعيم الايطالي (الدوتشي) في آخر مقابلة جرت بيننا في طرابلس الغرب حاول ابي ان ينقل كلماتي بتمامها الى الزعيم لانها شديدة على زعمه فاضطررت ان

اخاطبه مباشرة بالانكليزية واذكره بالاسئلة المذكورة وكوني انتظر اجوبته ولكن فخامته لم يجد في تلك الاسئلة التي توخيت فيها معرفة الحقائق والاطمئنان على مستقبل اخواني المسلمين في اليمن وفي المستعمرات الايطالية مايدعو الى التخوف والقلق فاجاب عنها بصراحة تامة وقد اذاعتها شركات البرق العالمية ونشرتها امهات الصحف الاوروبية والامريكية والشرقية .

وهذه خلاصة التصريحات التي افضى الي بها الزعيم الايطالي بها :

سؤال عن ليبيا

المؤلف — هل ينتظر ان تصدروا عفواً عاما عن المبعدين والمحكومين السياسيين بمناسبة زيارتكم لهذه البلاد ؟

الزعيم — باستطاعتي ان اعلن لكم بانني ساعطي الاوامر قريباً كي يتمكن المبعدون السياسيون من العودة بكل اطمئنان .

وازيدكم علماً بان املاك هؤلاء النازحين المحجوزة ستعاد اليهم .

اما فيما يختص بالاملاك التي تمت مصادرتها سابقاً وضمت الى البلديات فسيتمتع الاهلون بمنافعها .

وفوق ذلك فانني اخبركم بانه في السنوات الثلاث الاخيرة عاد معظم المبعدين الى بلادهم .

سؤال عن اليمن

المؤلف — تذاع من حين لاخر اشاعات مختلفة عن مطامع ايطاليا في بلاد اليمن فما نصيب هذه الشائعات من الصحة ؟

الزعيم — انني ادهش كثيراً حينما يعزى لايطاليا اطماع في بلاد اليمن التي ترتبط بها معاهدة ودية ونحن نحترم استقلال اليمن ونحرص على كيانها وهذا شأننا مع الحكومات الاخرى في بلاد العرب .

وارجوكم ان تذيعوا في اليمن وسائر البلاد الاسلامية بياناتي هذه التي لا انحرف عنها

سؤال عن الحبشة

المؤلف — عند مازرت بلاد الحبشة في هذا العام اخبرني المارشال غراسياني بان الحكومة ستعمل على انهاض مسلمي تلك البلاد فما هي المشروعات التي قامت بها حكومتكم حتى الان في هذا السبيل ؟

الزعيم — لقد منحنا المسلمين في الحبشة الحرية الدينية الكاملة واعتبرت اللغة العربية لغة رسمية وانشئت عدة مساجد والرؤساء غير المسلمين في المناطق التي يكثر فيها سواء المسلمين استبدلوا بغيرهم .

وقد اعرب لنا زعماء المسلمين في مختلف المناسبات عن سرورهم التام لهذه التدابير كما اظهروا ارتياحهم للسياسة التي تسير عليها الحكومة الايطالية في بلاد الحبشة .

الكلمة الاخيرة

وكلمتي الاخيرة التي اود ان اختم بها هذه المقدمة هي انني ارجو ان لايعتبر نشري لتصريحات السنيور موسوليني او المارشال غراسياني او غيرهما من الرجال الايطاليين او الموالين للحكومة الايطالية موافقة على جميع ماورد فيها وتأييداً للسياسة الايطالية في بلاد الاسلام وانما اردت ان اثبتها في هذا الكتاب على علاتها خدمة للحقيقة والتاريخ وتدليلا على انني كنت في جميع المناسبات اضع مصلحة الاسلام والعروبة فوق جميع الاعتبارات .

وليس من شأني ان انصب نفسي رقيباً على اعمال حكومة كبرى كالحكومة الايطالية واتتبع حركاتها وسكناتها واحصي عليها انفاسها فهذا شأن زعماء النهضة الاسلامية الذين تقضي عليهم مهمتهم ان يراقبوا اعمال المستعمرين بعناية دائمة ويسهروا على مصلحة ابناء ملتهم ويتذرعوا بالوسائل اللازمة لتخفيف آلامهم واصلاح شؤونهم .

واما انا فما خرجت عن كوني صحافياً عربياً مسلماً قد اديت الامانة على قدر ماتسمح

به قوتي وحالتي :

« لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »

محمد تيسير ظبيان الكيلاني

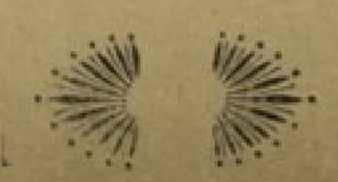
دمشق منشيء جريدة الجزيرة

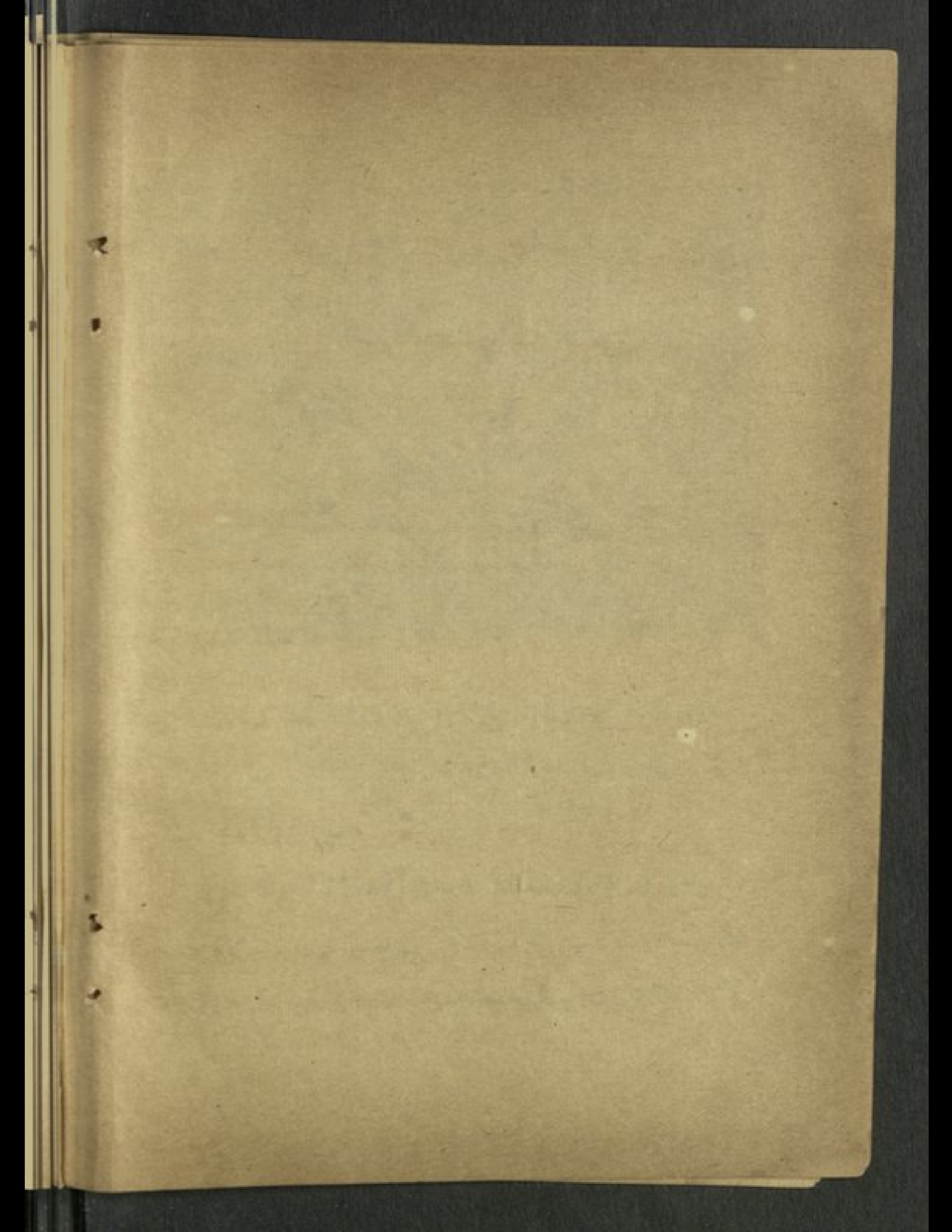
ملحوظة — هذه هي الحلقة الاولى من الرحلات التي قام بها منشيء الجزيرة في ديار العالم الاسلامي وستصدر بقية الحلقات قريبا عن اليمن والحجاز وطرابلس الغرب وتونس وغيرها



التقطت هذه الصورة في منزل المؤلف على أثر عودته من رحلته في البحر الاحمر واداء فريضة الحج وقد احاط به اقرباؤه واصدقاؤه وأبناء حية .

وقد ظهر المؤلف في الوسط (الصف الاول) وعلى يمينه والده فالاستاذ عزة السعدي المحامي وعلى يساره علامة الشام الاستاذ الشيخ بهجت البيطار فالمجاهد الكبير الشيخ محمد الاشمر .





على الباخرة سفنكس

من بور سعيد الى جيبوتى

في الساعة الثانية عشرة « زوالية » من صباح الاربعاء الواقع في ٢٩ صفر عام ١٣٥٥ هجرية وفق (٢٠) مايو من سنة ١٩٣٦ ميلادية اقلعت بنا الباخرة الافرنسية « سفنكس » من بور سعيد ، وكان الجو رائقا والطقس معتدلا والنسيم العليل يهب علينا من حين لآخر فيحمل الينا طراوة البحر الابيض المتوسط .

واخترقت الباخرة القنال واخذت تهادى في سيرها تهادي الغادة الهيفاء وكانت تتراءى لنا على اليمين « البر الافريقي » منشآت شركة القنال وحدائقها الغناء ، أما البر الاسيوي « وهو الضفة اليسرى » فقد كان اجرد قاحلا الا من كثبان الرمل .

ولقد كان جميلا جدا منظر القطار الحديدي الذاهب الى القاهرة فقد سار محاذيا لنا فكنا نرى ركابه ويروننا كأننا في صعيد واحد . بيد انه كان يسير بسرعة خارقة فما عتم ان توارى عن انظارنا .

ومن المناظر التي تأخذ بمجامع القلوب وتسحر النفوس منظر مدينة الاسماعيلية وحدائقها البهية ومصايفها الرائعة الواقعة على فرضة القنال وشاطيء تلك البحيرة الصغيرة . وكان مئات من السيدات والشبان « وجلهن من الاجانب » يمرحون ويسرحون ويستحمون في المياه فما ان شاهدوا

الباخرة حتى اخذوا يلوحون بمناديلهم على سبيل التحية والوداع .

وقد ارخى علينا الليل سدوله ونحن لانزال في القنال حتى اذا انتصفت الساعة العاشرة اخذت اشعر بالنعاس فقمت الى غرفتي واستسلمت للكرى ولم استيقظ الا حوالي الساعة السادسة صباحا فصعدت الى سطح الباخرة فرأيت على يميننا ويسارنا سلاسل من الجبال السوداء فعلمت باننا اصبحنا في خليج السويس .

موقف يلفت الانظار

كان ركاب الباخرة قليلين جدا لايتجاوزون الاربعين او الخمسين (في جميع الدرجات) وكان اغلبهم من الافرنسيين المسافرين الى الهند الصينية ولم اجد شخصا واحدا استطيع التحدث اليه والتفاهم معه فاخذت اشعر بالسآمة والملل ولا سيما في غرفة الطعام ولا تنس ان تناول الطعام عند الاوربيين يستغرق مدة طويلة ، وانتظم الركاب حلقات حلقات حول الموائد وجلست لوحدي على مائدة منفردة ، وقد وجدت صعوبة فائقة في التفاهم مع الغلام « الكارسون » على احضار بعض الاطعمة لان لهم اصطلاحات غريبة لانعرفها ، وقد اضطررت ان اجتنب تناول اللحوم على انواعها والاكتفاء بالخضر والفواكه حذرا من ان يحوي بعضها على لحم الخنزير الذي تمجه نفسي وتعافه ليس من الناحية الدينية فقط بل والصحية ايضاً .

وكان مظهري هذا يلفت انظار الركاب جميعاً ، فكلهم يأكلون بشراهة مختلف الالوان والاطعمة وانا اكتفي بطعام واحد لايزيد عن طبق من الخضر وآخر من الفواكه ،وكلهم يحتسون كؤوس النبيذ ومختلف المشروبات الروحية « عوضاً عن الماء » وانا لا أتناول سوى الماء القراح ، وكلهم يتمتعون بالأحاديث الشهية ويقتلون الوقت بالمداعبة والسمر والمزاح وانا

مطرق الرأس واجم لا انبس ببنت شفة ولا احير جوابا .....

وقد اثار مظهري هذا فضول احد الركاب فما كدنا ننتهي من تناول الطعام حتى لحق بي وخاطبني بالافرنسية قائلا :

— بونجور مسيو

— بونجور مسيو

ثم انطلق في الكلام واخذ يسألني عن وطني ووجهة سفري فاجبته بالعربية قائلا انني من دمشق .

فقال انني اعرف بعض كلمات عربية تعلمتها في تونس.

وعلى الرغم من عربيته المزيلة وافرنسيتي الضئيلة فقد استطعنا ان نتفاهم .

وهنا قدم الي احد اصدقائه وهو ارناؤوطي الاصل ومتوجه الى طوكيو لمباشرة عمله في القنصلية الافرنسية ويتكلم التركية جيدا وقد استطعنا ان نتفاهم ايضا برغم انني كدت انسى هذه اللغة ، وكان مهذبا ولطيفاً جداً في حديثه معي حتى شعرت من اعماق قلبي بميل شديد اليه وادركت مغزى المثل العامي المعروف « الدم يحن » والمثل الاخر « ما بيحن على العود الا قشره » ومع ان صاحبي هذا يختلف عني اختلافا بينا من جهة الدين والجنس فهو ارناؤوطي مسيحي وانا عربي مسلم فقد كان الشرق يجمعنا وتآلفت قلوبنا لاول وهلة حتى انه بادرني بقوله :

— ولماذا تجلسون لوحدكم في غرفة الطعام ؛ فانا ادعوكم للجلوس معنا ومائدتنا تضم مختلف العناصر والاجناس فقد تجدون فى التحدث اليهم عزاءا وسلوى .

فقبلت دعوته شاكرا .....

مائدة مختلطة الاجناس

نحن الآن ثمانية اشخاص على مائدة واحدة اربعة من القسس الفرنسيين متوجهون الى الصين بمهمة تبشيرية، ارناؤوطي موظف في القنصلية الفرنسية بطوكيو ، افرنسي مولود في الجزائر مسافر الى الهند الصينية لاستلام عمله هناك كمهندس للطيران ، صيني دكتور في الآداب واستاذ في احدى كليات « بكين »، ايطالي ظاعن الى الحبشة للانتظام في احدى الوظائف .

واخيراً صحافي عربي من سورية يدفعه الواجب الى اتمام رحلته في البحر الاحمر، سيعرج في طريقه على بلاد الاحباش التي كتب عنها شيئاً كثيرا وقرأ عنها عشرات الكتب والاسفار وسمع عنها مئات الاحاديث فغدا يتلهف شوقا الى زيارة مغانيها ومشاهدة عجائبها ، واعني به كاتب هذه السطور .

وانظر كم كانت مهمتي شاقة بعد ان اخذت مكاني في تلك المائدة التي اشبهت سفينة نوح من حيث تباين الاجناس واللغات فقد تكاثرت الاسئلة المزعجة علي من كل جانب فذاك يخاطبني باللغة الانكليزية « وهو الاستاذ الصيني » عن القرآن الكريم واهدافه البعيدة ، وذلك يحدثني باللغة التركيه التي لا ازال افهمها ولكن بصعوبة عن الحالة السياسية العامة في اوربا ، وهذا يستطلع رأيي (بالافرنسية) التي احفظ منها كلمات قليلة عن اسباب عدم تناولي اللحوم والمشروبات الروحية ، واخيراً صاحبنا الايطالي يأبى الا ان احدثه « بالايطالية » التي لا اعرف منها شيئا عن اسباب سفري في هذا الفصل القائظ .

ولكن ذلك لم يمنعني من التحدث الى القوم واجابتهم على اسئلتهم

بعبارات متقطعة وهي وان اشتملت على اخطاء كثيرة وكانت ممزوجة بالفاظ انكليزية وتركية وافرنسية « وعربية احيانا » فقد كنت اشعر بان الجماعة قد فهموا كلامي واطمأنوا لاجوبتي .

اشتداد الحر

ان الشيء الوحيد الذي كان يشغل فكري ويقض مضجعي ويثير قلقي كلما تقدمت بنا السفينة في عرض البحر الاحمر واقتربنا من خط الاستواء ، هو انني كيف اقوى على تحمل اذى الحر في البلاد التي اتجه اليها ، فنحن الآن لا نزال على مقربة من شواطيء الحجاز والحر يلهب اجسامنا ويشوي جلودنا فكيف بنا اذا وصلنا الى جيبوتي ثم توغلنا في بلاد الاحباش ، ولكي يدرك القاريء اهمية ما اقول اخبره بانني « وجميع الركاب طبعا » اضطررنا ان تنزع ثيابنا ونكتفي بسراويل خفيفة وقمصان رفيعة جدا قبل ان نبلغ منتصف الطريق ومع ذلك فقد كان العرق يتصبب من اجسامنا كأفواه القرب .

مصاعب شتى !!! .....

ليست مسألة الحر وحدها هي التي كانت تبلبلني بل اخذت تتمثل في مخيلتي جميع المصاعب التي ستعترضني في طريقي الى اديس ابابا :

١ — فالحركات الحربية لم تنته بعد في بلاد الحبشة والطريق بين جيبوتي واديس ابابا محفوف بالمخاطر .

٢ — عدم وثوقي بان السلطات الايطالية ستسمح لي بدخول تلك البلاد وهي في تلك الحالة الدقيقة .

٣ — قبيل سفري من مصر كنت اشعر بآلام جسمية مبرحة في الظهر

فاشار علي الطبيب الذي تولى معالجتي بان ابتعد كثيراً عن الحركة والتعب لان في انهاك الجسم مضاعفة للمرض .

ورحلتي هذه من اولها لاخرها سلسلة متاعب ومشاق .

بيد انني في النهاية وجدت ان خير ما اتذرع به في هذه الظروف العصيبة هو الاستسلام للاقدار والاذعان للمشيئة الالهية التي تهيمن على كل شيء ورحت اردد قول الشاعر :

لاستسهلن الصعب او ادرك المنى   فما انقادت الآمال الا لصابر

وقول الآخر :

دع التقادير تجري في اعنتها   ولا تبيتن الا خالي البال

نحن في جيبوتي

بلغت بنا الباخرة ميناء جيبوتي الساعة الخامسه والنصف من صباح الاثنين اى انها قطعت بنا المسافة بين بور سعيد وجيبوتي في اربعة ايام ونصف ولم تقف في ميناء من موانيء البحر الاحمر .

وجيبوتي هي عاصمة الصومال الفرنسي والميناء الطبيعية الوحيدة لمملكة الحبشة وان لم تكن تابعة لها . وفيما يلي نبذة تاريخية عن هذه الميناء وكيفية استيلاء الفرنسيين عليها :

كانت الحكومة الفرنسوية اشترت سنة ١٨٦٣ ميلادية من الرؤساء المحليين موقعا يسمى « اوبوك » الواقع شمالي خليج تاجورا على مقربة من مضيق باب المندب ، واتخذت الموقع المذكور محطة للزاد والذخائر والفحم اللازم للسفن الحربية الذاهبة الى الشرق الاقصى اثناء حرب الصين عام ١٨٨٣ ثم اخذت اهمية هذا الموقع تزداد حتى اصبح ثغراً مهماً لجميع البواخر الذاهبة والقادمة من الهند الصينية ، ولكن نقص عمق المياه هناك ووجود

جبال شاهقة صعبة المرور بين هذا الثغر والبلاد الداخلية حمل الحكومة الفرنسية على التفتيش على موقع آخر يكون اكثر ملاءمة ، ووقع حينئذ الاختيار على جيبوتى الحالية الواقعة امام « اوبوك » وبذلك نقل الثغر اليها وبوشر عام ١٨٨٨ بانشاء الارصفة والابنية على تلك الارض الجرداء القاحلة وبعد اعوام قليلة اصبحت مدينة كبري ومرسى مهما للسفن وازدادت اهميتها بعد انشاء الخط الحديدي الى هرر واديس ابابا من قبل شركة افرنسية .

عود على بدء

اخذت استعد للنزول من السفينة وقد عانيت كثيرا في جمع امتعتي لان الحر كان شديدا جدا مع ان الشمس لم تشرق بعد ، وكانت ثيابي مبللة من شدة العرق ، وقد صعد الى ظهر الباخرة بعض موظفي الامن العام والصحة ، وموظفي شركة مساجيري ماريتيم ومندوبي الفنادق ، وقد سألت عن افضل فندق المدينة فقيل لي (الكونتننال) فسلمت امتعتي حالا الي رسول هذا الفندق ثم عرضت جواز سفري على الشرطي المختص « وهو افرنسى » فلم يبد أية معارضة في نزولي وانما كلفني ان استلم الجواز من مركز الشرطة فركبت حالا الزورق البخارى « اللانش » المختص بالفندق وتوجهت الى المرفأ وانا اكاد اطير فرحا لاعتقادي بانني اجتزت العقبة الاولى في سفري .

وقد اغتبطت كثيراً اذ سمعت الغلمان السود من الصوماليين الذين أموا الباخرة لنقل الركاب يتكلمون العربية الواضحة بعد ان مضى على انقطاعي عن سماعها والتكلم بها خمسة ايام تقريباً .

وبعد ان أتممنا معاملة الجمرك توجهت الى الفندق ، وهو بالنسبة لفنادق

جيبوتي يعتبر افخمها واعظمها ولكنه بالنسبة لفنادق مصر وسوريا لايمتاز عن فنادق الدرجة الثانيه او الثالثة ، ويديره يونانيون عاشوا في مصر مدة من الزمن فتعلموا قليلا من العربيـة ؛ وهو يدر عليهم بالارباح الطـائلة لكثرة من يقصده من المسافرين ، وله مطعم خاص ؛ ومقهى خاص ؛ ومكان خاص لشرب الخمور والمشروبات الروحية .

واجرة الغرفة فيه عن الليلة الواحدة خمسين فرنكا «مع الطعام» .

وصف المدينة

وجيبوتي ميناء صغير واقع على خليج عدن ويبلغ سكان هـذه المدينة خمسين الفا بينهم عشرة آلاف اوروبي بين افرنسي وايطالي ويوناني وانكليزي وهندي .... الخ وهي عاصمة الصومال الافرنسي « كما تقدم » ولم يكن لها في الايام الخالية اهمية تذكر ولكن عند ما تم تمديد الخط الحديدي الى اديس ابابا انتعشت حركة الميناء انتعاشا كبيرا .

ومعظم ابنيتها اوروبيـة واكـثر تجارها اوربيون وهنود وقليل من الصوماليين واليابانيين ؛ وهي منقسمـة الى قسمين : ـ ١ ـ الحي الاوربي ـ ٢ ـ الحي الوطني . ففي القسم الاول تقوم الفنادق والمطاعم والمتـاجر والقسم الثاني هو الحي الذي يقيم فيه ابناء البلاد من الصوماليين (وكلهم مسلمون) وهو يتألف من عدة اكواخ من القصب او الطين او صفائح الزنك تمتد الى مسافات بعيدة وفيها يعيش البشر الى جانب المواشي والابقار التي ترد بكثرة من مختلف الجهات .

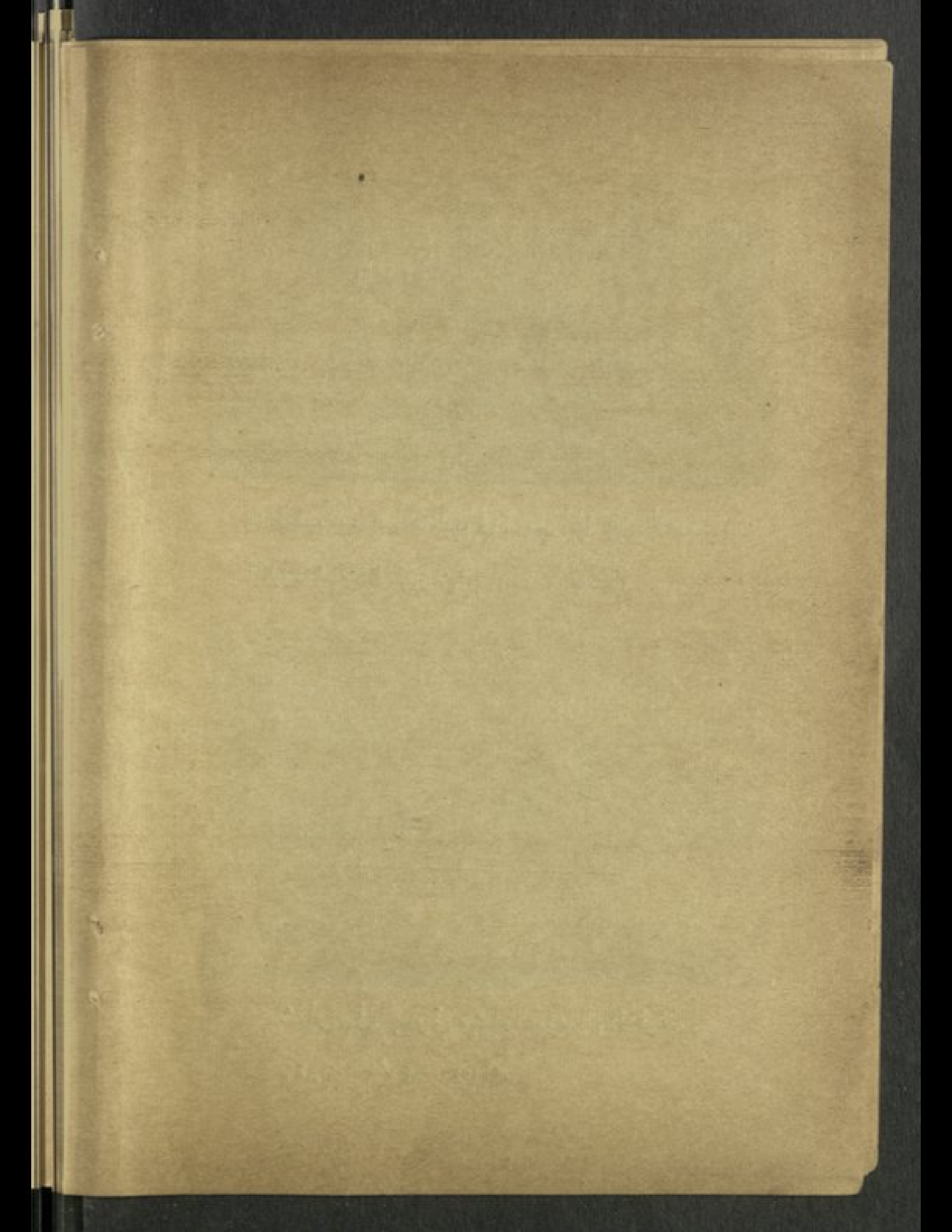
ويظهر ان الاشغال التجارية في هذه المدينة ناجحة تماما ولكن الارباح الطائلة التي يجنيها افراد الجاليات لايغبطون عليها فهم يعيشون عيشة متعبة



مؤلف هذا الـكتاب في اديس أبابا بين الزعيمين
الاسلاميين الكبيرين بهادون والمحضار



شارع في جيبوتي ميناء الصومال الافرنسي
وقد ظهر فيه قصر منليك



جداً ويعانون الامرين بسبب اشتداد الحر وقد قيل لي ان درجة الحرار لاتهبط في الشتاء عن (٣٠) بميزان سنتغراد .

ولكي يدرك القارىء اثر الحر في هذه المدينة اقول له باننا بلغناها في وقت كان الحر لايزال فيها معتدلا (لاننا في شهر مايو) وكانت درجة الحرارة في غرف النوم (حتى في جوف الليـل) لا تهبط عن (٣٦) برغم وسائل التبريد الموجودة من مراوح كهربائية ومثلجـات ... الخ ، وكانت في الشمس لاتقل عن خمسين .

وقد اخبرني بعضهم انه لاينقضي اسبوع الا ويموت فيـه شخص او اثنان من الاوربيين بتأثير ضربة الشمس .

ولكنني دهشت كثيراً حينما رأيت الصوماليين يسـيرون في الشوارع المرصوفة بالاسفلت (عند الظهيرة) تحت اشعة الشمس المحرقه حفاة عراة (الا من خرق بالية تستر عوراتهم) حاسري الرؤوس كانهم يطوفون بين الرياض والغياض ؛ وقد رأيت بعيني رأسي شيخا مسنا لايقل عمره عن السبعين يهرول في شوارع المدينة حافي القدمين وعلى ظهره حمل كبـير لايقل وزنه عن ستين كيلو غراما ، وكان منظر رأسـه الاصـلع ولحيتـه البيضاء وظهره المتقوس وشيخوخته المتهدمة يحز القلوب والنفوس. انـه يسير بهذا الحمل الثقيل من المحطة الى المدينة والمسافة لاتقل عن ساعة كاملة لقاء اجرة لاتزيد عن فرنك واحد يقتات به وعياله .

فما اكثر البؤساء والمعذبين في هذه الدنيا ......

لقد سلخت نهارا مزعجا في جيبوتي خيل الي انه سنة كاملة ، وصرت اترقب هجوم الليل بفارغ الصبر لعلي اجد فيه برداً وسلاما ولكن ما عتمت ان غابت الغزالة فاذا بحر الليل اشد وطأة من حر النهـار ، فلم تكن المراوح الكهربائية ولا المراوح الصغيرة « اليدوية » ولا المياه المثلجة

لتسري عني فاضطررت ان اهجر الفندق واستأجرت عربة « ويسمونها في تلك البلاد بالجارية » وكلفت السائق ان يطوف بي في الحي العربي الاسلامي مررنا في تجوالنا من امام احد مساجد المدينة فنزلت من العربة لاداء فريضة الصلاة وما كدت اضع قدمي على عتبة المسجد حتى احتشد حولي الرجال والاولاد واخذوا ينظرون الي شذرا ويستغربون دخولي لمسجدهم فهم لم يعتادوا على رؤية البيض من المسلمين ويعتقد اكثرهم ان المسلم يجب ان يكون ذا بشرة سوداء ولكنهم ما لبثوا ان اطمأنوا الي بعد ان شاهدوا وضوئي ، وعقيب انتهاء الصلاة اقبل علي امام المسجد وقال :

« ان هؤلاء الصوماليين تجمهروا حولك واخذوا يحدقون بك من فرط سرورهم فهم يغتبطون كثيرا برؤية اخوانهم البيض من المسلمين » .

وقد سررت كثيرا لما رأيته من خشوعهم وتقواهم حتى ان الاطفال الصغار كان عددهم لا يقل عن عدد الرجال في المسجد .

زيارة وجيه مسلم

وبعد ان ودعتهم وانصرفت توجهت الى الفندق فسألت احد المستخدمين عن اكبر رجل مسلم في جيبوتي يمكنني زيارته فقال : « علي كبيش » فهو تاجر كبير ومحسن عظيم وقد انشأ في البلدة مدرسة لتعليم ابناء المسلمين على حسابه . فقلت ما احوجني الي التعرف به !!! وطلبت من المستخدم المذكور ان يرافقني اليه ولكننا لم نجده في منزله فتركت له بطاقة طلبت فيها تحديد موعد للمقابلة وعدت الى الفندق وبعد قليل وردني منه جواب مكتوب باللغة العربية الفصيحة يقول فيه بانه على استعداد لمقابلتي في مكتبه في صباح اليوم التالي .

وفي الوقت المعين توجهت الى مكتبه فاذا بي امام رجل اسمر اللون

طويل القامة يرتدي اللباس الافرنجي وعلى رأسه طربوش فرحب بي واجلسني بقربه واخذ يسألني بلهفة عن احوال سوريا وفلسطين ومصر ثم سألني عن مهمتي واسباب مجيئي الى هذه البلاد ، فقلت له انني صحافي ولدي" جريدة اسمها الجزيرة . وكان يجلس الى جانبه كاتبه الخاص وهو يماني فقال انني اعرف جيداً هذه الجريدة وقد كنت اقرأ بعض مقالاتها الرائعة فاستغربت كثيرا من هذه المفاجأة وقلت كيف امكنكم الاطلاع على هذه الجريدة ونحن لا نرسلها ابدا الى هذه البلاد فقال ان كثيرا من الصحف الفلسطينيه والمصرية التي تصلنا تنقل عن جريدتكم من حين لآخر بعض ما تنشرونه من مقالات ورسائل .

ثم استأنفت حديثي قائلا :

انني متوجه الى اديس ابابا وبعض البلاد الحبشية لدراسة احوال اخواني المسلمين هناك .

فاخذ السيد كبيش يحدثني عن حالة المسلمين في الصومال الافرنسي وذكر لي شيئاً عن المدرسة التي انشأها « مدرسة النجاح الاسلامية » ودعاني لزيارتها فوعدته بهذه الزيارة بعد الظهر .

وفعلا توجهت للمدرسة المذكورة فسررت كثيرا لما رأيته فيها من بوادر النجاح والتقدم واعجبت بذكاء الطلاب ، ويبلغ عدد التلاميذ فيها « ١١٠ » وفيها اربعة فصول « صفوف » واربعة معلمين ويدرس فيها الطلاب القرآن الكريم والتوحيد والسيرة النبوية والفقه الشافعي والتربية والتهذيب والصرف والنحو وادب اللغة العربية والجغرافيا والحساب والهندسة وينفق عليها السيد علي كبيش من جيبه الخاص وارصد لها اوقافا كثيرة .

السوري الاول

اول سوري رأيته في هذه المدينة من اسرة الداوودي الفلسطينية يملك عدة سيارات كبيرة وصغيرة ويشغلها على حسابه في الصومال الافرنسي وقد رأيته صدفة في مركز البوليس عند ما توجهت لاستلام جواز سفري فحدثني عن احواله الخاصة وارتياحه الى اشغاله في هذه البلاد .

السوري الثاني

واعني به محمد درويش طه فقد زارني في الفندق واخبرني انه علم بوصولي من السيد كبيش فجاء للسلام علي والترحيب بي وقد قال لي ان اصله من بيروت هبط هذه البلاد منذ عام ١٩٢٥ وتعاطى بعض الاعمال التجارية في اديس ابابا ثم تركها عند ما نشبت الحرب الاخيرة . وقد حدثني حديثا طويلا عن حالة تلك البلاد وزودني بمعلومات هامة افادتني كثيراً في رحلتي هذه .

وعرفني على شاب حضرمي اسمه سالم بهارون نجل احد كبار التجار في اديس ابابا وقال لي انه يعرف الحبشة تماما وبالنظر لما لوالده من العلاقات الكثيرة في الحبشة فسيقدم جميع التسهيلات اللازمة ; وقد سررت لان هذا الشاب سيسافر معي في نفس القطار الذي سأتوجه به غداً الى اديس ابابا

الاستعداد للسفر

ان اول ما عنيت به اثر وصولي الى جيبوتي بعد استلامي لجواز السفر هو انني توجهت الى القنصل الايطالي للتأشير على الجواز وهذا شأن جميع الذين يريدون السفر الى المناطق الحبشية المحتلة . وعند ما راجعته بهذا الصدد قال لي لا استطيع ان افعل شيئا قبل الاستئذان من سعادة القائد العام

للجيوش الايطالية المرشال « غراسياني » وانا سأبرق له بهذا الصدد فعليك ان تراجعني غداً لاخذ الجواب ولا اجزم اذا كان الجواب سيكون بالايجاب لان الحالة دقيقة جدا قلت له : ارجو ان تؤكدوا للمارشال بانني بعيد جدا عن السياسة وان زيارتي للحبشه ليست سوى جزء من الرحلات المتتابعة التي اقوم في بلاد العالم الاسلامي وان مهمتي ستقتصر فقط على دراسة حالة المسلمين الاحباش من الناحيتين الدينية والاجتماعية فلا مجال للشك والحذر قال :

سأبذل جهدي في هذا السبيل ، ثم ودعته وانصرفت وفي اليوم التالي قابلته مرة ثانية فقال لي انني اهنئك فقد جاء الجواب بالموافقة وهذه فرصة سعيدة قد لا تسنح لغيرك من الصحافيين ثم اخذ مني الجواز واشر عليه التأشير اللازم فاستلمته منه شاكرا ومودعا .

وتوجهت من هناك رأسا الى محطة السكة الحديدية للاستفسار عن مواعيد القطار المسافر الى اديس ابابا فقيل لي انه غدا صباحا يوجد قطار الى العاصمة الحبشيه . وقد راجعت ادارة السكة الحديدية بشأن خصم شيء من قيمة التذكرة كصحافي فطلبوا مني ابراز الاوراق المثبتة وبعد ان اطمئنوا اليها صرحوا لي بخصم – ٢٥ – في الماية .

والمسافة بين جيبوتي واديس ابابا تبلغ « ٧٨٦ » كيلو مترا يقطعها القطار في ثلاثة ايام فهو لا يسير الا نهارا واما في الليل فينتظر في المحطات وعلى الركاب ان يبيتوا في الفنادق والاجور باهظة جدا فهي تبلغ في الدرجة الاولى – ٦٠٠ – فرنك « من جيبوتي الى اديس ابابا » وفي الثانية « ٣٥٠ » اما الثالثة فلا يمكن الركوب فيها فهي اشبه شيء بمراكب الحيوانات وقد خصصت لركوب الوطنيين من الاحباش .

ولكن المرء مضطر ان يدفع هذه الاجرة الفاحشة اذ لا يوجد طريق

آخر الى اديس ابابا غير هذا الطريق وهو مرغم ايضا على دفع اجرة المبيت ليلتين في الفنادق وعلى تناول الطعام في المطاعم المخصصة للركاب .

السفر الى اديس ابابا

افقت باكراً جداً صباح يوم الاربعاء الواقع في ٢٧ مايو مع العلم بانني لم اذق طعم النوم الا ثلاث ساعات فقط بسبب شدة الحر فاعددت حقائبي وتوجهت رأساً الى المحطة واخذت مكاني في الدرجة الثانية « وهي لا تختلف عن الدرجة الثالثة في قطاراتنا » وجلس الى جانبي صديقنا الحضرمي « سالم بهارون » وفي الساعة السابعة تماما تحرك بنا القطار من جيبوتي وكان يتألف من القاطرة وعربتين لركاب الدرجة الاولى والثانيه وعربتين لركاب الدرجة الثالثة وبضع عربات للشحن ولم نكد نبتعد عن المدينة قليلا حتى اخذنا نشعر بتغيير الهواء .

والقطار يجتاز في طريقه الى اديس ابابا مسافات شاسعة من الصحارى المحرقة والجبال الداكنة ذات الحجار السوداء ثم ينتقل فجأة الى غابات واحراش جميلة تلتف فيها الاشجار التفافا بعيدا .

ففي المرحلة الاولى يكون الهواء حارا ، ولا يكاد القطار يتسلق جبال الحبشة حتى يعتدل وينقلب فجأة الى نسيم عليل ينعش النفوس . ولا جرم ان هذا الاختلاف الفجائي في المناظر والاجواء مما يحير العقول .

وقف بنا القطار في المحطة الاولى « شيبلي » وهي تبعد – ١٩ – كيلو متراً عن جيبوتي وقد خرج اهالي القرية نساء ورجالا واطفالا كأنهم يستقبلون قادما جديدا او زائرا عزيزا .

ولفت نظرى منظر احدى البنات الصوماليات ولا يزيد عمرها عن عشر سنوات وقد حملت على ظهرها مولوداً صغيراً قالت انه ابنها واخذت

تستجدي اكف الركاب وقد علمت ان من عادة الصوماليين تزويج بناتهم واولادهم باكرا .

ثم استأنف القطار سيره وعرج بنا على المحطات الآتية :

هولول ، داسيبو ، علي سابيه ، وهذه كلها في الصومال الافرنسي .

وفي محطة « داونلة » تبتدىء المنطقة الايطالية الحبشية وعند ما وصلنا اليها وقف القطار فصعد احد الضباط الايتاليين والقى نظرة عامة على الركاب ثم استلم جوازات السفر واعادها بعد ربع ساعه مؤشرا عليها باجتياز الحدود .

ثم يمر القطار بعد ذلك من المحطات الآتية حتى يصل الى ديره داوا وهي : دبله ، انجا — وفيها تناولنا طعام الغذاء — لاسارات ، اداكالا مللو ، هارووواه ، ايلبه ، وفي المساء وصلنا الى ديره داوا حيث عرضت امتعتنا على الجمرك ثم توجهت الى الفندق حيث قضيت ليلتي فيه . وسأتكلم فيما بعد عن هذه المدينة الاسلاميه الجميلة بمناسبة زيارتي لمنطقة هرر .

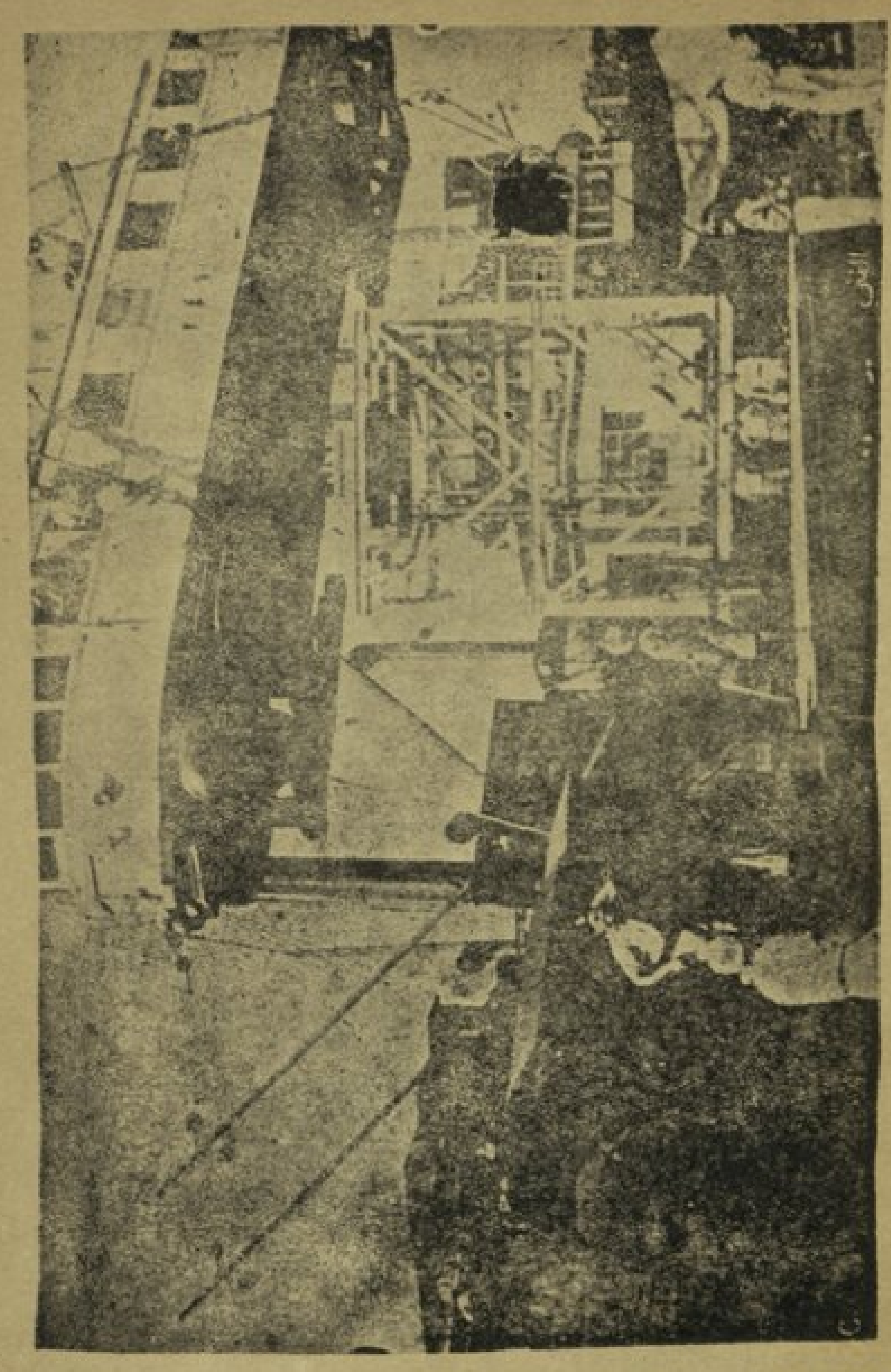
اليوم الثانى

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي استأنف القطار سيره فمررنا من المحطات الآتية :

اورسو ايرير ، كوتا ، بخيت ، افدم ، « وفيها تناولنا طعام الغذاء » هوللو ، ميحاسو ، خورا ، عربا ، هواش ، وهنا قضينا ليلة ثانية في الفندق .

وفى صباح اليوم الثالث

استأنفنا سيرنا فمررنا بالمحطات الآتية :



القاطرات الحديدية التي اتى بها الايطاليون من بلادهم لاستخدامها في الحبشة

ميتاهارا ، ملكاد يجولو ، بوركوتا ، كالاتكيتي ، هاداما ، موجود « وفيها تناولنا طعام الغذاء » اراس ، دوكام ، اكاكي ، واخيرا « اديس ابابا » وقد بلغناها حوالي الساعة السادسة مساء .

هذه الملمة قصيرة عن الطريق الحديدي بين جيبوتي واديس ابابا ولم اشأ ان اتبسط في وصف تلك الغابات الجميله التي انبتتها يد الخالق فظهرت كأنها رياض فيحاء وحدائق غناء ، تصدح فوق اشجارها الطيور والبلابل وتمرح في قيعانها الظباء ، وتفوح من ازهارها الروائح الزكية المنعشة فهذا مما يعجز اليراع عن ايفائه حقه .

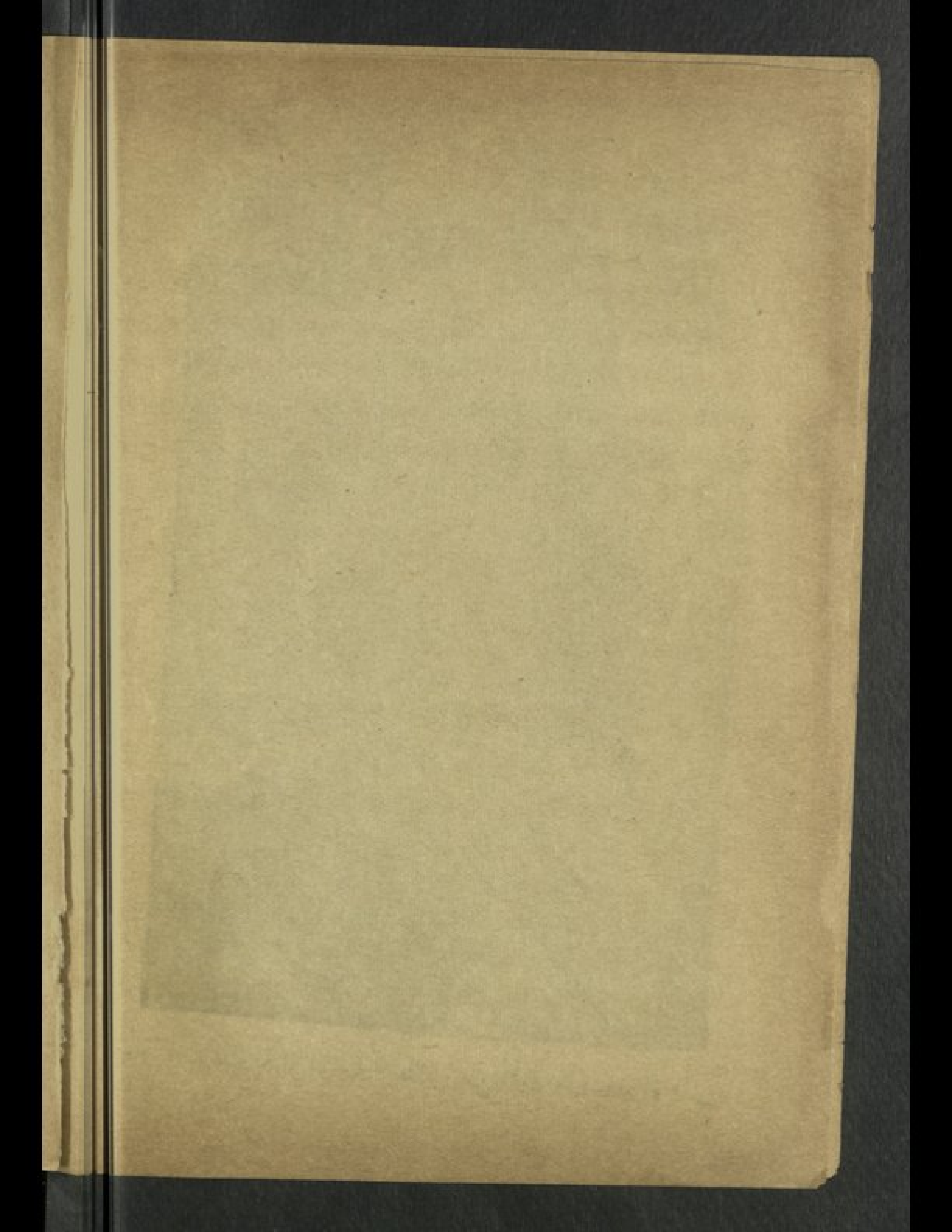
وان انس لا انس ذلك المنظر الفتان في محطة خورا اذ وقف بنا القطار فيها قبيل الغروب فكنت امتع ناظري بمشاهدة غروب الغزالة من وراء تلك الاشجار الوارقة التي كانت تميس في ابهى الحلل فوق الروابي والهضاب وفي اعماق الوديان الى مسافات بعيدة . وكان النسيم العليل يداعب اوراقها فيسمع لها حفيف شجي تمازجه الحان العنادل والبلابل ، وكانت الشمس تلقي باشعتها الذهبية الصفراء على تلك المناظر البهيـة فتزيدها روعة وفتنة وجمالا .

ان القول بان الحبشة (١) هي سويسرا افريقيا لا يعدو الحقيقة بل اعتقد بان هذه البلاد الناشئة تمتاز عن سويسرا بامور كثيرة سيلحظها القارىء عند ما يتصفح هذا الكتاب .

ففيها جميع مقومات الحياة فهي : غنية بمياهها الغزيرة التي تذهب هدرا

---

(١) ويسمونها ايثوبية Ethiopia وهي كلمة منحوتة من كلمتين يونانيتين (ايثين) ومعناها حرق و (اوبسس) ومعناها وجه فيكون معنى الكلمتين (الوجه المحرق) .



وهي غنية بمعادنها الكثيرة المنتشرة في مختلف الجهات واهمها الذهب والبلاتين والبترول ، وهي متمتعة بأجمل اقليم فهنالك المناطق الحارة والباردة والمعتدلة .

واما تربتها فحدث عنها ولا حرج وقد قيل لي ان الارض تعطي موسمها ثلاث او اربع مرات في بعض المناطق ، واما العنب فيؤكل مرتين في العام الواحد وقد كنت في طريقي الى اديس ابابا ألحظ قوة الارض الانباتية من الاشجار الباسقة التي كانت تنبت من تلقاء نفسها فأتوهم انها اشجار المشمش والجوز والحور والصفصاف والتين الخ .

ولا تسل عن كثرة السيول والامطار والانهار التي تنهمر في تلك الديار فقد اجتاز بنا القطار نحو ـ ٤٠٠ ـ جسر صغير و ٢٠٠ ـ جسر كبير ولكني لاحظت مع الاسف الشديد ان ابناء تلك البلاد لا يستفيدون من تلك المياه المتدفقة ولا من تلك الاراضي الخصبة لان النظام الاقطاعي من جهة والضرائب التي كان يفرضها الرؤوس والزعماء على الفلاحين المساكين من جهة اخرى ، وجهل الاهلين وكسلهم من جهة ثالثة كل هذه الاسباب وغيرها من العوامل التي سآتي على ذكرها في مناسبات اخرى حالت دون استثمار تلك الاراضي والاستفادة من كنوزها .

قال لي سعادة قنصل مصر عوض بك البحراوي عندما قابلته في اديس ابابا : « ان مصر تعتبر من اخصب بقاع العالم بسبب ما يفيض عليها النيل في كل عام من الاسمدة والخيرات التي يجرفها من جبال الحبشة فهي هي تعطي الفلاح موسمين في العام الواحد .

« فما قولك اذن بهذه الارض نفسها التي تبعث الينا بهذا السماد وتصور كم اذن قوتها الانباتية العجيبة » .

اديس ابابا عاصمة الحبشة

بلغنا اديس ابابا (١) كما تقدم في منتصف الساعة السابعة وكان البرد شديداً قارساً حتى انني اضطررت ان ابدل حالا ثياب الصيف بثياب الشتاء وقلت في نفسي ما هذا التباين الغريب في اقليم هذه البلاد ؛ فبينما كانت درجة الحرارة حوالي ٤٠ في الظل في جيبوتي اذا بها في اديس ابابا لا تزيد عن عشرة في الشمس واعترف بانني لم اكن مستعداً استعداداً كافياً لفصل الشتاء لانني كنت اتخيل ان الفرق بين الساحل الافريقي وبلاد الحبشة من حيث الاقليم كالفرق بين الاسكندرية والقاهرة او بيروت ودمشق او يافا والقدس مثلا ، فمهما اختلفت درجات الحرارة بين هذه الموانئ والمدن الداخلية فلا تزيد عن عشر او خمس عشرة درجة على الاكثر.

وعلى ذلك لم استعد لثياب الشتاء . وانني لانصح كل من تحدثه نفسه بزيارة بلاد الحبشة في اي فصل من فصول السنة ان يأخذ معه ثياب الصيف والشتاء معاً حتى المعطف والقمصان الصوفية لانه سيمر من مناطق حارة وباردة في آن واحد.

ان الداخل الى مدينة اديس ابابا لاول مرة لايسعه الا ان يفتتن بجمالها فهي محاطة الى مسافات بعيدة بغابات كثيفة من شجر « الاوكالبس » فالحشرات الصغيرة والكبيرة لاتعيش في هذه المنطقة واذا عاشت فانها لاتؤذى .
والابنية منتشرة في وسط هذه الغابات وبعيدة عن بعضها حتى ان المرء يخال ان لكل منزل حديقة خاصة مترامية الاطراف .
وحينما وصلنا الى المحطة ووقف القطار سألت صاحبي الحضرمي « سالم » عن فندق

---

(١) اطلق اسم اديس ابابا على العاصمة الحبشية نسبة الى القصر التي انشأته الامبراطورة تايتو وقد سمي حينئذ بهذا الاسم ومعناه بالعربية (الزهرة الجديدة) وفي الانباء الاخيرة ان الايطاليين يميلون الى نقل العاصمة الى مكان آخر .

مناسب فقال عليك بفندق امبريال فهو خير فنادق العاصمة وانظفها بيد ان الوصول الى الفندق كان من الامور الصعبة جدا لعدم وجود سيارات في المدينة تنقل الركاب وقد لاحظ ذلك صاحبي فدعاني الى امتطاء سيارته الخاصة وسار بي الى الفندق المذكور فاذا به غاصا بالقواد والضباط وليس فيه سرير خال فاضطررنا ان نفتش على غيره ولكن عبثا حاولنا ذلك لان جميع الفنادق كانت مملوءة وليس فيها امكنة خالية واخيرا اهتدينا الى نزل « بنسيون » انشأه رجل الماني اسمه « نوس » وهو يبعد عن المحطة نحو نصف ساعة بالسيارة .

ومؤسس هذا البنسيون كان يدير معهدا موسيقيا ولكن الحوادث الاخيرة التي وقعت في اديس ابابا حرمته من جميع ادواته الموسيقية وحملته على فتح هذا البنسيون مغتنما فرصة عدم وجود فنادق ومطاعم كافية في المدينة .

وصاحبنا الالماني يتكلم الافرنسية والانكليزية والامهرية اما العربية فلا يعرف منها سوى كلمة « السلام عليكم » فكنت مضطرا بطبيعة الحال ان اتفاهم معه بالانكليزية . ولم يكن لديه من « الزبائن » سوى مصور الماني وزوجته فقط وقد اضطرا للالتجاء الى هذا النزل بعد ان نكبا بكل مالديهما من ادوات التصوير ومفروشات البيت .

حديث مزعج ..

وبعد ان ودعني رفيقي سالم اخذت مقعدا لاستريح وجاءني السيد الالماني صاحب النزل وجلس هو وزوجته الى جانبي ثم وجه الى السؤال الآتي :

س — اظنك صحافيا ؟؟

ج — نعم و كيف عرفت ذلك .

س : — لانه لا يأتي الينا في هذه الظروف غير امثالكم من المغامرين .

ج : — ربما ......

— انت مصري

— كلا !! بل سوري

— ان مجيئك غريب في هذه الايام .

— ولماذا ؟؟

— لان السماح للاجانب « غير الايطاليين » بدخول الحبشة في الوقت الحاضر يكاد يكون من المستحيلات .

— نعم ولكن تمكنت من تذليل الصعاب . وهل تعتقد انه يتيسر لي اداء مهمتي الصحفية ؟؟

— انني اشك في ذلك .

— لماذا ؟؟

— لماذا !!! هل تتجاهل ان الخطر لا يزال محدقا بالمدينة وكل يوم نسمع اصوات الرصاص « قال ذلك وامسك بيدي ثم قال هيا بنا الى الشرفة واسمع . وقد سمعت فعلا اصوات الرصاص تدوي بسرعة كأنها طلقات المترليوز » .

ثم عدنا الى مكاننا فقال هل ستقتصر مهمتك على دراسة احوال اديس ابابا التي اصبحت خرابا يبابا واقفرت من اكثر سكانها ؟

قلت : كلا بل اريد التجوال في المقاطعات .

قال : هذا مستحيل ، مستحيل ، ولا يمكن ذلك ، واعتقد ان السلطات المحتلة نفسها لا تسمح لك بالتجوال .

فاه بهذه العبارات وامارات الاسف والالم تتجلى في وجهه ثم وضع سيكارته في فمه واخذ يدخن بشراهة ويتنهد تنهدا عميقا ثم قال هل رأيت اطلال اديس ابابا بطريقك الى هذا المنزل قلت : نعم وقد المني ذلك كثيرا . قال انها اطلال تلك الابنية الشاهقة والمنازل الفخمة والمتاجر الواسعة التي كانت تزدان بها العاصمة الحبشية ولكنها ذهبت ضحية الهمجية والتوحش فقد لبثنا اسبوعا كاملا « قبيل

الاحتلال الاخير ، ونحن نقاسي الاهوال ونكافح الموت بسبب الفتنة العمياء التي اندلع لهيبها بعد مغادرة النجاشي لهذه البلاد .

قلت له : وكيف كان ذلك ؟؟

قال اسمع ما اقصه عليك وانشره في صحيفتك فانك بذلك تخدم الحقيقة والانسانية والتاريخ :

لقد ارتكب النجاشي هيلا سلاسي اثما كبيرا في تعريضه المدينة وارواح الاجانب للخطر مع انه يعلم حق العلم ماطبع عليه بنو قومه من الشراسة والقسوة وحب الانتقام و كراهية العناصر البيضاء . فلقد انسل خلسة من المدينة وتركها تنعي من بناها وافسح المجال للاشقياء واللصوص والغوغاء يعيثون فيها فسادا ويقومون باعمال السلب والنهب ويزهقون الارواح البريئة من ابناء الجاليات الاجنبية ويضرمون النيران في الشوارع والازقة والمتاجر والمنازل بعد نهبها .

لقد امضت العاصمة الحبشية سبعة ايام مؤلمة كانت في خلالها تحت رحمة اللصوص والاشقياء .

وكان السعيد من استطاع ان ينجو بنفسه ويأمن عليها من الفتك والاغتيال وقد اضطررنا نحن افراد الجالية الالمانية ان نلتجئ الى دار سفارتنا التي فتحت ابوابها لجميع الجاليات الاخرى وكانت تقدم لهم جميع ما يحتاجون اليه من طعام وشراب وامكنة للنوم .

وكان سفيرنا (شتروم) يخاطب ضيوفه من مختلف الجاليات بقوله :

« نحن كلنا شعب واحد وكلنا سواسية في مجابهة الخطر الداهم » .

لقد نهبت جميع المتاجر والمخازن والمؤسسات المالية ثم اضرمت النيران فيها فالتهمتها والتهمت معظم احياء المدينة ولم تنج الا بعض المنازل البعيدة عن بعضها

ان افراد الجالية الالمانية اصبحوا فقراء معدمين لايملكون شيئا ونكبتهم بالنسبة لبقية الجاليات كانت افدح النكبات .

انهذا المنزل الذي تراه كان مملوءا بالاثاث النفيس والرياش الثمينة ورغم جميع الاحتياطات التي تذرعنا بها فقد اقتحمه اللصوص ونهبوه باجمعه ولم يتركوا لنا شيئا.

انظر ! » واشار الى شباك النافذة في الغرفة التي اعدت لي » هذه الثقوب التي تركها الرصاص . ثم امسك بيدي وقادني الى صالة الموسيقى واخذ يريني الادوات المحطمة وقال ان هذه الآلة (الكمنجة) تبلغ قيمتها (١٣٠٠) ريال فقد حطمها الثوار كما حطموا هذا البيانو وجميع الآلات التي تراها .

وقد ظهرت على صاحبي الالماني وهو يحدثني علامات الاضطراب والانفعال وكاد يبكي وينتحب فأخذت أهدئ من روعه وارفه عنه ثم تابع حديثه قائلا : لقد عدنا الى المنزل بعد ان هدأت الحالة قليلا فلم نجد فيه غير هذه الجدران وهذا السقف فاضطررنا لتجديد البناء وتدارك بعض الحوائج الضرورية والادوات المنزلية التي لا يمكن الاستغناء عنها لذلك فنحن نستميحك العذر اذا استقبلناك بهذه الحالة المرزية .

لقد آلمتني كلمات صاحبي الالماني فرثيت له واسفت لما اصابه واخذت اكرر له العزاء واخفف من آلامه .

البرد في اديس ابابا

المعت فيما سبق الى البرد الفريد الذي شعرت به في اديس ابابا وقد قضيت الليلة الاولى وانا ارجف واضطرب في سريري لا سيما وان غطائي كان يتألف من « حرام قطن خفيف » ولما اصبح الصباح شعرت بمغص شديد اضطررت على اثره ان اتناول قليلا من الشاي الساخن لتسكين الالام .

ثم لبست ثيابي فتوجهت الى مركز قلم المطبوعات وهنا قدمت للموظف المختص المستندات الصحافية التي احملها وطلبت الية اجراء التسهيلات اللازمة لمتابعة اعمالي فوعدني بان ينظر في الامر ويوافيني بالجواب بعد الاستئذان من المقامات العليا .

موقف قلق

لبثت في اديس ابابا بضعة ايام وانا حائر في امري لا ادري ماذا افعل فالاخبار التي ترد علي عن القتال بين الجيوش الايطالية والعصابات الحبشية تثير القلق ، والتجوال في المناطق الحبشية امر متعسر جدا في تلك الايام والتنقل في اديس ابابا نفسها من الصعوبة بمكان لبعد المسافات وفقدان وسائل الركوب وارتفاع اجور السيارات اذا وجدت وفوق هذا كله فانا لا اعرف احدا في هذه المدينة النائية ولا احسن التفاهم مع احد ثم ان قلم المطبوعات لم يعطني جوابا شافيا حتى الان اضف الى ذلك كله غلاء اسعار النوم والطعام وجميع النفقات الضرورية .

لقد اضطررت اخيرا الى مكاشفة مدير مكتب المطبوعات بالامر وقلت له :

انني اريد مقابلة حضرة المارشال « غراسياني » لاكون على بينة من امري واعرف فيما اذا كان من الممكن بقائي ومتابعة اعمالي الصحافية . قال لي : ان سعادة المارشال منهمك جدا في اشغاله واعتقد انه من المتعذر عليه استقبالك ومع ذلك فسأسعى للاتصال بمدير غرفته واطلاعه على كل شيء .

وفي اليوم التالي اعلمني مدير المطبوعات بان المارشال اظهر ارتياحه لاستقبالي في مكتبه الخاص في الساعة الخامسة بعد الظهر وطلب الي ان اعود اليه قبل هذا الموعد لكي يصحبني بسيارته الى قصر المارشال .

وفي الموعد المضروب كنت في سيارة قلم المطبوعات مع حضرة المدير فتوجهنا رأسا الى قصر المارشال ، بيد انني بقيت انتظر ساعتين على غير جدوى لان المارشال كان يستقبل في ذلك الوقت رأسا من رؤوس الاحباش اسمه هايلو .

مقابلة المارشال غراسياني

وفي مساء اليوم التالي تلقيت اشعارا بان سعادة المارشال ينتظرني فتوجهت اليه وتمت المقابلة الاولى في الساعة الثامنة مساء .

المارشال غراسياني ، رجل طويل القامة مهيب الطلعة حليق الشاربين حاد النظرات ولما دخلت عليه كان جالساعلى اريكة عالية تحت من فوقها التاج الامبراطوري وعند ما رآني انتصب واقفا ومد يده لمصافحتي وهو يحدق في وجهي تحديقا غريبا ثم قال انت فلان ؟ قلت نعم .

قال : اهذه اول مرة تزور فيها هذه البلاد ؟

قلت : نعم وقد اردت ان اغتنم فرصة ذهابي الى اليمن ورحلتي في البحر الاحمر فعولت على زيارة البلاد الحبشية لدراسة حالة اخواني المسلمين فيها .

قال : وماذا كنتم تذكرون عني في صحفكم ؟

قلت : كنا ننشر اخبار الحرب كما كانت تردنا من مختلف المصادر .

قال : « لقد ذكرت احدى الصحف التي تصدر في الاسكندرية واخرى تصدر في القدس بانني يهودي وهذا كذب صراح .

« فانني افاخر بانني مسيحي ولست يهوديا .

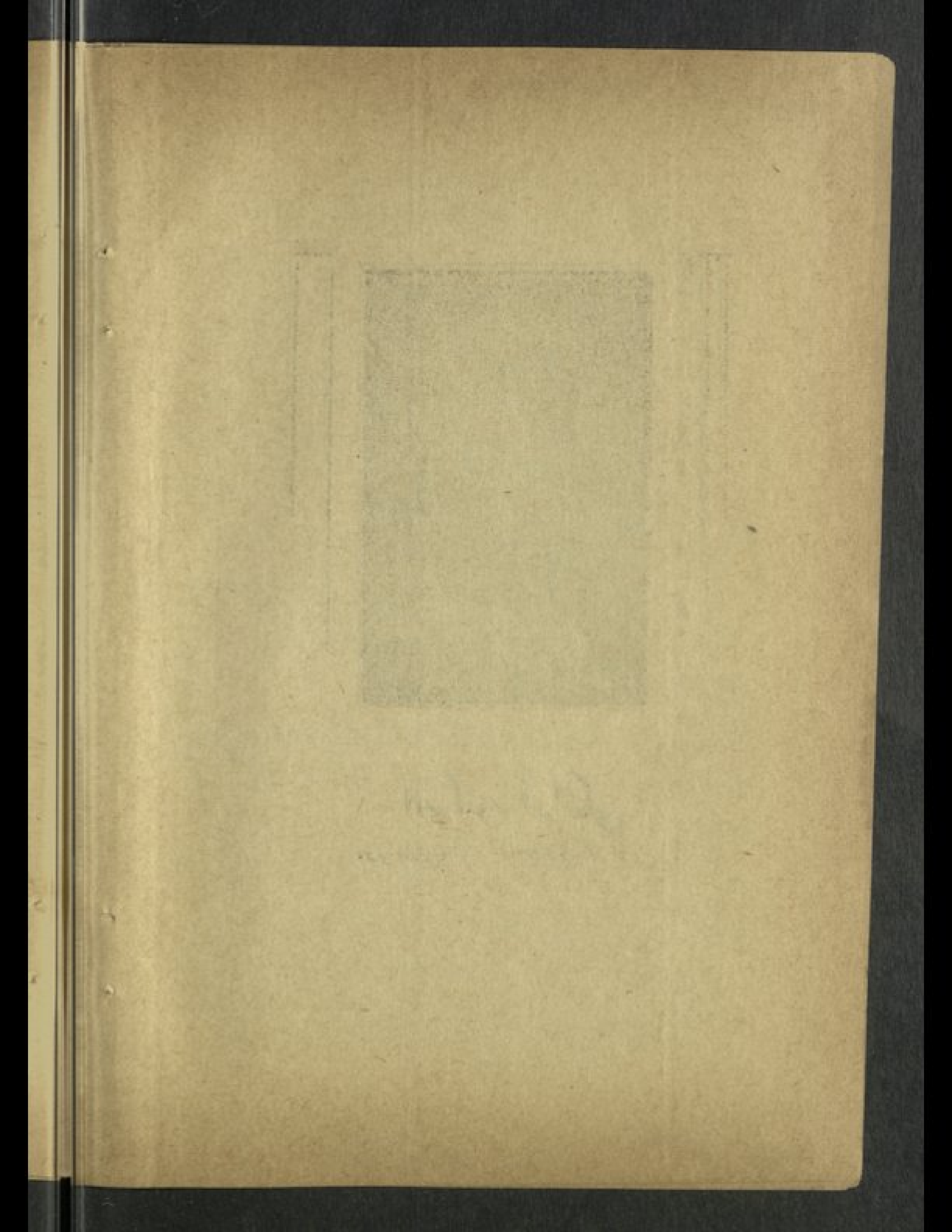
« انني لا اجهل المصادر التي تعمدت قلب الحقائق ولا اجهل الاغراض التي تستتر وراءهذه الاكاذيب . انهم يريدون اثارة حفائظ المسلمين .

« انني اصرح لكم بانني قضيت عشرات السنين مع مسلمي طرابلس بني غازي وكانت علاقتي بهم على اتم ما يكون من المودة والصفاء وحبذا لو يتاح لكم زيارة تلك البلاد لتعرفوا درجة تعلق المسلمين بي ومحبتهم اياي .

« ثم جئت الى الصومال وبمكنكم الاستفسار من الصوماليين عن رايهم بي ومقدار عطفي عليهم » . وكان المارشال يتكلم بلهجة عسكرية شديدة ويطالبني بالحاح نشر اقواله هذه .



الدكتور فرانكى
مدير المطبوعات والصحافة في الاريتريا



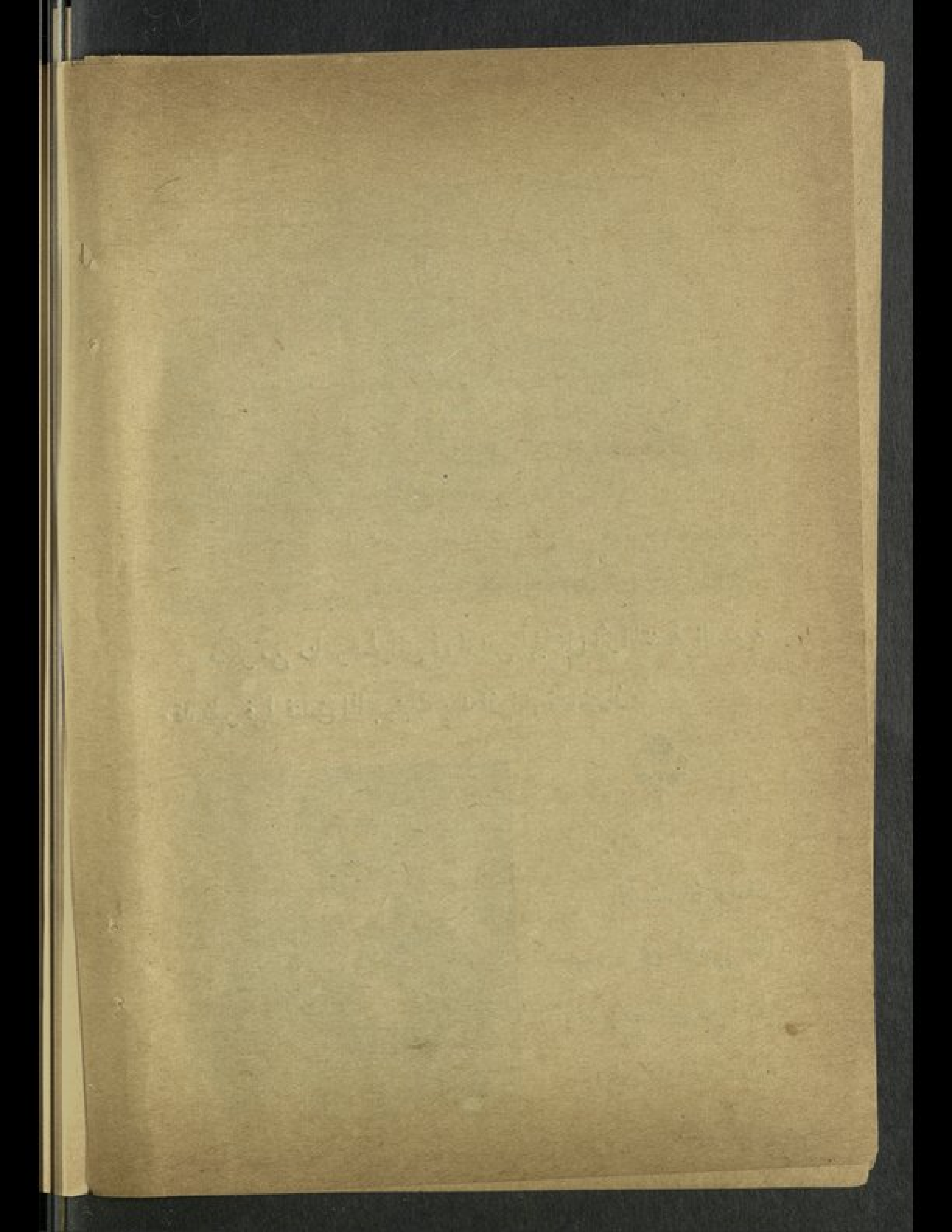


منظر من مناظر الحرائق في اديس أبابا على أثر الفتنة الدموية وقد ظهر فيها فندق الماجستيك بعد ان التهمته النيران.





الى اليمين الاستاذ يوسف حبيب في اديس أبابا وهو مصري من اصل سوري وقد ورد ذكره مراراً في هذا الكتاب



تصريحات خطيرة ...

قلت : ان لدي طائفة من الاسئلة اريد توجيهها الى سعادتكم فهل تتكرمون باجابتي عليها .

قال : بكل ارتياح سل ما تريد :

وهنا اخرجت من جيبي دفترا صغيرا كنت اعددت فيه تلك الاسئلة وكان المترجم « كاريوني » يتولى نقلها الى المارشال فكان سعادته يجيبني عليها بصراحة تامة ثم يطلب مني بعد تسجيل اقواله ان اقرأ ما كتبت اولا وثانيا وثالثا . وبعد ان انتهى الحديث طلب مني ان اعيد تلاوته عليه برمته للمرة الرابعة .

وقد لاحظت في خلال الحديث ان المارشال يفهم العربية قليلا لانه كان في بعض الاحيان يقطع على المترجم كلامه ويقول له لقد اخطأت في التعبير انا لا اريد ما ذكرت وانما اريد كيت وكيت ...

ثم انه في الوقت نفسه كان يستعين بمرافقه الخاص ليفهمني بالانكليزية ما يريد من الاجوبة التي يكون قد لاحظ ان المترجم العربي قد عجز عن نقلها الي بالحرف الواحد .

وكثيرا ما كان يهز رأسه عندما كنت اتلو عليه الاجوبة بالعربية دليلا على انه فهم ما كتبت وربما قاطعني وقال بالعربية « لا » وفي بعض الاحيان كان يضطر للتفوه بكلمات عربية « بلهجة طرابلسية متقطعة » ليعزز اقواله . فلما سألته عن الفظائع التي نسبت الى الطليان في طرابلس الغرب ولا سيما القاؤهم بعض المجاهدين من الطيارات ظهرت عليه امارات الغضب الشديد وكذبها تكذيبا قاطعا وختم كلامه بقوله باللغة العربية « الله يعرف » .

وفيما يلي نص الاسئلة التي وجهتها اليه واجوبته عليها .

س — هل تم احتلال جميع البلاد الحبشية ؟ (١)

ج — ان الاستقرار في البلاد المحتله يحتاج الى مدة كافية فايطاليا بقيت في طرابلس الغرب عشرين سنة حتى تمكنت من تهدئة الحالة فيها وتنظيم امورها والافرنسيون لبثوا في الجزائر ٧٦ سنة وفي مراكش ٣٠ سنة حتى استطاعوا ان يقبضوا على اعنة الامور فيها ، ويوليوس قيصر (سيزار) استمر يحارب عشر سنوات حتى تمكن من الاستيلاء على بلاد الغاليا ، والجنرال الروماني اغريبا لاجل استعمار البلاد الانكليزية تماما ظل يحارب ثماني سنوات متتابعة .

فنحن الان لكي نتمكن من الاستقرار تماما في هذه البلاد وتنظيم امورها على الوجه الاتم نحتاج الى مدة كافية ايضا كما فعل غيرنا . ولا يخفاكم انه في كل المستعمرات لابد من ظهور بعض عناصر الشغب والاضطراب لتعكير صفو النظام فلا بد من القضاء عليها .

ان الحرب الكبيرة في هذه البلاد قد انتهت وتعقبينا للاشقياء ليس سوى من قبيل الحروب الصغيرة .

س — ما هو المبدأ الذي تسيرون عليه في حكم هذه البلاد ؟

ج - ان حكومتي تسير في حكم هذه البلاد على قاعدتين مستمدتين من الشريعة الرومانية وهما :

العدل والقوة ، فالعدل اولا والقوة ثانيا .

وانا قد جمعت لدي زعماء هذه البلاد من احباش مسيحيين ومسلمين وغيرهم وافهمتهم بصراحة ان جميع الاديان والعناصر لدينا متساوية وليس لاي فريق فضل

---

(١) كانت حدود مملكة الحبشة قبل الاحتلال الايطالي الاخير على الوجه الاتي : من الشمال النوبة والبحر الاحمر ومن الشرق بلاد الدناكل والصومال ومن الجنوب بلاد الغالة ومن الغرب السودان المصري

على الآخر بعكس الحالة التي كانت سائدة في عهد الحكومة البائدة اذ كان الاحباش يضطهدون المسلمين ويحرمونهم حقوقهم (١) حتى ان المسلمين كانوا يحاكمون في محاكم الاحباش وحسب شريعتهم . وانا قد الغيت كل ذلك واصدرت التعليمات حالا بانشاء المحكمة الشرعية ليحاكم بها المسلمون وبذلك اعطيت الدليل العملي على احترامنا لجميع الاديان .

س — ما هو النظام الذى ستدار بموجبه هذه البلاد ؟؟

ج — في اول « يونيو » اذيع في الصحف (٢) خلاصة القرارات التي اصدرها السنيور موسوليني بشأن نظام الحكم في هذه البلاد فهي ستقسم الى خمس مناطق ترتبط كل منها رأسا بنائب الملك الذي يعتبر صاحب السلطة العليا ويكون مقره في اديس ابابا .

ونحن لانعتبر هذه البلاد مستعمرة كالهند مثلا بل هي جزء من الامبراطورية الايطالية .

س — تبين لي ان المسلمين في هذه البلاد يؤلفون اكثر من نصف مجموع السكان فهل ستعمل السلطات على تأمين حقوقهم بالنسبة لعددهم ، وهل تفكرون بفتح مدارس خاصة لهم ، وهل سيكون للغة العربية ولغة المسلمين ، نصيب خاص من عنايتكم ؟؟

ج — انني اؤكد لكم تأكيدا قاطعا بان جميع حقوق المسلمين ستكون مصونة

---

(١) قال صادق باشا المؤيد في رحلته الى الحبشة ما يلي : علمت ان المسلمين في اديس ابابا ليس لهم مقبرة خاصة بهم بل انهم يدفنون موتاهم في منازلهم وحدائقهم فوعدتهم عند سنوح الفرصة ان التمس من جلالة الامبراطور منح قطعة ارض لبناء جامع واخرى تكون مدفنا للمسلمين (٢) نشرنا في آخر هذا الكتاب نص ما نشرته الصحف عن هذا النظام .

استنادا الى مبدأ « احترام الاديان » والحكومة ستبادر حالا الى بناء مساجد ومدارس خاصة بهم واول مسجد سنشيده لهم في اديس ابابا . وبناء على التعليمات التي تلقيتها من سعادة رئيس الحكومة الايطالية السنيور موسوليني فان اللغة العربية ستكون اللغة الرسمية في جميع المناطق التي يكثر فيها المسلمون وهناك اصلاحات اخرى سنقوم بها قريبا لتحسين حالة المسلمين .

س — كانت الصحف قد نشرت كثيرا عن الفظائع التي قيل ان الايطاليين ارتكبوها في طرابلس الغرب ولا سيما القاء الثوار من الطيارات فما نصيب هذه الاخبار من الصحة ؟ ؟

ج — انها دعايات كاذبة اعرف مصدرها جيدا وكنت انا نفسي في ليبيا عندما اثيرت تلك الضجة المصطنعة . واؤكد لكم بانه لم يرم احد من الطيارات ، ان ذلك المصدر الذي تعمد تلفيق هذه الاخبار حاول استغلال عواطف العالم الاسلامي بطريقة خاطئة .

اني استحسن كما قلت لكم آنفا زيارتكم لطرابلس الغرب كي تطلعوا على الحقائق بنفسكم . وحسبي ان اقول لكم بهذه المناسبة بان زهاء « ١٥ » الف مقاتل مسلم من ليبيا حاربوا في صفوفنا تحت قيادتي في الحرب الحبشية الاخيرة وقد اعربت مرارا عن تقديري لشجاعتهم اذ كان لهم الاثر الاكبر في اقتحام جبهة « الاوغادين » ؛ واحراز الانتصار الباهر على الاحباش .

لا خوف على اليمن

هذه خلاصة الحديث الذي دار بيني وبين جناب المارشال وقد استغرق اكثر من ساعتين ولا بد لي في هذا المقام من الاشارة الى مسألة اخرى تناولها هذا الحديث تتعلق ببلاد اليمن فقد سألني المارشال عن الجهة التي سأقصدها بعد انتهاء مهمتي الصحفية في هذه البلاد فقلت : انني سأتوجه الى اليمن فقال لي ارجو ان تبلغ

جلالة الامام يحيى ملك اليمن سلامي واحترامي وتؤكد له عن لساني باننا لانفكر ابدا في مس قيد شبر من بلاده وغاية ما نتمناه ان نظل واياه على وفاق تام وصلات حسنة كما كنا فى الماضي ، وارجو ان لا يعير اذنيه لسماع اقوال اصحاب الاغراض والمصالح الذين يريدون تعكير صفو العلاقات بيننا .

وهنا وجدت ان الحديث قد طال فاستأذنت بالانصراف وطلبت من سعادته ان يسمح لي بزيارة منطقة هرر الاسلاميه لانها كانت اكثر المناطق الاسلامية هدوء وسكينة في ذلك الوقت فسمح لى بذلك وحرر كتابا خاصا لحاكم هذه المنطقة كي يسهل مهمتي فودعته شاكرا وانصرفت .

من اديس ابابا الى هرر

ويأتيك بالاخبار ...

في صباح يوم السبت الواقع في ـ ٦ ـ يونيو انتبهت من نومي باكرا وتوجهت الى محطة اديس ابابا لاخذ القطار الى هرر . وفي الساعة التاسعة والنصف تحرك بنا القطار وكان يجلس امامي رجل مسن على رأسه طربوش فما شككت انه مصري « او سوري » وقد بادأني هو بالحديث اذ قال : هل تحسن العربية ؟

قلت : نعم . قال : الى اين مسافر قلت : الي ديره داوا ومنها الى هرر .

قال : ومن اي البلاد انت قلت : من سوريا . ثم سأل عن مهنتي والغرض من رحلتي وبعد ان اطمأن الي قال اسمع :

اني تاجر مصري اسمي « احمد الحسيني » وقد مضى علي في هذه البلاد زهاء

١٢ » سنة لاقيت فيها ما لاقيت من آلام الغربة والبعاد وتحمل اذى ابناء هذه الديار حتى تمكنت من جمع ثروة لا تقل عن ستة آلاف جنيه « ذهب » ذهبت كلها في يوم واحد فاصبحت فقيرا بائسا لا املك شروى نقير واسافر كما تراني في هذه الحالة المزرية وليس لدي من الالبسة سوى ما تراه على جسمي باليا ممزقا لقد مضى علي شهر كامل لم ابدل هذه الثياب ومضى على جسمي ايضا اكثر من شهر لم يصل اليه الماء . قلت وما قصتك قال : في عام - ١٩٢٥ - هبطت هذه البلاد قادما من مصر طمعا بالربح واسست في اديس ابابا محلا تجاريا لبيع الكتب العربية والاسلامية وهو المحل الوحيد من نوعه في هذه الديار ثم اخذت اضيف اليه من الاصناف الاخرى ما يحتاج اليه ابناء هذه البلاد حتى اصبح مخزني اشبه شيء بالكشكول يحتوي على مختلف ما يحتاج اليه الانسان من ملبوسات وادوات قرطاسية و ؤلفات عربية ...... الخ .

بيد ان الحظ الذي رافقني طيلة هذه المدة ابى الا ان يفارقني في هذا العام فقد افقت في صباح يوم السبت الواقع في - ٢ - مايو من السنة الحالية « اي قبل شهر من تاريخ هذا الحديث » وتوجهت الى محل تجارتي لمزاولة اعمالي كالمعتاد فجاءني احد الاحباش المسلمين يريد شراء كتاب من الكتب الدينية ثم قال لي بهذه المناسبة « خير لك يا هذا ان تقفل محلك اليوم اذ يخشى وقوع حوادث ولكنني لم اعر كلامه اقل اهتمام اذ لم يكن ثمة ما يدل على نشوب مثل هذه الحوادث .

وبعد ان ذهب صاحبي بقليل سمعت بعض طلقات نارية تدوي في قلب المدينة ولدى الاستفسار علمت بان النجاشي غادر العاصمة الحبشية واعلم رئيس بلديتها ومدير شرطتها بانها اصبحت تحت تصرف الغوغاء من الاحباش .

قال محدثي فلم يسعني حينئذ الا ان اعمل بالتعليمات التي كان يذيعها قناصل الدول الى رعاياهم من حين الى آخر بانه عند حدوث حركات غير اعتيادية ونشوب فتن واضطرابات يجب اغلاق محلاتهم التجارية والانزواء في المنازل . وانا شخصياً عملت

بهذه النصيحة فتوجهت الى منزلي بعد ان اغلقت ابواب مخزني . وبعد قليل علمت بان الاشقياء هاجموا المخزن واخذوا ينهبونه ثم تبعوني الى المنزل يريدون الفتك بي والاستيلاء على ما احمله من نقود ودراهم . فخرجت من المنزل مسرعا اسير على غير هدي واذا باحد اولئك الاشقياء يمسك بيدي ويوجه بندقيته الى صدري ويقول بالامهرية ما معناه : اخرج مامعك من الفلوس ايها الجمال. والجمال باصطلاحهم تطلق على المسلم على سبيل الزراية والاحتقار . فاخذت اتضرع اليه واستعطفه بان يتركني وشأني فكان جوابه على ذلك ان ضربني بالبندقية على رأسي فشجها ، وهنا كشف صاحبي المصري عن رأسه واراني اثار الجرح ، فهويت على وجهي لا الوي على شيء ثم افقت من غشيتي واندفعت الى منزل قريب يقوم عليه حفاظ اقوياء يصدون عنه المعتدين فنجوت .

وهكذا فان محلي ومالي ذهب فريسة اللصوص وطعما للنار ثم قال : وظللت انتقل كل يوم من منزل الى آخر بقصد الالتجاء حتى اذا وجدت ان لافائدة من بقائي باديس ابابا اثرت مغادرة هذه البلاد كما تراني في هذه الحالة الرثة الداميه ، وهنا اخرج من جيبه بضعة ريالات حبشية قد اسودت من تأثير الحريق وساعة ذهبية ثمينة قد التهمتها النيران ايضا فاصبحت سوداء قاتمة ، ثم قال هذا كل ما حصلت عليه من ثروتي وهنا اغرورقت عيناه بالدموع فاخذت اوصيه بالصبر والسلوان والمطالبة بحقوقه وكان الى جانبي تاجر حضرمي في اديس ابابا معروف اسمه « احمد بازرده » يستمع حديثنا فكان يؤمن على كلامه فسألت التاجر الحضرمي عما اذا اصابه شيء من النكبات كما وقع لصاحبنا المصري فقال ان لي محلات تجارية عديدة لم يصبها شيء والحمد لله لاننا دافعنا عنها بالسلاح بواسطة رجالنا الاشداء وانني بعد ان نقلت عائلتي الى المفوضية البريطانية « بصفتي من رعاياها » اخذت استعد للدفاع عن تجارتي وقد قتل رجالي خمسة وعشرين حبشيا بينهم امرأتان كانتا ايضا تشتركان في اعمال السلب والنهب .

وقد غص الشارع امامنا بجثث القتلى حتى اذا حدثت احدهم نفسه بالسرقة والنهب يرى تلك الجثث مطروحة على الارض فيعود من حيث اتى ثم تابع كلامه قائلا :

ان اللوم يقع في الدرجة الاولى على عاتق السفراء والقناصل لانهم اهملوا المدينة ولو شاؤوا لحالوا دون وقوع تلك المأساة الدامية اذ كانت لديهم القوى المسلحة الكافية لدرء الاخطار ويكفي ان اقول لك ان احدى المفوضيات كان لديها ما يربو على – ١٥٠ – جنديا اجنبيا .

ثم اخذ السيدان الدري والحضرمي يحدثاني عن مظالم الاحباش واضطهادهم للمسلمين مما لا يكاد يصدقه العقل و كانا يؤيدان اقوالهما بالايمان المغلظة حتى ان السيد الحضرمي اجابني على سؤال وجهته اليه قائلا :

انني اقسم بشرفي وديني انني افضل ان افقد جميع ثروتي « وهي تقدر بـ ١٠٠ الف جنيه » على ان لا يعود الاحباش قلت لهما ما دام الامر كذلك فانكما بصفتكما من الشخصيات الاسلامية البارزة في الحبشة تتحملان تبعة كبرى بسكوتكما في الماضي وعدم اطلاع العالم الاسلامي على هذه الاعمال المنكرة .

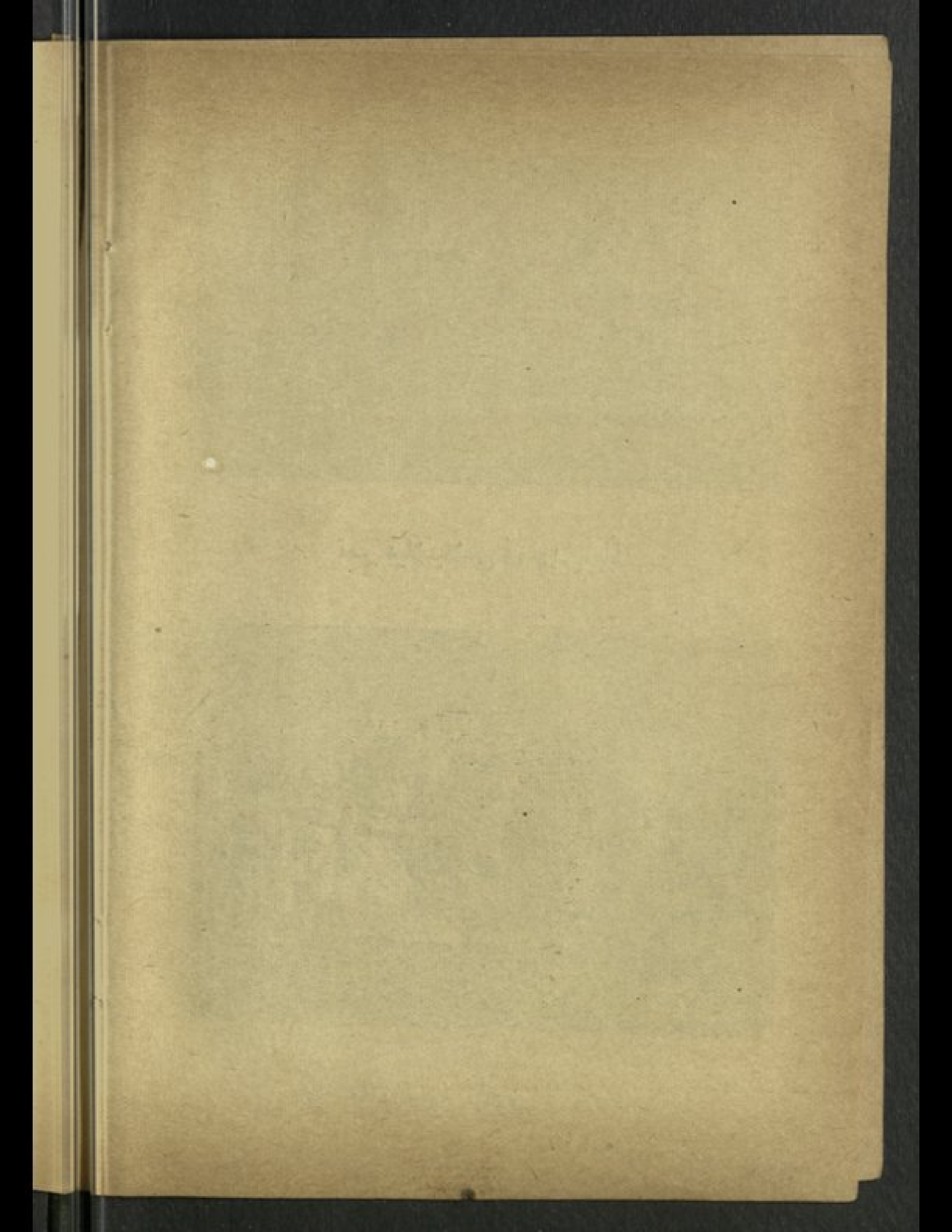
فاجاب احدهما : ان كل من يحاول نقل اخبار هذه المظالم الى خارج البلاد يكون نصيبه من الحكومة السابقة التعذيب والارهاق واخيرا يختفي اثره حالا وضرب لي امثلة كثيرة على ذلك . قلت : اذن فان ما ذكره الامير شكيب ارسلان عن حالة المسلمين في هذه البلاد كان مطابقا للواقع فقالا كلاهما : بانه كان جزءا يسيراً من الواقع . ومما ذكرا لي بهذه المناسبة ان الحكومة البائدة اضطهدت السيد طه بن علوي من اعيان المسلمين في اديس ابابا وضيقت عليه تضيقا شديدا واضطرته للهجرة من البلاد لانه حاول مرة ان يدافع عن المسلمين ويطالب بانصافهم .

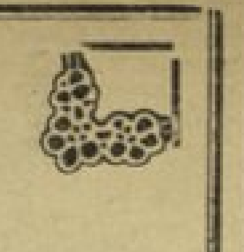


قصر هيلاسيلاسي في اديس أبابا

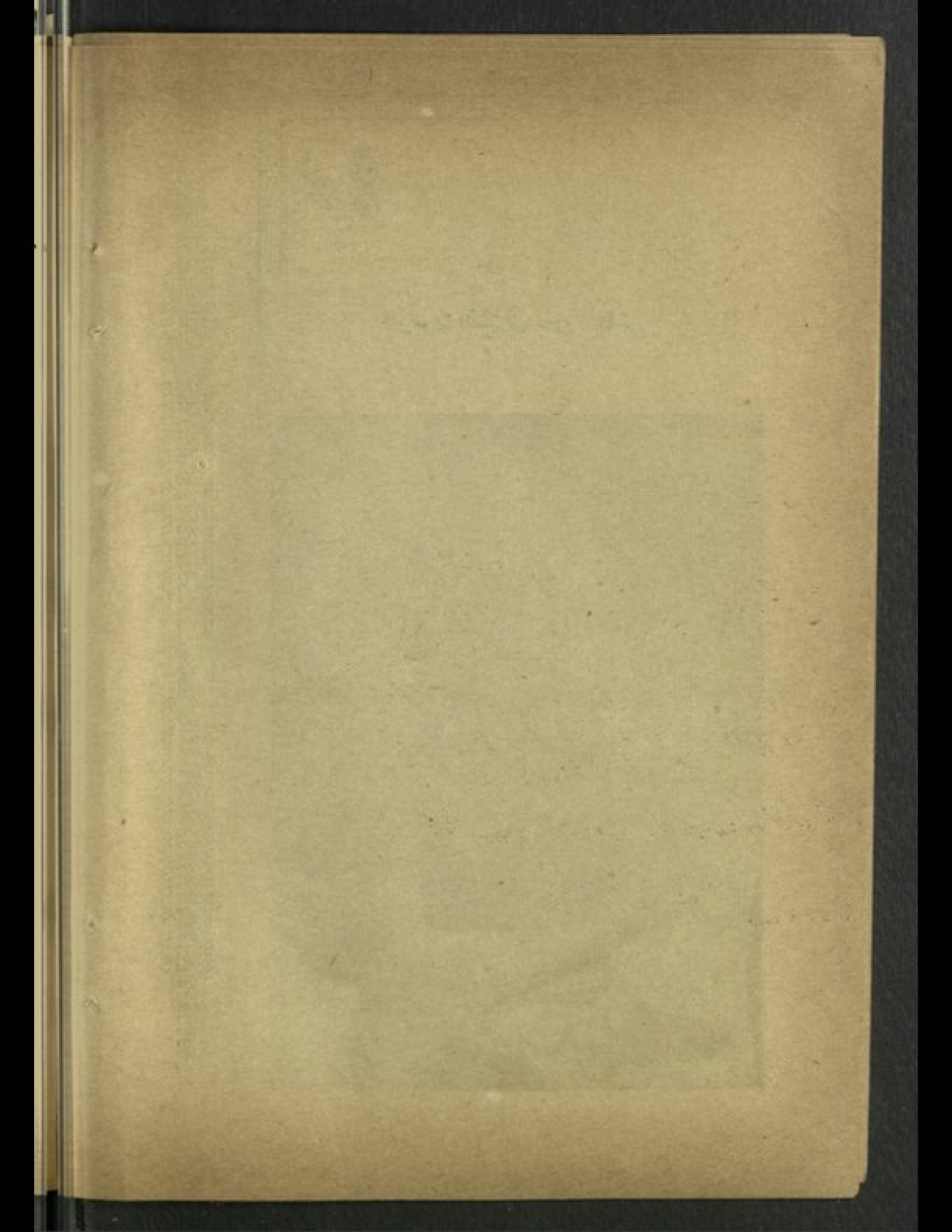


نوع من انواع الرقص المألوف في بلاد الحبشة





الامومة الفنية فى بلاد النجاشى



فواكه غريبة

في طريقنا الى دبره داوا كان الغلمان الاحباش يعرضون امام الركاب فواكه غريبة للبيع باثمان بخسة جدا اذكر منها الباباي وهو ثمر يشبه البطيخ الاصفر في بلادنا والشمام في مصر . والترونج وهو ثمر كبير يشبه الكباد في شكله ولكن له طعم غريب .

ومن الفواكه التي كانت تباع بكثرة في المحطات الموز فقد اشترى احدهم صفيحة كاملة تحتوي على اكثر من (١٠٠) موزة بليرين ايطاليين فقط « فرنكين » .

رائحة الزبد

قدم لي السيد بازرعه ونحن في القطار جزءا يسيرا من العطر وضعته في المنديل وقد بقيت رائحته اياما طوالا ولما سألته عنه قال انه يحتوي على مادة تسمى الزبد وهو نوع من المواد العطرية يستخرج من القطط قلت : وكيف ذلك . قال : هناك نوع من الهرر البرية ذات الشعر الطويل تفرز هذه المادة من افخاذها وكثيرا ما يجدونها على الصخور وفي جذوع الاشجار وقد شعر بعضهم بفائدة هذه الهرر والارباح التي يمكن ان تجنى منها فاخذوا يعملون على تربيتها خصيصا ويستخرجون منها هذه المادة العطرية النادرة حتى اصبحت من التجارات الناجحة .

احمد الافدمي

غلام صغير يناهز العاشرة لونه فاحم جدا كان يبيع القهوة في محطة (افدم) وقد وقف فيها القطار مدة طويلة فاغتنمت الفرصة واخذت اداعبه والقي عليه عدة اسئلة وكان رغم حداثة سنه يجيبني باجوبة سديدة تدل على نباهته وشدة تعصبه لاسلاميته وقد احب احد الركاب ان يكرمه فقدم له بيضة دجج من البيض الذي كان يأكله فاخذها وراح يقلبها حتى اذا ازال قشرها واراد ا كلها قلت له ان هذه

ليست بيضة دجاج بل بيضة خنزير فاستشاط غضبا وقذف بها الى الارض مغمغما بعبارات لم افهمها وعبثا حاولت بعد ذلك ان اقدم له غيرها واقنعه بان الخنزير لا يبيض واننا لا نأكل لحمه . وكان من الصعب علي جدا ان اقنعه ايضا باننا مسلمون رغم انه طلب منا تلاوة آي من الذكر الحكيم ففعلنا لان صاحبنا يعتقد ان المسلم يجب ان يكون اسود اللون وجميع البيض كافرون !! ...

مدينة ديره داوا

مساء يوم الاحد الواقع في — ٧ — حزيران وصلنا بالقطار الى مدينة ديره داوا حوالي الساعة الخامسة وهذه المدينة تعتبر ارقى المدن الحبشيـة بعد « اديس ابابا » هواؤها دافيء معتدل واكثر اهلها مسلمون وهي تقسم الى قسمين « الحي الاوربي » ويسمى بالجزيرة « والحي البلدي » ويسمى « بالمقالا » واعتقد ان اصل هذه الكلمة بجالة « اسم مكان من جال » لان فيها ساحة واسعة جداً ومجموع سكان هذه البلدة في الحيين معا (٩) آلاف منهم (٨) آلاف في الحي الوطني وهم خليط من : —١ — العرب اليمانيين والحضارمة واهل الشحر وقد حلوا في هذه المدينة منذ عشرات السنين وامتزجوا بالاحباش المسلمين وتزوجوا منهم وهم يتعاطون الاعمال التجارية والبناء —٢— صوماليين وهم مهاجرون من مقاطعات الصومال الايطالي والافرنسي والانكليزي —٣— الغالا وهم يعيشون عادة خارج البلدة وهؤلاء محتقرون جـدا من الاحباش وكلهم مسلمون ما عدا طائفة قليلة جدا تدين بالمسيحية وهناك فريق منهم يعرفون بالكوتيين وهم سكان الحبشة الاصليين يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي والابقار .

—٤— الهنود وهم من السنيين والشيعيين المعروفين (بالبهرة) « والبنيـان الوثنيين » وهؤلاء يشتغلون بالتجارة واعمال الصرافة (والكمبيو) .

— ٥ — الاحباش المسيحيون وهؤلاء عددهم ضئيل واصلهم من « شاوا » واعمالهم تقتصر على التوظف في دوائر الحكومة ومنهم كان يتألف الجيش ويعتبرون انفسهم

سادة البلاد وجميع العناصر الاخرى من المسلمين وغيرهم بطانة لهم وخدم .

وفي ديره داوا قليل من الافرنسيين الموظفين في شركة سكة الحديد وقليل ايضا من الارمن واليونان واكثرهم اصحاب فنادق ومطاعم ومقاه .

اما عدد الايطاليين فقد كان من الصعب تقديره في ذلك العهد لان اكثرهم من رجال الجيش والجنود وموظفي الحكومة ولا جرم ان عددهم كان فاحشاً .

ولهذه المدينة اهمية كبرى في بلاد الحبشة وسيكون لها ايضا شأن خاص في المستقبل للاسباب الاتية :

١ — لانها مركز شركة سكة الحديد ونقطة الاتصال بين جيبوتي وادبس ابابا .

٢ — لان جوها معتدل يوافق جميع الامزجة .

٣ — لان ابنيتها جميلة وشوارعها منظمة .

٤ — لان مركزها متوسط بين هرر « التي تبعد عنها مقدار ستين كيلو مترا فقط » وادبس ابابا وجيبوتي .

الشيخ يوسف علي يوسف

هو عالم مصري اوفدته الجامعة الازهرية لتعليم ابناء المسلمين في هذه الديار وقد رافقني في اكثر حركاتي وتنقلاتي في منطقة هرر وامدني بكثير من المعلومات والبيانات .

وقد لاحظت ان له مقاما محمودا ومركزا ممتازا بين المسلمين في تلك الجهات ولا غرو فهو ذكي نبيه ، طلق اللسان ، واسع الاطلاع ، لطيف المعشر ، اشتهر بالصلاح والتقوى . وهو في الحقيقة لم يكن يقوم بمهمة التدريس فقط بل كان يقوم ايضا بمهمة التبشير والوعظ والدعوة والارشاد .

واول ما قابلني خاطبني بقوله ان حالة المسلمين في هذه البلاد تدعو الى الاسف العميق فهم على كثرتهم وانتشارهم :

ضعفاء ، فقراء ، جهلاء ، لايعرفون شيئا عن العالم بسبب المظالم المتتابعة التي صبت على رؤوسهم وقد عانيت مشاقا كبيرة في سبيل اصلاحهم وتهذيبهم .

ثم اطلعني على تقرير رفعه الى السلطات الايطالية ينطوي على مطالب المسلمين وذكر لي منها :

١ — حرية الديانة الاسلامية واحترام تقاليدهم وعاداتهم .

٢ — مؤازرة مدرستهم .

٣ — تعليم الديانة الاسلامية في مدارس الحكومة المزمع انشاؤها .

٤ — قبول عدد من المسلمين في الوظائف التي كانوا محرومين منها في العهد البائد .

زيارة المدارس

عرفني الشيخ يوسف علي يوسف على مترجم الحكومة وهو شاب ايطالي ولد ونشأ في مصر ويعرف العربية المصرية واسمه الكبورال ابراهاو وقد رغبت في زيارة المدارس الموجودة في ديره داوا فرافقني اليها مع الاستاذ المصري وزرنا اولا المدرسة الاسلامية .

ولما وصلنا اليها خرج الاساتذة والتلاميذ فاستقبلونا بالاناشيد العربية الجميلة .

وقد لاحظت ان عدد الطلاب قليل فهم لايزيدون عن الثلاثين فاظهرت استغرابي امام الشيخ يوسف علي فقال : لاتعجب فقد بلغ عددهم قبل الاحتلال الاخير (١٥٠) ولكن افتتاح المدرسة الفاشستية في هذه البلدة حملهم على الالتحاق بها لانها تؤمن لهم جميع حاجياتهم التي يحتاجون اليها من طعام ولباس وكتب وامكنة للنوم .

ثم انتقلنا من المدرسة الاسلامية الى المدرسة الايطالية الفاشستية فاذا بها تعج بمئات الطلاب من المسلمين ومسيحيين وقد استقبلونا بالنشيد الايطالي « الوجه الاسود » وهذا النشيد كثيرا ما سمعته في البلاد الحبشية يتغنى به الايطاليون وصغار الاحباش على السواء وهذه ترجمته :

« ايتها الحبشية الصغيرة ذات الوجه الاسود !!

نحن سنأخذك حرة الى روما — وستلبسين قريبا الثوب الاسود

انتظري الساعة فانها اقتربت — ساعة تخليصك من الرق والعذاب

وحينما نصل اليك سنقدم اليك — انظمة جـــديدة وملكا جديدا

وسنأخذك معنا الى روما ونسير — كلنا امام الملك وامام الدوتشي

والغريب ان صغار الاحباش كانوا يترنمون به بلذة وشغف وهم لا يفقهون معناه

ثم دخلنا الى احد فصول المدرسة فطلب الاستاذ من احد الطلاب ان يقسم القسم الفاشستي ففعل وهذه ترجمته باللغة العربية :

« اقسم بالله وبايطاليا بان انفـذ اوامر موسوليني وان ادافع عن ايطاليـا وعن مبادىء الثورة الفاشستية بكل شيء حتى بدمي عند الاقتضاء » . وقد لاحظت ان الاستاذ المصري كان يمتعض عند ما يسمع هذه العبارات لاسيما من شبان مسلمين كانوا الى الامس القريب من تلاميذه

وجهاء ديره داوا

في صباح يوم الثلاثاء الواقع في – ٩ – يونيو زارني في الفندق عـدد كبير من وجهاء المسلمين وتجارهم في ديره داوا اذكر منهم السادة . الشيخ عبد الله الصوفي « رئيس جمعية الشبان المسلمين » والشيخ احمد علي يحيى اليافعي ؛ والسيد عبـد الرحمن عبد الملك والسيد صالح قاسم الضبعان والسيد عبـد الواسع محي الدين والشيخ غالب محمد الجمال وكلهم من التجار المعروفين وكان حديثهم معي يتنـاول

الاضطهادات والمظالم التي كانوا يلقونها من الاحباش في العهد البائد ومطالبهم من الحكومة الجديدة .

وبعد انصراف هؤلاء السادة جلست انا والشيخ يوسف علي يوسف على انفراد وسألته بصفته مسلما مصريا غريبا عن هذه البلاد عن حقيقة المظالم التي سمعت عنها الشيء الكثير فقال :

اكتب ما امليه عليك بالحرف الواحد وانا اتحمل تبعته ووزره امام الله والتاريخ .

« ان ما لقيه المسلمون في هذه البلاد من العنت والارهاق مما لا تصدقه العقول (١) وانا لم اقصر ابدا في بسط الحالة تماما لمشيخة جامع الازهر فقد ارسلت اليها التقرير اثر التقرير حول هذه الشؤون وقد قلت في احد هذه التقارير : اذا سئل سائل من هم اذل مسلمي العالم لاشارت الاكف قبل الاصابع الى مسلمي الحبشة .

« ويكفي ان اذكر لك بانني عند ما وطئت هذه البلاد كان المسلم يوجس خيفة

---

(١) انشأت جريدة الجامعة العربية التي كانت تصدر في القدس والتي كانت تعتبر من الصق الصحف بسماحة المفتي الاكبر الحاج امين الحسيني مقالا في عددها الصادر بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٣٥ قالت فيه : (لم يوجد غير مسلمي الاندلس من اصابه العذاب الذي انصب مدة مئات من السنين على مسلمي الحبشة . وليس ذلك شيئا مضى وغاب في ظلمات التاريخ . بل في زمان قريب من هذا الزمن . اي منذ ستين او سبعين سنة صدرت اوامر الملك (يوحنا) نجاشي الحبشة باكراه المسلمين اجمع على التنصر . وتنصروا قاطبة في الظاهر . ورحل منهم قسم كبير وثار الذين قدروا على الثورة ولم تنته هذه الفظائع الا بموت (يوحنا) فعندها رجع المسلمون الى الاسلام ولكن بقي منهم جانب عظيم على النصرانية .

من مقابلتي حتى اذا اراد بعضهم زيارتي يزورني خلسة خوفا من ان يراهم الاحباش كأنهم ذاهبون الى دور الفحش والبغاء .

« ولعلك تستغرب هذه الحادثة التي سأرويها اليك فان الرأس — نصيبو — حاكم منطقة الاوغادين دعي الى المدرسة الاسلامية في هرر عند افتتاحها والقى خطابا قال فيه مخاطبا الطلاب المسلمين :

احذروا اساتذتكم ايها التلاميذ !!! ....

وهو بلا ريب يعني الاساتذة المصريين الذين اوفدتهم الجامعة الازهرية .

« والغريب ان المسلمين هم الذين كانوا يدفعون اكثر الضرائب دون ان يتمتعوا بشيء من الحقوق التي يتمتع بها الاحباش اضرب لذلك مثلا انه اذا مات احد الاحباش المسيحيين و كان فقيراً فالحكومة مضطرة الى دفنه على حسابها .

« اما المسلم اذا توفي فمها بلغت درجة عوزه واحتياجه فالحكومة تتركه كما تترك الكلاب ولا تقوم بواجب دفنه .

« ولعل اغرب من هذا كله هو ان الحكومة كانت تتقاضى من المسلمين ضريبة باسم (المعارف) ولكن مع الاسف كانت تنفقها على مدارس الاحباش فقط دون ان ينال المدارس الاسلامية منها قرش واحد » .

نظام الملكانيا والجبار

ثم تابع الاستاذ حديثه قائلا : ولكن كل هذه المظالم واعمال العسف تتضاءل امام الملكانيا والجبار الذي سأحدثك عنه فاسمع :

ان هذا النظام الغريب يقضي بمنح السيد الحبشي عدداً من الرجال المسلمين يتصرف بهم كيف يشاء ولا يسأل عما يفعل : فهم يطحنون له حبوبه ويزرعون له ارضه ، ويرعون له ماشيته ، وينزحون له مراحيضه ، ثم هم مكلفون فوق ذلك بدفع الضرائب التي قررتها الحكومة المركزية وهي غير معينة بحد ولا موقوته بوقت .

وكلما ارتقى الملكانيا الحبشي في المرتبة يجب ان يزيد مرتبه من المسلمين .

وليس لهؤلاء المستعبدين اي حق في الاعتراض والمناقشة حتى ولو استهدفوا للقتل .

ويقضي هذا النظام ايضا على الجبار المستعبد «بالفتح » من المسلمين اذا ذهب الى الملكانيا المستعبد «بالكسر » من الاحباش » بالضريبة المقررة عليه فان كانت من الذرة مثلا له ان يستبدلها بالبن لانه اغلى على ان لايفتح له الباب ولا يقابل سيده الا بعد ان يقدم الرشوة الكافية الى عبيد هذا السيد حتى يمكنوه من الوصول اليه .

وقد فرض هذا النظام بنوع خاص على جماعة من المسلمين (١) عرفوا باسم « الكوني » اى الفلاحون وهم اصحاب البلاد الحقيقيون والخلاصة فان هذا النظام المتبع (٢) وغيره من الانظمة الجائرة تجعل الاحباش يعيشون عالة على المسلمين » .

وقد ختم الشيخ يوسف حديثه هذا قائلا :

« كنت اقول بنفسي حينما اشاهد هذه المظالم واتلقف اخبارها ان الله اكرم من ان يترك عباده هكذا »

---

(١) قال الدكتور جورج مونتندون (الرحالة السويسري) في كتابه عن النخاسة في الحبشة . ان موظفي الحكومة الحبشيه الكسالى وغيرهم من الجنود هم عالة على الصوماليين والدناقلة واهل هرر وخصوصا اهل (غالة) (وهؤلاء كلهم مسلمون)

(٢) كانت الحبشة تحكم حكما اقطاعيا غريبا فكل مقاطعة يحكمها رأس مستقل في شؤونه الداخلية استقلالا تاما لا سلطة لاحد عليه ولكنه مرتبط من جهة اخرى بالنجاشي اذ يقدم له كل عام مقادير معينة من الاتاوات والضرائب وهذه يحصلها من الاهلين حسبما يشاء .

الى اليمين

الحاكم العسكري

في ديرەداوا (الحبشة)



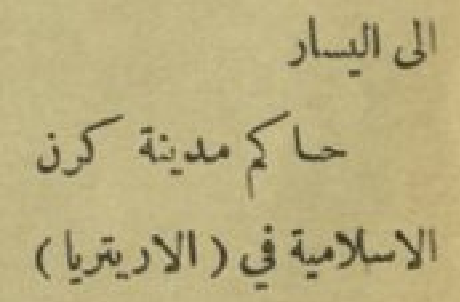


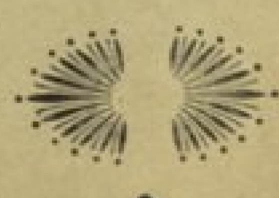


الى اليسار

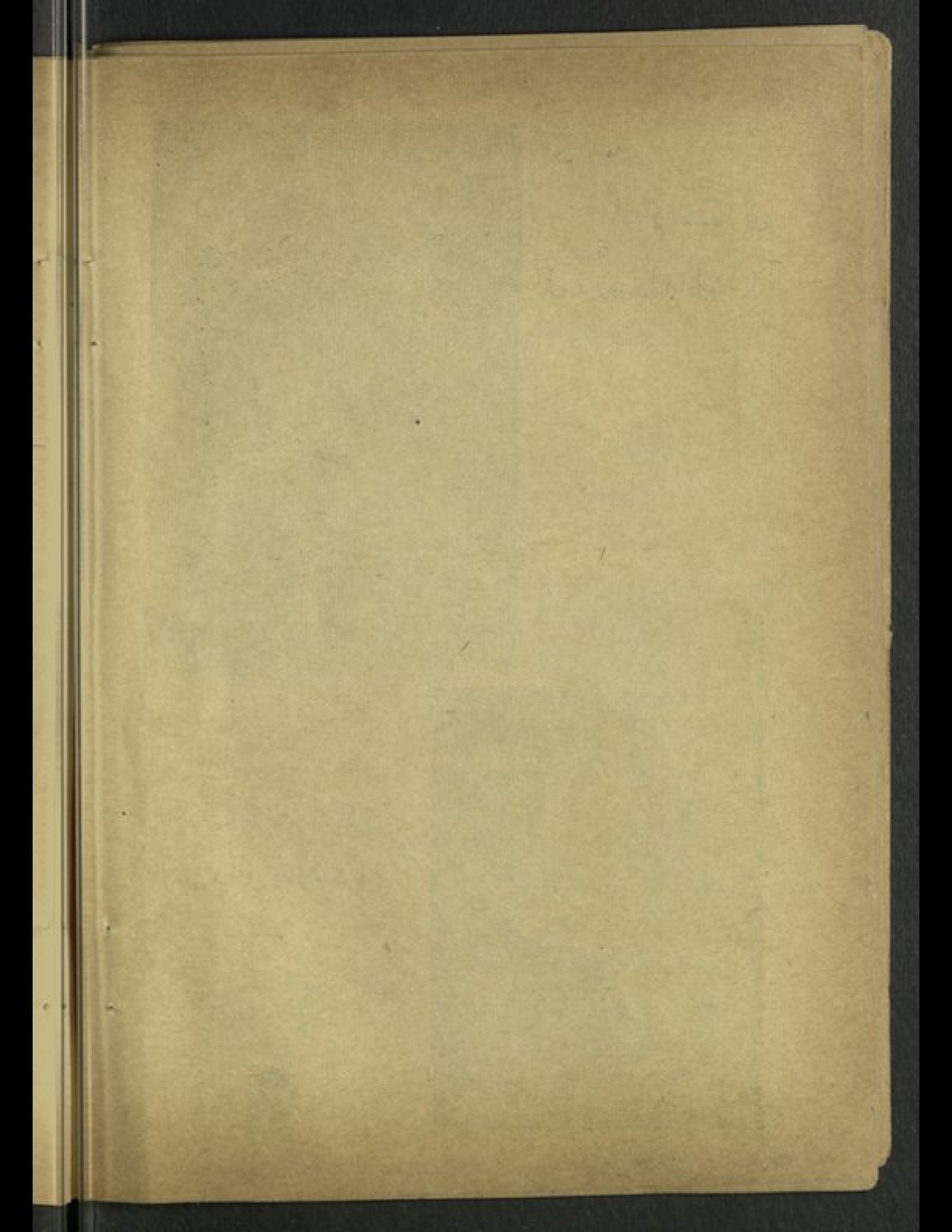
حاكم مدينة كرن

الاسلامية في (الاريتريا)







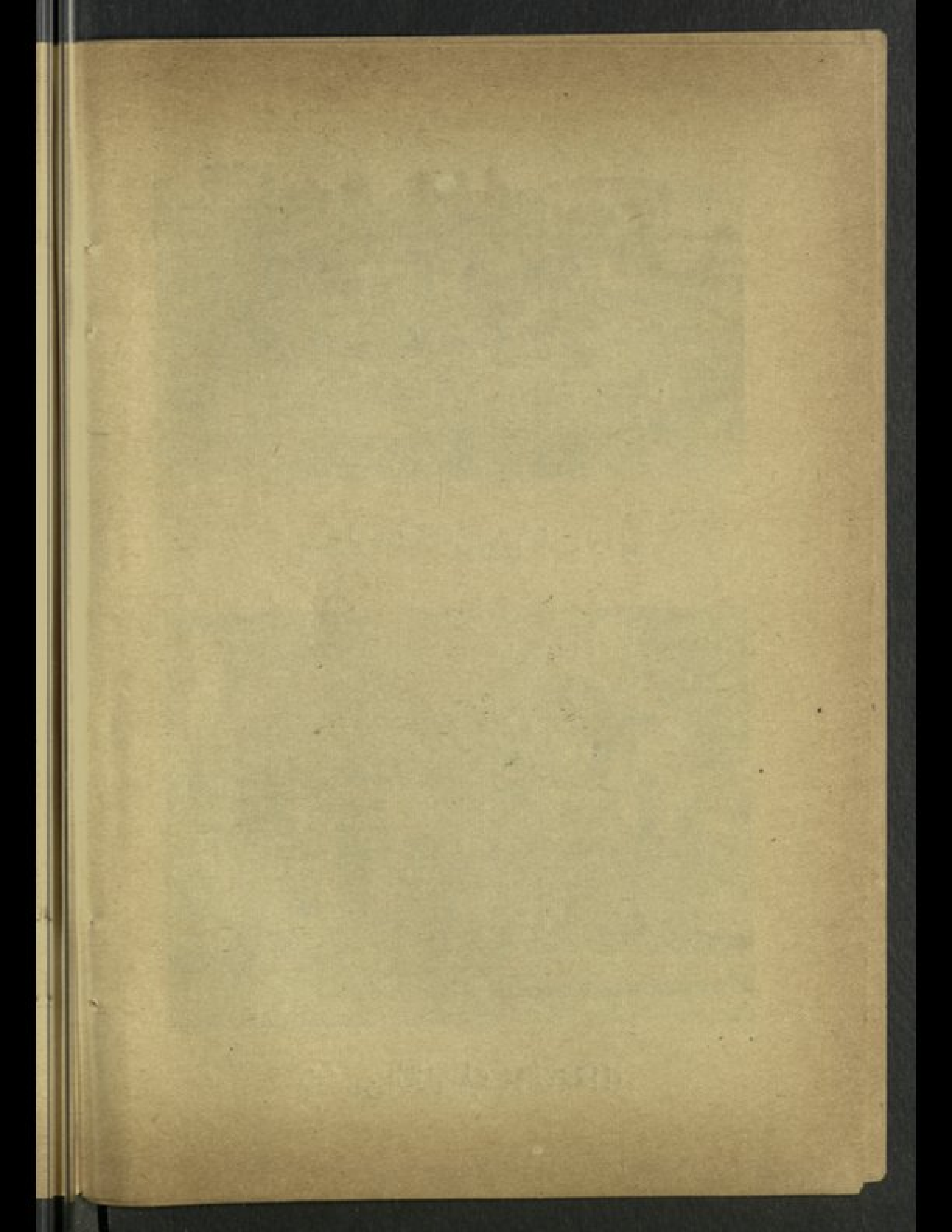




منازل حبشية والى جانبها منزل اوربي



منزل من المنازل الحبشية (الراقية !!)



احاديث عن الحرب الحبشية

اجتمعت اليوم بطائفة من الضباط والجنود الايطاليين وكان الحديث بيننا يدور حول الحرب الحبشية وقد اعترف لي احدهم بشجاعة الاحباش وقوة بأسهم ثم قال لكنهم لا يحسنون الحرب النظامية ولو انهم عمدوا الى حرب العصابات لما انتهت الحرب بهذه السرعة .

وابدى هذا الضابط « وهو يتمتع بمركز كبير في الجيش » اعجابه ببطولة القائد التركي وهيب باشا ومقدرته العسكرية وقال ان الجبهة والتحكيمات التي انشأها كانت محصنة تماما لولا ان الجنود الاحباش خذلوه ولم يعملوا باوامره .

وقد سألت احد هؤلاء الضباط عن استعمال الغازات الخانقة فاعترف لي بانهم كانوا يضطرون في بعض الظروف القاهرة عند ما يحدق بهم الخطر ان ينقذوا انفسهم باستعمال هذه الغازات .

وسألت ايضا عن حقيقة الاخبار التي اذيعت عن فتك الجنود الايطاليين بالاسرى الاحباش فقال لي احدهم : بان الجنود الاحباش هم الذين بدأوا باعدام الاسرى فاضطر الجنود الوطنيون من صوماليين وليبيين ان يقابلوهم بالمثل .

وعلى ذكر الجنود الوطنيين في الجيش الايطالي علمت بان تشكيلات الجيش المذكور تتألف من : الجنود الملكيين ، المليشيا ؛ رجال البوليس ، الجيش الليبي ؛ العسكري ، الدبا .

جميع الاقسام الاولى تتألف من الايطاليين واما الجيش الليبي فافراده مسلمون من طرابلس الغرب وهم يلبسون العمائم او الطرابيش والجيش العسكري يتألف من الجنود الصوماليين والارتيريين المتطوعين وهم يلبسون الطربوش ايضا . واما الدبا فهي عبارة عن مفرزات غير داخلة في الجيش النظامي ولا تسرى عليها القوانين العسكرية لانها تتألف من الصوماليين المسلمين الذين يلبسون الثياب الوطنية

« الابزار والمئزر » ويضعون على رؤوسهم العمائم البيضاء والجيش يعتمد عليهم كثيراً في شن الغارة — لانهم اشداء جدا وخبيرون باحوال البلاد.

وقد لاحظت ان بين الجنود الايطاليين غلمانا لايزيد عمر بعضهم عن الرابعة عشر وقال لي احد القواد العسكريين ولو اننا فتحنا باب التطوع على مصراعيه امام الولدان والاحداث لكان لدنيا جيش آخر لايقل عدد افراده عن الجيش الحالي

هرر ....

اخذت السيارة صباح يوم الاربعاء الواقع في (١٠) يونيو الى هرر وقد صحبني في هذه الرحلة الاستاذ الشيخ يوسف علي يوسف.

وهرر تبعد عن ديره داوا نحو (٦٠) كيلوا مترا كان يجب ان نقطعها في اقل من ساعة ولكن استغرقت المسافة معنا ثلاث ساعات تقريبا لان الطريق وعر جدا ويظهر ان حركات العصابات في تلك الجهات لم تكن قد قمعت تماما بدليل ان احد الضباط سلمني مسدسا للمدافعة عن نفسي كما وضع بندقية وقليل من العتاد الى جانبه وسلم السائق ايضا بندقية ثانية استعداداً للطوارئ .

وبعد ان ابتعدنا قليلا عن ديره داوا اخذت الطبيعة تبدو لنا في جمالها الفتان ومظهرها الرائع . وكانت الجبال الشاهقة التي تسلقناها مكسوة بالاشجار الباسقة والافنان الوارفة وكلما علونا فيها واقتربنا من هرر ازدادت هذه المناظر فتنة ورواء وباستطاعتي ان اقول وأؤكد بان هذه المناظر اروع جداً وابهى من مناظر الجبال في لبنـان .

وهرر مدينة جميلة جدا واقعة بين جبلين شاهقين تعلو عن سطح البحر نحو «٢٧٥٠» مترا اي انها اعلى من اديس بابا وسكانها كلهم ، الا قليلا جداً — مسلمون ويبلغ عددهم (٣٠) الفا ولكن يظهر انهم نقصوا قليلا في الايام الاخيرة .

وتعتبر مقاطعة هرر من اغنى مقاطعات الحبشة واكثرها خصبا وثروة ففيها زرع

البن المعروف بالبن المرري وفيها تنموا أنواع الفواكه والثمار والخضر والحبوب وتكثر فيها الحيوانات الوحشية والاليفة على انواعها وهي غنية ايضا بمعادنها

وعندوصولنا الى هرر توجهنا رأسا الى مقابلة نائب الحاكم العام «لان الحاكم كان غائبا» وهو برتبة كولونيل فاستقبلنا بلطف وحفاوة ثم قدم الينا ضابطا مسلما اسمه «خليفة خالد» وهو الضابط الطرابلسي الوحيد الذى بلغ رتبته رئيس «كابتن» في الجيش الايطالى وقد علمت انه اتم دراسته في المدرسة التركية ثم التحق بالحرب الطرابلسية «ضد الايطاليين» وابلى فيها بلاء حسنا ولما رحل الاتراك عن طرابلس الغرب استمر في قتاله وحروبه وكان يقود الجيوش المتطوعة بالاشتراك مع سليمان باشا الباروني ثم اسره الايطاليون وظل في معتقله ستة اشهر ثم اطلقوا سراحه وعرضوا عليه الانتظام في جيوشهم برتبته الاصلية فقبل .وقد اعجبوا بشجاعته وبسالته فاعتمدوا عليه كثيرا حتى اصبح من احب الناس الى المارشال — غراسياني

دعانا حضرة الكولونيل حاكم هرر الى تناول طعام الغذاء على مائدتـه فلبينا الدعوة وتعرفنا بهذه المناسبة على بعض القواد العسكريين وكان الحديث على المائدة متشعب الاطراف واردت ان اغتنم هذه الفرصة للوقوف على التدابير التي اتخذتها الحكومة الايطالية لمصلحة المسلمين فقال لي الكولونيل ان حكومته تفكر بجعل هرر مركزاً ثقافيا كبيراً للمسلمين في افريقيا ثم اخذ يعدد الاصلاحات المنتظر احداثها قريباً لمصلحة المسلمين .

قلت : ان الذي ارجوه كصحافي غريب عن هذه البلاد ليست له اية مصلحة خاصة ان لاتقعوا بمثل ماوقع به غيركم من المحتلين والمستعمرين اذ قربوا اليهم حثالة الناس من النكرات واصحاب الغايات وابعدوا وعنهم العناصر الصالحة واصحاب الكلمة النافذة والرأي الناضج .

فقال الكولونيل : انني اشكرك على هذه النصائح وأوكد لك باننا سنعمل بها

مسجد يحول الى كنيسة

بعد انتهاء طعام الغذاء توجهنا الى احدى الكنائس الحديثة وهي قائمة في احسن موقع من المدينة وقد علمت ان اصلها مسجد بناه المصريون عندما حكموا هرر وقد عمد الرأس ماكونن والد هيلاسلاسي الى تحويله الى كنيسة .

في المدرسة الاسلامية

ثم انتقلنا الى المدرسة الاسلامية فرأينا العمال يشتغلون باصلاحها بعد ان عبثت بها الايدي المجرمة في الحوادث الاخيرة وقد علمت انها انشأت باموال المسلمين وتبرع لها قنصل مصر في اديس بابا : ١٠٠ جنيه والامبراطور السابق: ١٠٠٠ ريال حبشي وطلب مقابل ذلك ان يوضع اسمه على باب المدرسة وقد بلغ عدد طلابها نحو «٥٠٠» طالب .

في منزل امير هرر

ثم تابعنا سيرنا الى منزل امير هرر «الامير سفيان» نجل الامير عبد الله وقد كان الاخير اميرا على مقاطعة هرر بعد انسحاب المصريين منها عام (١٣٠٢) من الهجرة

والامير سفيان كان من المغضوب عليهم من النجاشي السابق وقد اعتقله وربطه وكان له شقيق اسمه محمد اجبره منليك على اعتناق المسيحية ولكن مالبث ان عاد الى دينه الاصلي قبل وفاته .

عند ماقيل لي اننا ذاهبون الى منزل الامير سفيان توهمت اننا سنرى قصراً فخما يتفق مع مقام الامارة فاذا بنا امام كوخ وضيع واستقبلنا الامير سفيان وهو شيخ يناهز الخمسين قصير القامة اسود اللون فحيانا بذلة وانكسار وجلس القرفصاء امامنا واخذ يحدثنا عن حالته وحالة المسلمين بلغة عربية غير مفهومة

وقد القيت عليه عدة اسئلة وفيما يلي نص هذه الاسئلة واجوبته عليها

س : — هل لي ان اسمع قصتكم مع النجاشي واسباب اعتقالكم .

ج : — ان والدي الامير عبد الله كان حاكما على هذه المقاطعة بعد نزوح المصريين منها وكانت حكومتها اسلامية مستقلة ليس لاحد علاقة بها ولكن النجاشي منليك لم يشأ ان يترك هذه المملكة وادعة مطمئنة بل وجه اليها حملة عسكرية فدارت بين والدي وبينها معارك دامية اسفرت عن ضم هذه المقاطعة نهائيا الى المملكة الحبشية على ان تكون لها امتيازات خاصة وتم الاتفاق حينئذ بين النجاشي والامير على ان يدفع الاول للثاني في كل شهر (١٢٠) ريال كمرتب و (١٥٠) عبداً وان تعفى املاكه من الضرائب

وقد استمرت الحكومات التابعة على القيام بهذه التعهدات ولكن النجاشي الاخير هيلاسلاسي نكث بها وامر باعتقالي واتهمني بتهم كاذبة فربطوني مدة سنة كاملة . ولكي انقذ نفسي من العذاب في السجن اضطررت ان ابيع احد منازلي — واقدم القيمة الى الحكومة كي تفرج عني.

س : — ذكرتم أنهم «ربطوكم» فما هي طريقة الربط؟

ج : — قال انها تكاد تكون مقتصرة على المسلمين فالذي يغضب عليه النجاشي او احد الرؤوس يقاد الى السجن ويربط بسلسلة حديدية من يديه ورجليه بحيث لايستطيع حراكا . وربما قضى بعضهم اعواما طويلة على هذا الشكل .

س : — هل لكم ان تحدثونني عن درجة تدخل الحكومات السابقة في شؤونكم

ج : — حسبي ان اذكر لكم قبل كل شيء ان الحكومة البائدة حملت شقيقي على اعتناق الديانة المسيحية كما ذكرت لكم آنفا . انظر الى هذا الشاب الجالس امامكم ، قال ذلك واشار باصبعه الى شاب يناهز الخامسة والعشرين من عمره كان يستمع الى حديثنا ، انه ابن اخي وقد اكرهوه ايضا على نبذ دينه هو ووالدته .

وهنا سألت هذا الشاب عن اسمه فقال ان اسمه الاصلي (محمد) ولكن اسمه في عهد الاحباش كان (تقلا مريم) وكان موظفا بالجمرك .

وبعد تقلص ظل الحكومة السابقة عاد هو ووالدته الى دينهم الاسلامي

وبينما نحن في مجلس الامير سفيان اذ دخل علينا شيخ جليل القدر اسمه عمر وهو عم الامير سفيان ثم اعقبه شيخ طاعن في السن اسمه (يونس) وهو قاضي هرر وقد حدثني الشيخ عمر (وكانت لغته العربيه مفهومة اكثر من غيره) — حديثاً مستفيضا عن الادوار التي تعاقبت على هرر ولاسيما في عهد الحكام المصريين الذين عاصرهم وذكر لنا منهم عبد الرؤوف باشا (١) ومحمد نادي باشا ورضوان باشا وعلي رضا باشا واحمد رامي باشا .

وقال لي انه يعرف ايضا صادق باشا المؤيد الذي زار الحبشة مندوبا عن السلطان عبد الحميد العثماني وكان في عداد المشتركين في استقباله .

---

(١) كان رؤوف باشا الحاكم المصرى (لهرر) قد اصلح الفاسد من اخلاق الصوماليين واستمال قلوبهم اليه فتعلقوا بمحبته لانه قتل امير (هرر الذى اشتهر بظلمه وسوء سيرته ونشر في هرر الدين والعدل والنظام (الاسلام في الحبشة)

العادات السيئة

عند مسلمي هرر والحبشة

اثناء وجودي في هرر اخذت ادرس عن كثب حالة المسلمين من الناحية الاجتماعية والفكرية فساءني جدا ما رأيته من انحطاطهم وجهلهم وتأخرهم وقد يكون للمعاملات القاسية التي كانت تقوم بها الحكومات السابقة نحو المسلمين اثر في هذا الانحطاط والتأخر ولكن الى جانب ذلك يجب بان نعترف بان الاسلام الصحيح لايأمر اتباعه بالجبن والاستكانة والخنوع والضعة والخمول بل يأمرهم بالسعي والعمل المتواصل والاحتفاظ بالكرامات وعزة النفس كما يفرض عليهم ايضا طلب العلم والدفاع عن الاوطان .

واصرح بانني لم اكون فكرة صالحة عن مسلمي الحبشة عموما ومسلمي هرر بنوع خاص فقد شعرت بان اقصى ما يطمح اليه رؤساؤهم وزعماؤهم هو ان يستطيعوا القيام بواجباتهم الدينية الضرورية كالصلاة والصيام ثم تأمين معيشتهم وما عدا ذلك فلا قيمة له بنظرهم .

لقد سألت الامير سفيان الذي يعتبر اكبر شخصية اسلامية في هرر عن المطالب التي يريد المسلمون تحقيقها في عهد الحكومة الايطالية فكان جوابه :

انه يريد ان تعاد اليه وظيفة والده ، وان تجري عليه الحكومة مرتبا كافيا وان تمنح اخوته وابناء عمه مرتبات شهرية ايضا ، وان ترفع الضرائب عن اراضيه ... الخ

فاضطررت ان اقطع عليه كلامه الذي كان يتدفق فيه كالسيل المنهمر وقلت

له : هذه رغائبك الخاصة وانا اسألك عن مطالب المسلمين الذين تدعي تمثيلهم .

فسكت ولم يحر جوابا . ولا غرو فالذي علمته ان التدهور الاخلاقي والروحي بالغ اشده في نفوس القوم حتى كادوا يمرقون من الدين ، فقد انتشرت بينهم العادات الوثنية البالية والتقاليد الذميمة والخرافات السخيفة التي استطعت ان ادون طائفة مهمة منها فيما يلي :

القات

القات شجرة خبيثة ويسمونه في مصر « الدكتورا » وقد ادمن المسلمون في هذه الديار على تناوله بصورة بشعة حتى ان اكثرهم يؤثرونه على الطعام والشراب وقد انتقل اليهم على ماعلمت من بلاد اليمن (١) ويتعاطاها جميع المسلمين من كبيرهم الى صغيرهم ، وتأثيره على عقولهم ونفسياتهم عظيم جدا ؛ وقد غصت هرر — وديره داوا وغيرهما من البلدان الاسلامية بالمجانين الذين ذهبت عقولهم بسببه وقال لي الشيخ يوسف ان تأثيره يفوق تأثير المخدرات .

واراني الكابتين خايفة واحداً من هؤلاء المجانين جالسا في احد شوارع هرر يتناول القات ومنظره يدمي القلب .

وقد دعينا مرة الى تناول الطعام عند احد وجهاء المسلمين في ديره‌داوا فما كدنا ننتهي من تناول الطعام حتى رأيت المدعوين يريدون الانصراف وكان احدهم من (المتنورين) فسألته عن السبب فقال لانكتم عنك ياسيدي اننا من جماعة القات وقد حان موعد تناوله فنرجو ان تأذن لنا بالذهاب فقد تهيجت اعصابنا !!

ومما اذكره بهذه المناسبة ان احدهم يأكل في اليوم (قاتا) بنصف ريال ويترك زوجته واولاده عراة بدون طعام .

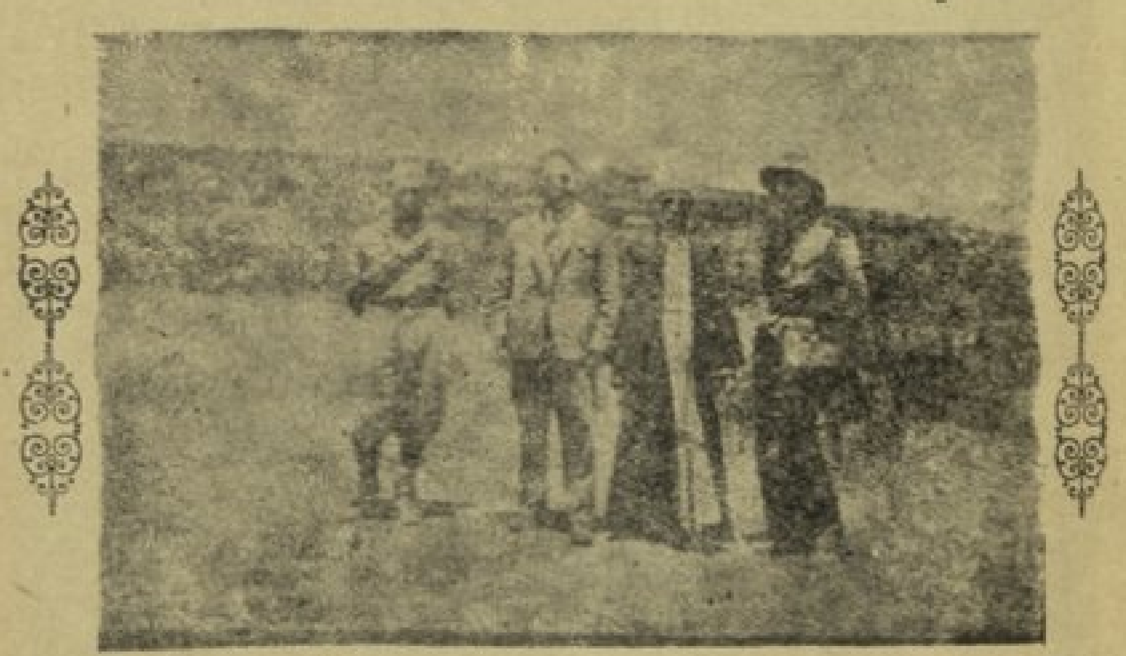
وقد وعدني الكابتين خليفة بان تعمل الحكومة على وضع ضرائب فادحة على هذا النبات حتى ينقطع دابره .

---

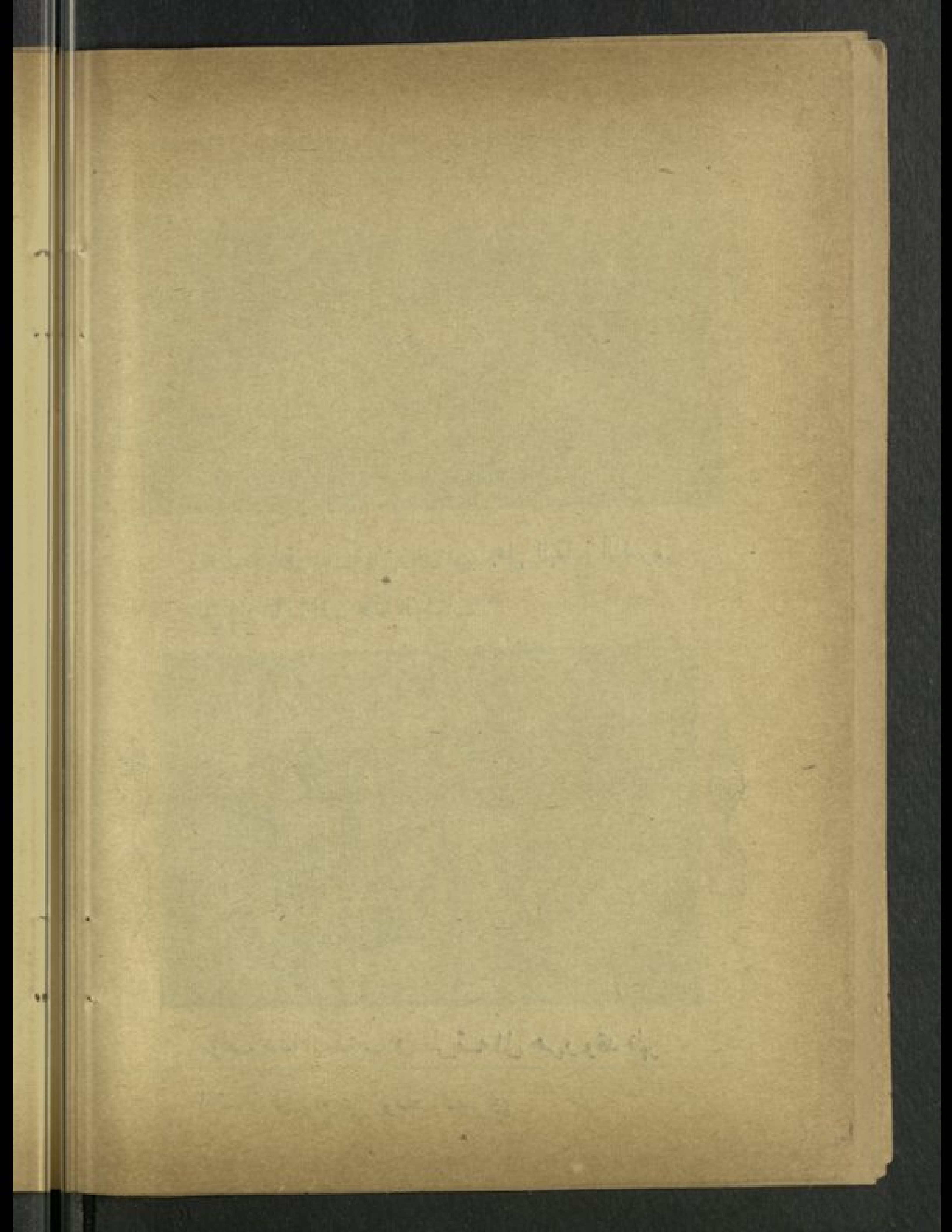
(١) ويقول اليمانيون انه جاءهم من الحبشة .



وادي عنبا قرب كرن وهو من اجمل البقاع النضرة
التي ز رها مؤلف هذا الكتاب



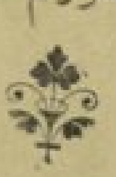
مؤلف هذا الكتاب في طريقه الى هرر وقد ظهر
الاستاذ الشيخ علي يوسف المصري





الى اليمين :

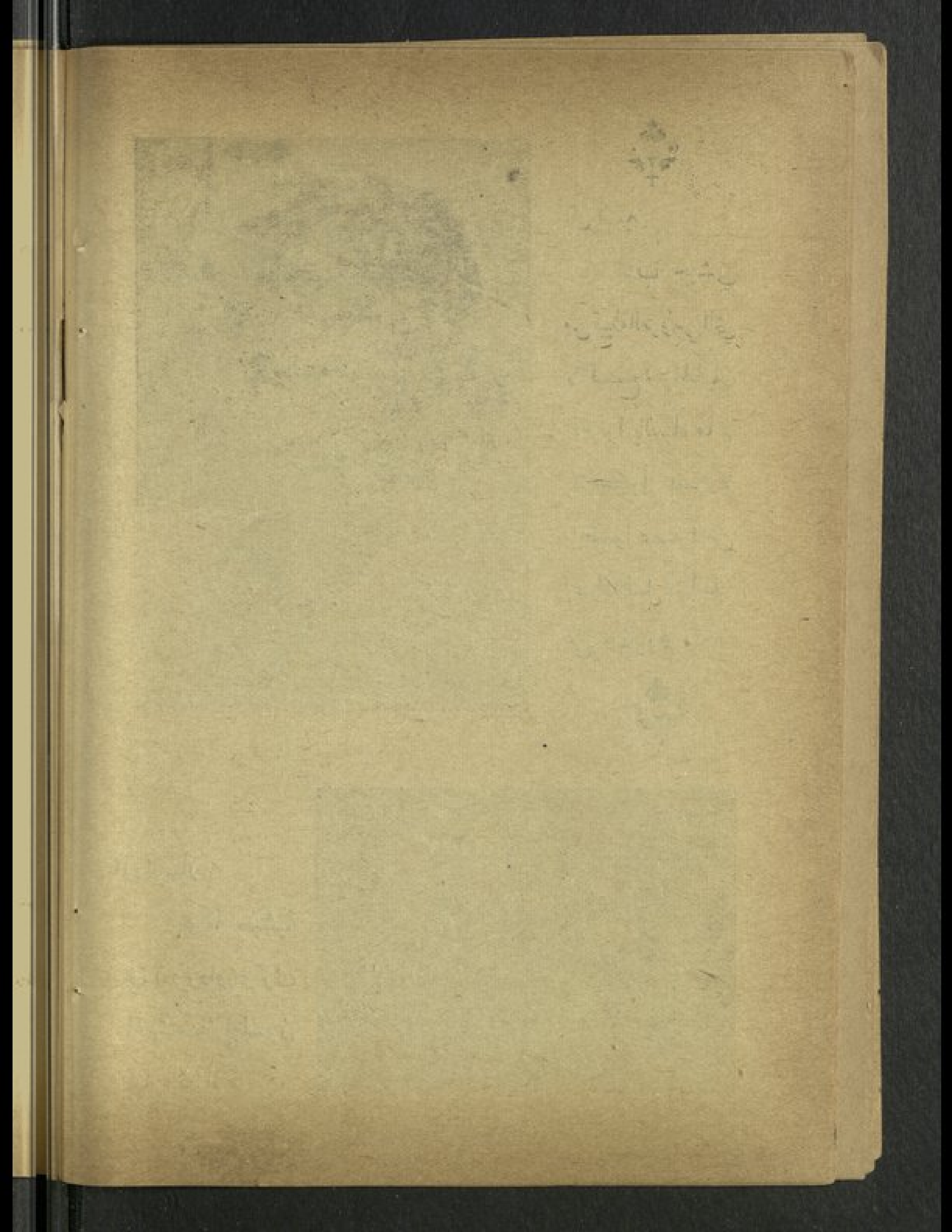
شاب حبشي من قبيلة العروسي التي لا تسمح لرجالها بان يقترنوا بالنساء ما لم يفتكوا بغيرهم ويضعوا عضواً من اعضاء القتيل التناسلية على صدورهم .





الى اليسار

محكمة حبشية في (ديرداو) وترى المستمعين يجلسون امام القضاة .



خياطة الفروج

ربما يستغرب ذلك القاريء ولكنها عادة شائعة عند مسلمي هرر والصومال والكوتبين وطريقة ذلك انه عندخفاض البنت « ختانها » يخيطون فرجها بشكل خاص مع ترك ثقب للبول خشية من ان يزنى بها .

ولهذه العملية نتائج خطيرة جدا لانهم يضطرون عند الزواج ان يفضوا بكارتها بآلات جارحة ولكي لاتشعر بشدة الآلام يحملونها على شرب كمية من الخمرة المعروفة بالطاجو والطالا .

ومن آثاره ايضاً — انها عند الجماع تشعر بآلام مبرحة . فتضطر الى الصياح والاستغاثة والدم ينزف منها بغزارة .

وكثيرا ما يحدث عند الولادة مضاعفات وقد يضطرون الى فتح الفرج بالموسى وقد وقعت وفيات عديدة بسبب هذه العادة السيئة .

التونصص

التونصص كلة امهرية ومعناها الرقص الخاص المعروف لديهم وهو يشبه الرقص الافرنجي « الدانس » وذلك انهم في الليلة التي يدخل فيها العريس على عروسه يجمعون فتيان المدينة وفتياتها ويقف كل فتى امام فتاة ثم يتراقصون متقابلين ويقتربان من بعضهما حتى يتصادما وتلتقي الصدور بالصدور فيصفق اعجابا لهم .

الميزى

الميزي كلة امهرية وليس لها مرادف فى اللغه العربية وهي عادة غريبة جداً لم يعرفها العرب وخلاصتها ان الزوج لايجوز له ان يكلم زوجته في الاسبوع الاول فلا بد من وجود واسطة بينهما وتلك الواسطة تكون عادة اصدق اصدقاء الزوج وهذامكلف بالنوم مع الزوجين في غرفة واحدة ليكون واسطة للتفام .

والزوج لايباح له الدخول على زوجته نهارا في الاسبوع الاول فاذا اراد شيئاً منها بعث اليها بذلك الصديق « الامين طبعا !! ... » فيقضي له حاجته !! ..

ضرب العروس

ومن العادات السيئة المنتشرة عند الصوماليين بنوع خاص ان العريس يشتري سوطا « كرباجا » ليلة الزفاف ولا يجوز له ان يقترب من زوجته حتى يوسعها ضربا ويدمي جسمها وعند ذلك يجوز له اتيانها ،

ويقال ان الغرض من ذلك ارغامها على طاعته !!!

المرأة تقوم باعمال الرجل

وقد اعتدادت المرأة المسلمة في هرر ان تقوم هي بجميع اعمال الرجل الذي تقتصر وظيفته على النوم وشرب القهوة وتناول القات وهي مسؤولة عن تدبير معيشته واحضار قوته .

عادة بشعة جدا

ومن العادات البشعة جدا في منطقة « العيسى » الاسلامية (١) .

انه لا يجوز للرجل ان يقترن بامرأة ما لم يعلق على صدره قضيب رجل « عضو تناسله » وللحصول على هذا العضو يجب قتل شخص « وعلى الاغلب يكون بريئا » فيقطع ذكره ويعلقه على صدره .

وقد كدت اكذب هذه العادة ولكن الشيخ احمد علي رئيس الشؤون الدينية في دبره داوا اكدها لي تأكيداً قاطعا وقال انه رأى تلك المناظر القبيحة بعينه .

---

(١) راجع عادات مسلمي مصوع في آخر الكتاب .

البكارة المفقودة

ومن الغرائب المدهشة والتناقض العجيب انه بينما يسرف مسلمو هرر والكوتيون في صيانة العرض ويخيطون الفروج واذا بمسلمي احدى المقاطعات يبيحون الفحشاء عن طريق الغرام واكد لي الشيخ احمد علي والشيخ يوسف بان البنت التي لم يفض بكارتها في تلك المقاطعة ولم تجد عشيقا ليس لها شأن ولا يتقدم احد بطلب يدها .

غرائب الاعتقادات

لمسلمي الاحباش اعتقادات غريبة جدا فهم يؤمنون بالسحر والشعوذة والطلاسم والتعاويذ والتمائم ، ويكثر عندهم المشايخ المشعوذين الذين ينهبون اموالهم عن طريق كتابة الحجب ومنح التمائم التي تمنع من الامراض وتحول دون تأثير الرصاص واصابة العين .

والطرق الدينية (١) منتشرة عندهم انتشاراً كبيرا واهمها الطريقة القادرية ولهم اعتقادات خاصة بالغوث الصمداني سيدي عبد القادر الجيلاني وبعضهم يحشره في زمرة الانبياء « !! » . واذا رأى احد مشايخهم وليا في منامه فقد اصبح من اللازم اللازب اقامة ضريح او مقام لذلك الولي في المكان الذي رآه فيه ، ولهذا فلا تكاد تخلو قرية او بلدة من مقام او ضريح .

العودة الى ديره داوا

بعد ان انجزت مهمتي في « هرر » عدت الى ديره داوا . ولدى وصولي اليها

---

(١) ان الطرق الاسلامية رغم ما تكتنفها من الشذوذ والنقائص فقد كان لها اثر فعال في تهذيب المسلمين وجمع كلمتهم ولا سيما طريقتي المرغنية في الارتيريا والقادرية (الجيلانية) في الحبشة والصومال .

دعاني الشيخ احمد علي يحيي « وهو من كبار التجار المسلمين » الى الغداء على مائدته في منزله وقد دعا بهذه المناسبة نخبة من اعيان وتجار المسلمين وبالغ كثيرا في اكرامنا وحسن وفادتنا ، وكانت مائدته تجمع على قدر الامكان بين المآكل الحبشية والاطعمة المصرية والافرنجية وفيما يلي اسماء الالوان التي قدمت الينا حسب اصطلاحهم :

زربيان : وهو عبارة عن ارز مطبوخ باللحم والزبيب وحب الهال والقرنفل والزعفران وغير ذلك من التوابل .

كوفته على ورق عنب : اي ورق عنب محشي باللحمة .

كوفته ناشفه وسلطة واصناف مختلفة من اللحوم .

واما الحلويات فقد تألفت من العيش الملوح « وهو الخبز المعجون بالسمن » والامبا « فاكهة حبشية » وفواكه اخرى موضوعة في العلب .

وقد ابى صاحب الدعوة واكثر المدعوين الجلوس معنا على المائدة مع انها كانت تستوعبهم جميعا رغم الحاحي المتكرر وقد لاحظت ان السر في هذا الامتناع هو للمبالغة في اكرامنا « اولا » ولانهم يريدون تناول الطعام بايديهم كعادتهم (ثانيا)

وبعد الانتهاء من الطعام اقبل المدعوون وجلسوا حولي ، واخذوا يحدثونني عن شؤونهم وقد حاولوا ان يظهروا ارتياحهم الى الحالة الحاضرة ولم استغرب ذلك منهم لان الارباح المادية التي اخذوا يجنونها في هذا العهد لم يكونوا يحلمون بها في السابق ، وهكذا فان للمادة الاثر الفعال في ذهنيات الشعوب والافراد !! ....

وقد قال الشيخ عبد الله الصوفي رئيس جمعية الشبان المسلمين وكان من المدعوين :

ان الله قد اقتلع من بلادنا تلك الشجرة الخبيثة « يعني الحكومة السابقة » واراحنا منها .

وقال الشيخ عثمان عبد الله باوزير : نحن الان راضون عن الحالة وانما ننتظر تحقيق الوعود ، والمستقبل لايعلمه الا الله .

وقال الشيخ احمد صاحب الدعوة : نحن نعلق كل آمالنا على الصحافة الاسلامية ولا نستطيع حراكا في هذه البلاد فنرجو ان تشملونا دائما بعنايتكم وتدافعوا عنا اذا اصابنا اي حيف في المستقبل .

مساجد ديره داوا

قمنا بجولة في احياء المدينة القديمة « القسم الاسلامي » وزرنا بعض مساجدها وقد اخبرني الشيخ يوسف علي ان ديره داوا اغنى بلاد الحبشة بالمساجد ففيها ٧ مساجد صغيرة اشبه بالاكواخ لا تستوعب الا عددا ضئيلا من المصلين ، وقد انشئت هذه المساجد كلها باموال المسلمين .

ولعل افخمها المسجد الكبير وهو واقع في الجهة الشرقية من المدينة ويستوعب ما لا يقل عن عشرة الاف شخص « داخلا وخارجا » وبناؤه نظيف وجميل وله مأذنة مرتفعة (بخلاف سائر المساجد) وارضه مفروشة بالاسمنت فقط ولايوجد عليها حصر او سجاد

في معسكر الدبا

ذكرت سابقا بان الدبا (بضم الدال وتشديد الباء مع فتحها) تطلق على المتطوعين الصوماليين في الجيش الايطالي « وكلهم مسلمون » . وقد دعاني لزيارة معسكرهم (مترجم الحكومة) .

فقمت بهذه الزيارة صحبة الاستاذ المصري الشيخ يوسف . وقد استقبلنا قائدهم بلطف وبشاشة واخذ يطوف بنا في ذلك المعسكر فالفيناهم حلقات « لانهم كانوا في حالة الاستراحة » مجتمعين حول شيوخهم لقراءة الاوراد والآيات

القرآنية . وقد تحدث الي احد مشائخهم وهو يحسن العربية جيدا فقال لي انهم يحافظون على صلواتهم وتقاليدهم كل المحافظة ولايسمحون للقواد والضباط الايطاليين بان يتدخلوا في شؤونهم وقال ان طعامهم يقتصر على البر « القمح » واللحم بشرط ان يكون مذبوحا بايديهم . ولا يشربون سوى الماء القراح ولا يعرفون الخمرة ولا الدخان ، واكثرهم يحسنون القراءة والكتابة .

وقد اثنى قائدهم « الايطالي » كثيرا على شجاعتهم وبسالتهم وقدم لي فتى صغيرا منهم لايزيد عمره عن (١٥) سنة اسمه عبد الرحمن محمد من بندر قاسم « في الصومال » وقال انه ابدى شجاعة خارقة لا تكاد تصدقها العقول فقد غامر بحياته في احدى المعارك وقتل نحو ستة اشخاص من الاحباش .

ومن اغرب ما علمته عن هؤلاء المسلمين الاشداء انه اذا حمي وطيس المعارك واحتدم القتال وصدحت موسيقى الايطاليين بنشيد الحرب فنشيدهم الوحيد ذكر الله والصلاة على النبي .

تاجر هرري

زارني في الفندق تاجر هرري كبير اسمه ابو بكر عبد الله ايوب وهو رئيس الجمعية الاسلامية الخيرية في هرر

وقد حدثني عن حالة المسلمين من الناحية المادية وقال ان اغنى مسلم في هرر لا يملك اكثر من خمسة آلاف ريال حبشي « ما يعادل خمسماية جنيه مصري » وجل المسلمين فقراء بائسون لايملكون شيئا من حطام الدنيا .

حديث عن الثورة السورية

بعد ان انجزت مهمتي في ديره داوا وهرر رأيت ان اعود الى اديس ابابافاخذت القطار صباح الاحد الواقع في ١٤ يونيو ، وكان اكثر الركاب في الدرجة الثانية

من اليونانيين والارمن العائدين من جيبوتي لاجل التجارة .

وقد لفت نظري بينهم شاب ارمني يحسن اللغة العربية فسألته اين تعلمتها قال في سوريه ، وقد توهم انني مصري ، فاخذ يحدثني عن سوريه وجمالها ، ودمشق وخيراتها ولبنان ومناظرها الفتانة ، وبيروت وحركتها التجارية . وقال انه احب هذه البلاد من صميم قلبه وهو يعلل نفسه بالعودة اليها .

فاستفسرت منه عن العمل الذي كان يتعاطاه في سوريا قال انه كان جنديا في الجيش الافرنسي واشترك في حرب الدروز . وقد رأيت بهذه المناسبة ان اتغابى قليلا واطرح عليه بعض الاسئلة عن حرب الدروز لاجل التسلية وتقطيع الوقت فقد كان بيننا وبين اديس ابابا نحو يومين كاملين .

فقلت له ماهي الاسباب التي حملت الدروز على شق عصا الطاعة والقيام بثورتهم المعلومة ؟

فقال : انهم فعلوا ذلك بتأثير السلطات الانكليزية فقداوهمتهم بان خزانة الحكومة في السويداء مملوءة ذهبا فيجب ان يستولوا عليها لانها اموالهم « كذا » وكانت من جهة اخرى تحرضهم على طلب الاستقلال اسوة بسورية التي نالت استقلالها في ذلك العهد « عام ١٩٢٤» !!......

س — هل كانت الثورة مقتصرة على الدووز فقط ام اشترك بها بعض من السوريون ؟

ج — كلا . فانها كانت مقتصرة على الدروز « كذا »

س — سمعنا ان دمشق ضربت بالمدافع فلماذا ؟

ج — شجر خلاف بين احد الجنود المتطوعين من الجركس واحد الدمشقيين ووقع اعتداء على هذا الجندي فاضطرت السلطة ان تدمر المدينة « كذا »

س — هل ابرز الدروز شجاعة تذكر في وقائعهم معكم ؟

ج — نعم . وقد كانوا يهجمون علينا بالسلاح الابيض ولا يخافون من النيران

وفي معركة ميشو التي كنت احد المقاتلين فيها فتكوا بخمسة الآف جندي .

ثم عاد صاحبنا الى الحديث عن دمشق وسحرها وعذوبة مائها وجودة هوائها ودماثة اخلاق سكانها و كان ينصحني كثيراً ان ازورها (!!) فوعدته ان افعل ذلك عن قريب .

دراسات جديدة في العاصمة الحبشية

عزيز سليمان شاب قبطي « من مصر » من خريجي الجامعة المصرية وقد كنت تعرفت عليه بمصر وكنا أنشأنا جمعية دعوناها باسم جمعية الوحدة العربية وعهدنا اليه بامانة سرها . ثم بارحنا الى الحبشة للتعليم في مدارسها بعد ان وعدنا بان يعمل على نشر مبادئ الجمعية في تلك الاصقاع (!!)

ثم انقطعت اخباره عني تماما ولاسيما بعد ان غادرت القطر المصري واقمت في دمشق.

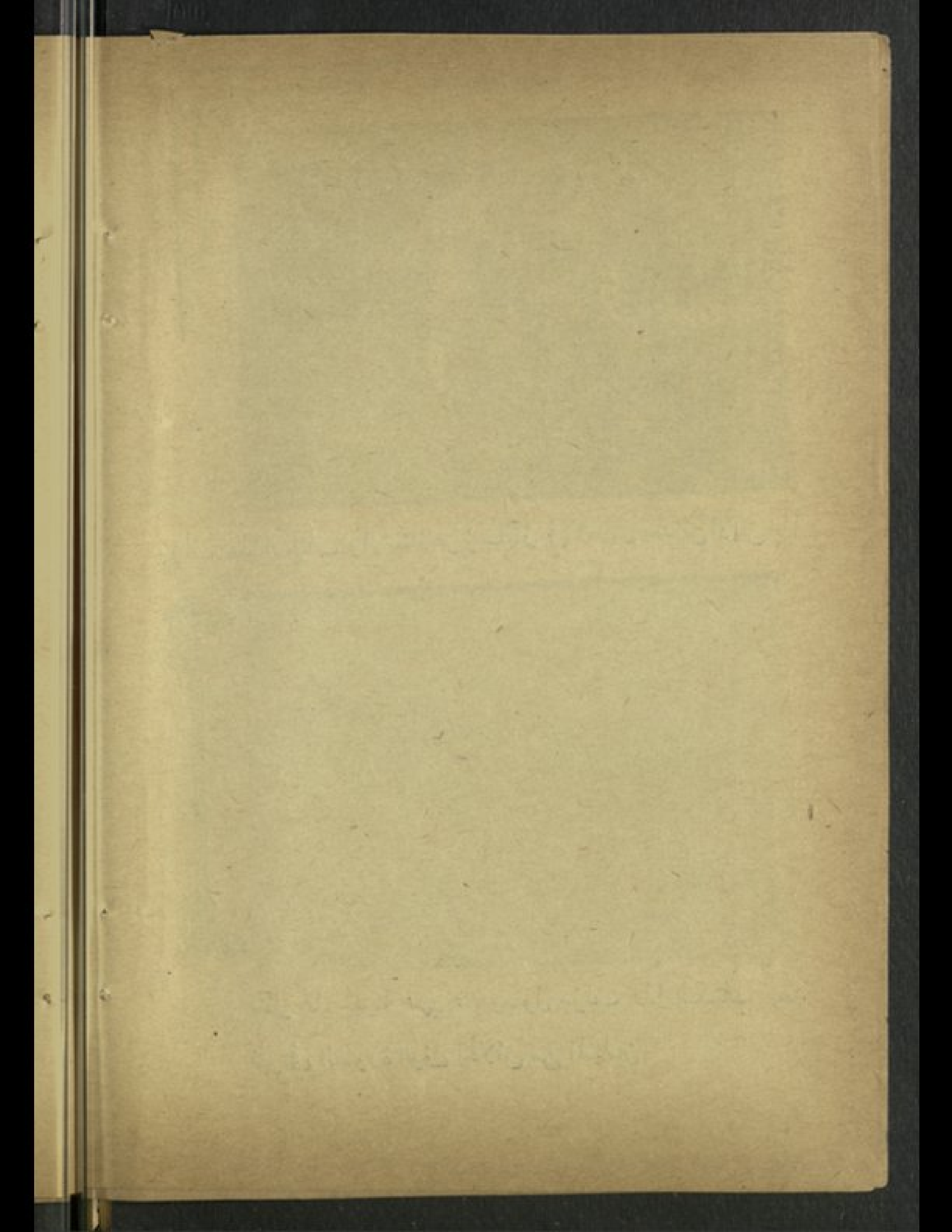
وبينما انا اتجول في شوارع اديس ابابا ذات يوم وانا مرتبك حائر لااعرف احداً ولا استطيع التفاهم مع احد لجهلي اللغة الامهرية « لغة الاحباش » والايطالية « لغة الحكومة » اذ لمحت عن بعد ثلاثة من الشبان وعلى رؤوسهم القبعات فظننت لاول وهلة انهم من ابناء الجالية اليونانية او الارمنية ، بيد انني سمعتهم يتكلمون بالعربية المصرية فاقتربت منهم واذا بي ارى بينهم صاحبنا « عزيز سليمان » فاقبلت عليه حالا ومددت يدي لمصافحته فمد يده الي بفتور ووجوم كأنه لايعرفني حتى اذا ناديته باسمه عرفني حالا واخذ يصافحني بحرارة وقد أبدى استغرابه لوجودي في اديس ابابا في مثل تلك الظروف العصيبة فذكرت له قصتي بحذافيرها ثم قدم لي رفيقيه وهما : جورج عبد الملك مدير مدرسة منليك وزاهر رياض استاذ في المدرسة المذكورة ثم اخذني الى الفندق الذي يقيم فيه « وهو فندق الامبريال » وراح يحدثني عما تعاقب عليه من الاحوال وما تقلب فيه من الاطوار.



مؤلف هذا الكتاب والاستاذ عزيز سليمان في احدى حدائق اديس أبابا



منظر هام لمدينة هرر عند وصول مؤلف هذا الكتاب وقد
ظهر في الصورة الوف الخلائق من المسلمين

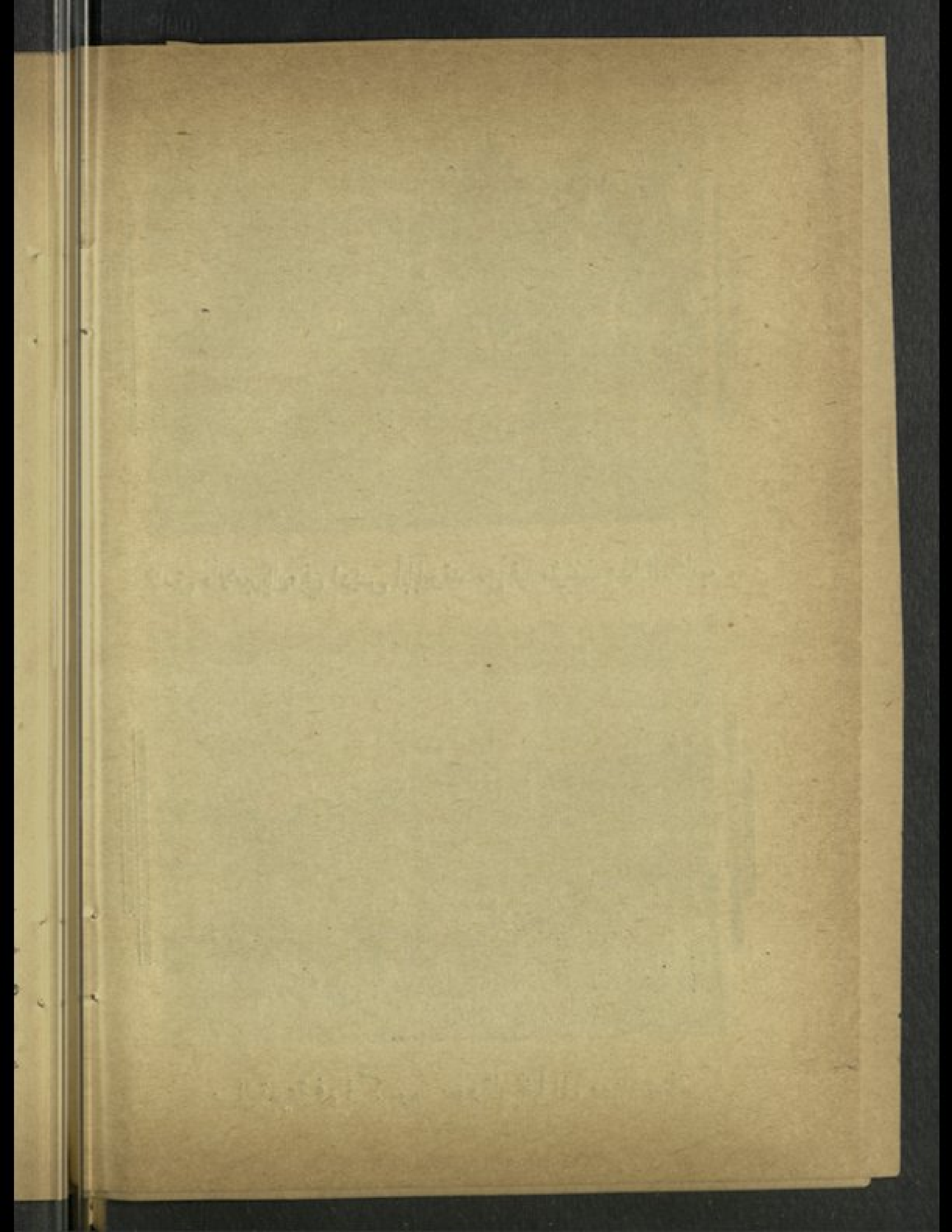




فندق «الامبريال» في اديس أبابا وقد حلّ فيه مؤلف هذا الكتاب



مسلة قديمة في اكسوم يعود تاريخها الى ١٣٠٠ سنة



وعند عودتي من دره داوا رأيته ينتظرني في محطة اديس ابابا وابى الا ان انزل في الفندق الذي يقيم فيه « فندق الامبريال » وقد استطاع ان يهيء لي سريراً في غرفته برغم ازدحام الفندق وعدم وجود مكان خال فيه

على انني لم اشأ ان ارفض هذا التكليف اذ رغبت ان اكون على مقربة من هذا الصديق الذي كان في الواقع سلواي الوحيد في تلك الديار النائية الموحشة وقد افادني كثيرا بمعلوماته واختباراته واتصالاته بجميع الاوساط الاسلامية والحبشية ولاغرو فقد مضى عليه في تلك الديار نحو اربع سنين .

شهادة لها قيمتها

قلت ان حديث الاخ عزيز سليمان معي كان يتعلق باحواله الخاصة فقط ثم اخذ ينتقل بالتدريج الى الكلام عن الحالة العامة والحكومة السابقة والاحتلال الايطالي فرأيت الفرصة سانحة لاستطلاع رأيه فيما انتهى الي من المعلومات عن الاحباش ومعاملتهم للمسلمين فقلت له : انك تعرف جيداً ياعزيز مقدار ما اكنه لك من المودة والاخلاص ومبلغ ثقتي باقوالك واعتمادي عليك فانا جئت الى هذه الديار لدراسة احوال اخواني المسلمين فيها بنوع خاص فاستحلفك بدينك وشرفك وكل عزيز لديك ان تدع عصبيتك الطائفية جانباً وتخبرني عما اذا كان مابلغني صحيحاً عن المعاملة السيئة التي كان يقوم بها الاحباش نحو المسلمين .

فقال : انني رغم قبطيتي فان صلتي بالمسلمين وثيقة جداً ، وبيني وبين رؤسائهم علاقات ودية صحيحة فانا اغار على مصالحهم بقدر مايغارون عليها هم انفسهم ، وعلى ذلك فان حديثي معك سيكون مجرداً عن جميع الاهواء والنزعات .

واعلم قبل كل شيء ان الشعب الحبشي ليس كما تنشرون عنه في صحفكم وتقرؤون عنه في بطون الكتب فانا احمد الله الذي اتاح لك زيارة هذه البلاد لتطلع بنفسك على حقيقة الحاله وتدرس اخلاق هذا الشعب عن كثب وتشعر بمقدار ماقاساه

المسلمون في هذه الديار من اهوال ، وكابدوا من آلام ، وتجرعوا من غصص وهنا اخذ الاستاذ سليمان يعدد نقائص الاحباش وعوامل تأخرهم وانحطاطهم واسباب انهيار ملكهم وافول نجم حكومتهم مما لا أرى لزوما لذكره في هذا الكتاب وانما اكتفي بتدوين ماقصه علي الاستاذ سليمان من مزايا المسلمين وفضائلهم وكان حديثه هذا بحضور الاستاذ جورج عبد الملك الذي كان مديراً لمدرسه منليك في عهد الحكومة السابقة وهو شاب قبطي ايضا مثقف ثقافة عالية ، وكان يؤمن على كلام رفيقه ويزيده ايضاحا في بعض المواطن :

١ — ان المسلمين في هذه الديار معروفون برقية حاشيتهم ودماثة اخلاقهم وتهذيبهم

٢ — ممارسة المسلمين لواجباتهم الدينية تحملهم على العناية الدائمة بنظافة ثيابهم واجسامهم بعكس الاحباش الآخرين .

٣ — المسلمون اكثر تمسكا باهداف الفضيلة وبعداً عن الرزيلة والفواحش ومحافظة على عفاف نسائهم .

٤ — اللؤم والغدر والشقاوة والاجرام وحب الانتقام وكراهية العناصر البيضاء لاتجد لها أثراً عند المسلمين الذين عرفوا الوفاء والشمم وكرم الاخلاق

٥ — المسلمون رغم جهلهم وتأخرهم « بسبب منعهم من دخول المدارس الحبشية » اكثر استعدادا لاقتباس قواعد المدنية الحديثة .

٦ — بينما تجد الامراض الزهرية والسرية منتشرة انتشاراً مريعا في جميع الاوساط الحبشية « نساء ورجالا » فان انتشارها محدود جدا في الاوساط الاسلامية .

وقال الفريق صادق باشا المؤيد في كتابه (رحلة الحبشة ما يلي بالحرف الواحد) .

الاحباش المسيحيون — ما عدا اكابرهم — لا يغسلون اجسامهم ولا ملابسهم فلذلك لا يصعب على الانسان بعد مخالطتهم برهة قليلة ان يفرق بين المسيحي والمسلم لان المسلم يجدد وضوءه كل يوم جملة مرات وتظهر آثار ذلك عليه . والامراض المعدية القتالة مثل الزهري وغيره منتشرة بين عامة الاهمريين المسيحيين لكثرة اختلاط النساء بالرجال . واما المسلمين فقلما تنتشر فيهم هذه الامراض .

زيارة وجهاء المسلمين وغيرهم

على اثر عودتي من « هرر » زرت قلم المطبوعات وقدمت اليه بعض ملحوظات عن حالة المسلمين في هرر والوسائل التي يمكن اتباعها لرفع مستواهم واصلاح شؤونهم وطلبت ان ترفع هذه الملحوظات الى سعادة المارشال « نائب الملك » ليبدي رأيه فيها .

ثم شمرت عن ساعد الجد واخذت اتصل بزعماء المسلمين واعيانهم في اديس ابابا وكان الاخ عزيز سليمان خير عون لي على اداء هذه المهمة .

وقد بدأنا اولا بزيارة محمد السيد المحضار وهو من كبار التجار المسلمين في اديس ابابا واصله من حضرموت وقد مضى على وجوده في تلك البلاد نحو ثلاثين سنة .

ولما علم بمهمتي الصحافية اخذ يشرح لي حالة المسلمين ويعدد لي آلامهم وآمالهم وقال : ان اول ما ينشده المسلمون في العهد الجديد ان يعم مبدأ المساواة بين جميع الطوائف والعناصر لانه كان مفقودا في الماضي وقد عاملت الحكومة السابقة مسلمي هذه البلاد بعنف وشدة وحرمتهم من التعليم لانها حاذرت ان ينهضوا ويطالبوا بحريتهم .

ثم ان المسلمين يأملون من السلطة المحتلة ان تبر بالوعود التي قطعتها لهم بشأن نشر التعليم الديني والعصري .

ومما ذكره لي السيد المحضار « وكنت سمعته ايضا من غيره » ان الضريبة التي كانت تجبى من المسلمين باسم المدارس كانت تنفق على مدارس الاحباش فقط ولما اعترض فريق منهم على ذلك كان الجواب : انكم اجانب عن هذه البلاد فارحلوا الى الحجاز .

ثم قال : ان المسلمين يطلبون ايضا ان يكون حكام المقاطعات الاسلامية منهم قلت هذا طلب حق ولكن هل لديكم الاشخاص الاكفاء الذين يصلحون لمثل هذه الاعمال .

قال : باستطاعة الحكومة ان تدرب ابناءنا على الوظائف ، وليس الاحباش ارقى من المسلمين .

قلت : وهل لكم مطاليب اخرى . قال : نعم اعادة الاملاك المصادرة من قبل الحكومة السابقة الى اصحابها فقد جرت تلك الحكومة على قاعدة غريبة لسلب المسلمين املاكهم وذلك اذا تزوجت الفتاة المسلمة باحد المسلمين الوافدين« من غير الاحباش » فلا يحق لها ان ترث وبذلك يضيقون عليها الخناق ويحرمونها من نصيبها الشرعي من الارث بحجة المحافظة على الاملاك الحبشية وعدم تسربها للاجانب !!

ثم زرنا السيد محمد بهارون وهو من التجار المسلمين الذين هاجروا من حضرموت ايضا وكنت تعرفت على نجله « سالم » الذي رافقني من جيبوتي كما تقدم وهو شيخ جليل دمث الاخلاق لطيف المعشر فكان حديثه لايختلف عن حديث السيد المحضار .

ومن ارقى الشباب المسلمين الذين تعرفت عليهم في اديس ابابا السيد علوي الصافي ، وهو من مؤسسي نادي الاتفاق الاسلامي والمدرسة الاسلامية ، واصله من حضرموت ولاحظت انه يحمل عاطفة دينية وقومية سامية وقد عرفنا في منزله على

ثلاثة من مشايخ المسلمين وهم : الشيخ خاتمة احمد من « افات » والشيخ عمر طلحه من « ولو » والشيخ سراج من « ولو » .

وعرفني الاستاذ عزيز سليمان على رجل مصري « من اصل سوري » اسمه يوسف حبيب بشاره كان استاذا في مدارس الاحباش ، ثم عهدت اليه حكومة النجاشي السابق بادارة قسم الدعاية والاستعلامات ، وقبل عشرين سنة كان مترجما للقنصلية الايطالية في الحديدة . ثم توطن في هذه البلاد واقترن بامرأة حبشية . جاءه منها عدة اولاد وقد امدني بكثير من المعلومات التي احتاج اليها في دراستي .

واليمانيون الموجودون في اديس ابابا يعتمدون عليه كثيراً ويرجعون اليه في حل مشاكلهم وقضاء مصالحهم لدى الحكومة .

السوريون في الحبشة

يوجد في اديس ابابا قليل من السوريين يتعاطون التجارة والتدريس ولا يزيد عددهم عن العشرين وتعرفت على احدهم السيد طنوس كرم من كبار التجار العصاميين اصله من بيت شباب « لبنان » وقد استطاع بجده ونشاطه ان يؤسس لنفسه مركزا تجاريا ممتازاً ويساعده اشقاؤه في اعماله التجارية .

ومن السوريين الذين تعرفت عليهم في اديس ابابا الاستاذ خليل غالب مراسل الاهرام والاستاذ سليم ابو شقرا المدرس سابقا في مدارس الحكومة والاستاذ طنوس ملحمه من الادباء .

سوري يحكم مقاطعة حبشية

ومما نمي الي ان رجلا سوريا اسمه « مجيد عبود الاشقر » اصله من بلدة مرجعيون قدم الي الحبشة منذ عشرات السنين وتزوج بامرأة حبشية وتعلم الامهرية واستطاع بنشاطه ودهائه ان يلعب دورا هاما في السياسة الحبشية وقد اعجب به الملك

السابق وقربه اليه وعينه حاكما على مقاطعة « يمبو » في غربي الحبشة (على حدود السودان) وعند وصولي الى اديس ابابا كانت هذه المقاطعة لا تزال بعيدة عن النفوذ الايطالي .

مآدب حبشية

اقام لي الوجيه السيد احمد عبد الله ادريس [من كبار التجار المسلمين في اديس ابابا مأدبة غداء شائقة دعا اليها نخبة من وجهاء المسلمين في العاصمة الحبشية والاستاذ عزيز سليمان والاستاذ عليوه المدرس في المدرسة الاسلامية .

وقد مد سماط كبير ووضعت عليه الاطعمة الحبشية تتوسطها اطباق الارز وقد صنع على الطريقة الحبشية مضافا اليه حب الهال والزعفران والتوابل (١)

وادب لي ايضا الاستاذ يوسف حبيب مأدبة دعا اليها الاستاذين جورج عبد الملك وعزيز سليمان وقد اعد لنا طعاما حبشيا صرفا مبتدئا بالخبز الحبشي وهو لا يشبه الخبز المألوف عندنا بوجه من الوجوه لانه لا يصنع من القمح وانما يصنع من حبوب دقيقة كالسمسم ويسمونها « تيف » وشكله الظاهري يشبه القطايف المعروف في بلادنا ولم اتمكن من ازدراده لان طعمه حامض قابض ، ثم قدم لنا لون من الطعام يسمى « حبشة واط » وهو عبارة عن دجاج مطبوخ بالتوابل الحارة ومضاف اليه بعض الحشائش الغريبة (٢)

---

(١) كنت اشعر عندما تقدم لى القهوة في الحبشة بملوحة في طعمها وبعد الاستفسار علمت ان ذلك من وسائل اكرام الضيف لان الملح غال جدا فى تلك البلاد وكلما كان الضيف عزيزا زاد كمية الملح بالقهوة

(٢) للاحباش نوع من الطعام اسمه (سيرو) وهو يتألف من عجين يطبخ بالماء ويضاف اليه الفلفل الاحمر ولكنني لم اذق طعمه اثناء زيارتي لتلك البلاد .

الحاج براسو

ودعاني الحاج براسو من الزعماء المسلمين الاحباش الى حفلة شاي اقامهـا في منزله دعا اليها حضرة قاضي المسلمين ونخبة من المسلمين الاحباش واليمانيين والحضارمة والصوماليين وكانت حفلة ممتازة استغرقت ثلاث ساعات ، وقد ازدانت المائدة بانواع الحلويات الهندية والحبشية والاوربية ، وكانت روائح البخور الزكية تفوح منها .

وقد قال لي الحاج براسو صاحب الدعوة انني احب من هـذه الدنيا ثلاثا : البخور والخيل والنساء .

ولا بد لي قبل الخوض في الاحاديث التي دارت في هذه الحفلة والتي استغرقت نحو ثلاث ساعات من التمهيد لها بكلمة عن هذه الشخصية الاسلامية العجيبة واعني بها شخصية الحاج براسو الذي يجله المسلمون ولا سيما الهرريين كثيرا .

ان اسم الحاج براسو الحقيقي محمد عبد الله و براسو لقبه وهي كلمة هررية معناها (بثراي) وهو من بيت قديم في هرر خفيف الروح ، سريع البديهـة ، حاضر النكتة ، يناهز الستين ، ولكن مظاهر الفتوة والنشاط كانت تتجلى في وجهه .

وقد اتصل بملوك الاحباش ونال خطوة لديهم وقـد استفاد منهم استفـادات مالية وادبية كبرى . ثم عرفه التاجر الهندي الكبير محمد علي (صاحب المؤسسة المعروفة باسمه في الحبشة) فقربه اليه واعتمد عليه في اهم الاعمال التجارية فاستطاع ان يجمع عن هذا الطريق ثروة لايستهان بها .

وقد قيل لي ان النجاشي السابق هيلاسلاسي كان يستشيره في جميع شؤون المسلمين ويعتمد عليه في اخضاعهم .

والحاج براسو معروف في الاوساط الحبشية بانه مزواج يحب النساء وقد اعترف لي هو نفسه بأنه اقترن بثمانين امرأة وقد طلقهن جميعا ولم يبق لديه سوى

اثنتين ويقال انه خطب فتاة صغيرة رغم شيخوخته وتقدمه في السن وقد جاءه ثلاثون ولداً لم يعش منهم سوى واحد .

والغريب ان الحاج براسو على ما يظهره من التقوى والورع والاهتمام بشؤون الدين يتناول القات يوميا بشراهة ، وهو يعتبره ضروريا للانسان كالطعام .

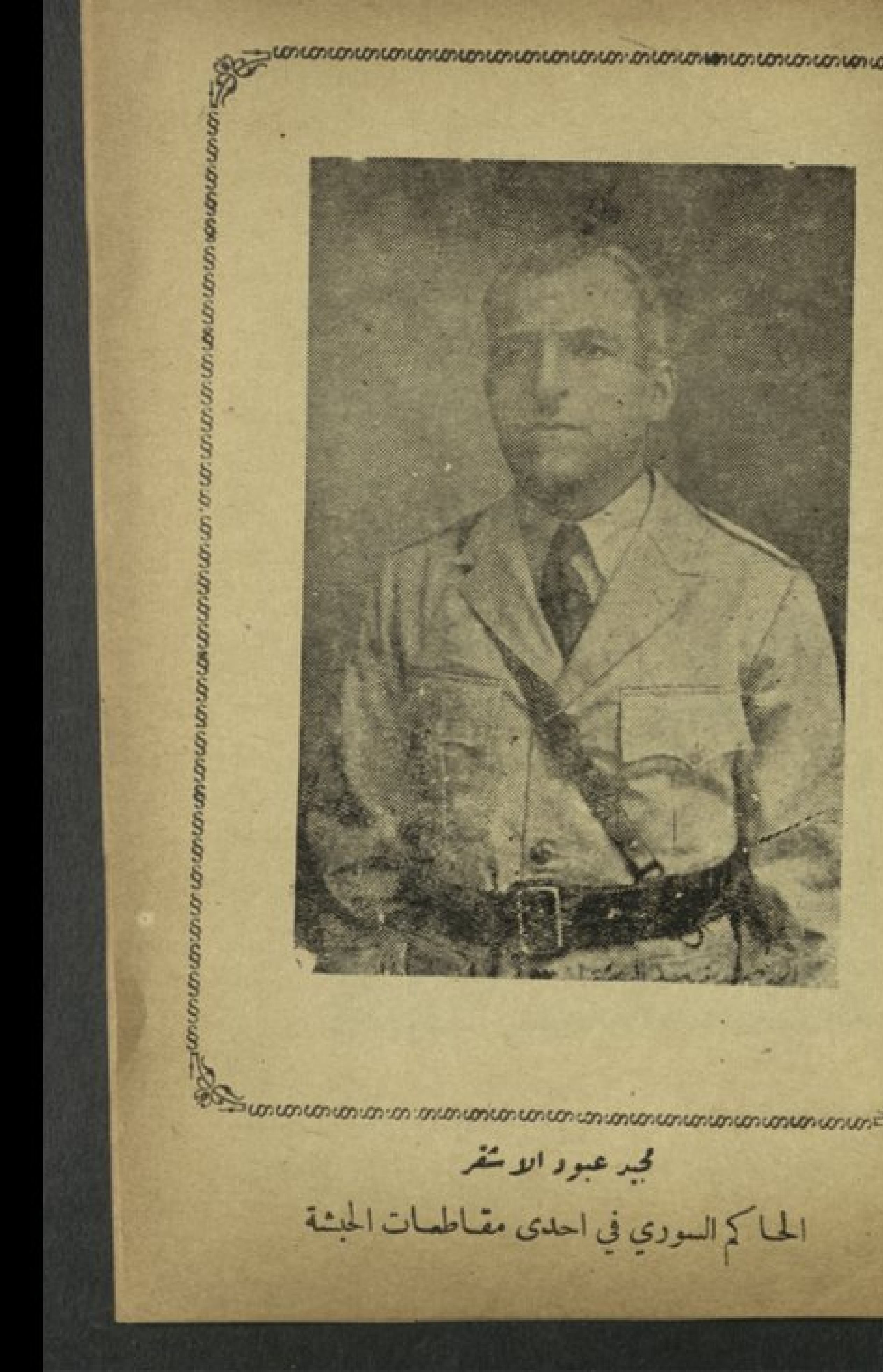
وقد اخبرني الحاج براسو انه يعرف صادق باشا المؤيد مندوب السلطان عبد الحميد عندما زار الحبشة وقابله مراراً ، وكانت الحكومة قد وكلت اليه امر تدبير ضيافته وتسهيل اقامته في هرر وكان صاحبنا الحاج براسو « او محمد عبد الله » لا يزال حديث السن ، وقد حاول صادق باشا ان يقدم له مبلغاً من المال لقاء خدماته فاعتذر وابى ، وكان جوابه للباشا « كما قال لي الحاج براسو نفسه » : ان احوالي والحمد لله حسنه فان شئتم قدمت انا اليكم مبلغاً مثله !! فابتسم الباشا وقد كافأته الحكومة العثمانية على خدماته باهدائه وساماً .

احاديث براسو

لقد كنت مغتبطاً الى الاجتماع بالحاج براسو وسماع احاديثه لانه يعتبر من اكبر الموالين للحكومة السابقة ، فهو الوحيد الذي لايعترف ابدا باضطهاد الاحباش للمسلمين وأكد لي بان الحكومات الماضية لم تكن تتدخل في الشؤون الدينية .

وكان المسلمون يمارسون جميع عباداتهم ومعاملاتهم حسب منطوق الشريعة الغراء وان ما يشيعه البعض من ان الحكومات الحبشية كانت تمنع المسلمين من بناء المساجد لاظل له من الحقيقة ويقول الحاج براسو : وقد بلغ من احترامهم لشعور المسلمين انهم كانوا يصرحون لهم بالتجول ليلا في شهر رمضان المبارك لاداء صلاة العشاء والتراويح مع ان التجول في العهد السابق ممنوع بتاتا كما انهم لم يعارضوا المسلمين في انشاء مدارس خاصة بهم ولم يتدخلوا في شؤونها مطلقا »

والحق يقال انني سررت جدا لصراحة هذا الزعيم المسلم فاضطررت ان

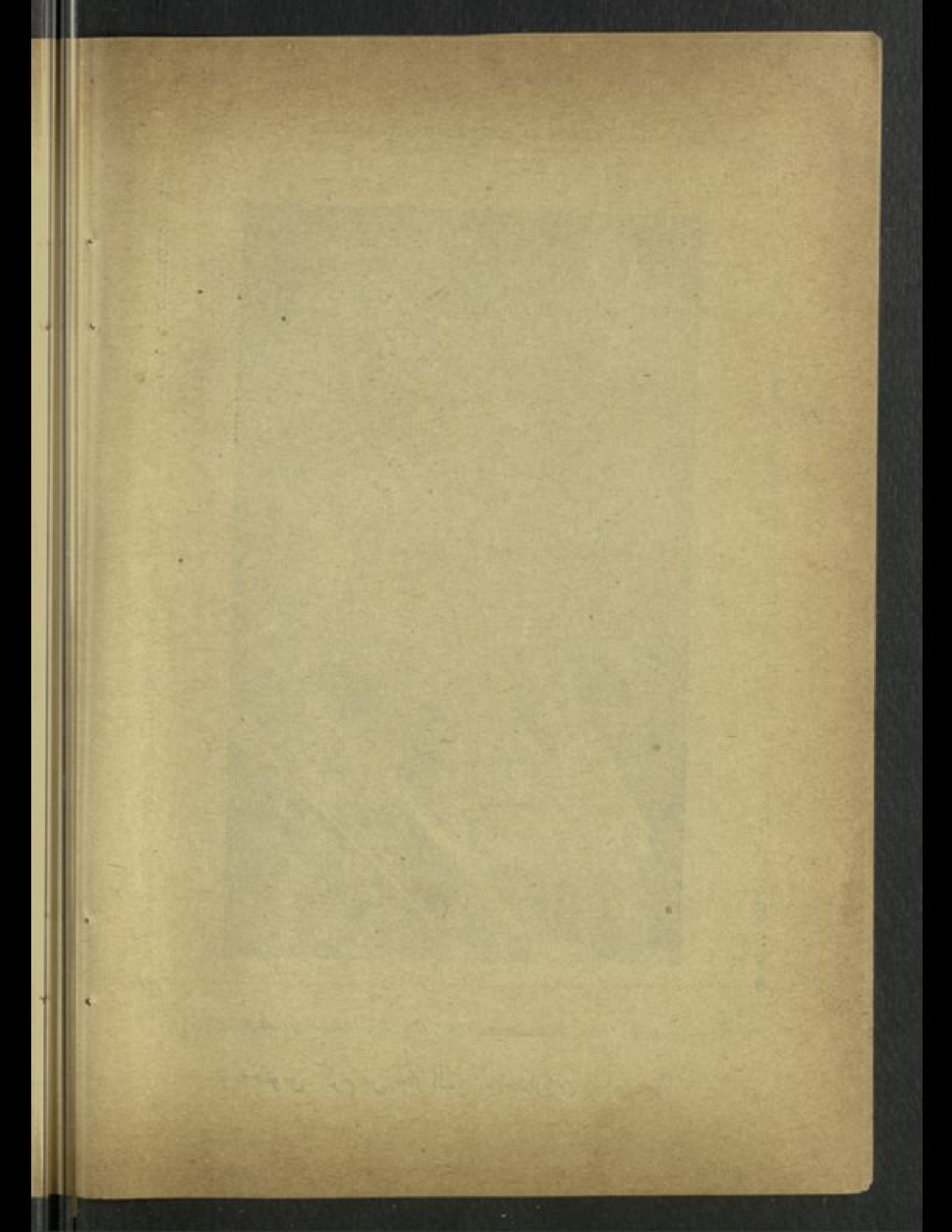


مجيد عبود الاشقر

الحاكم السوري في احدى مقاطعات الحبشة



الوجيه طنوس كرم من تجار السوريين البارزين في اديس أبابا
وقد أم ربوع لبنان في هذا الشهر للاستشفاء



اوجه اليه الاسئلة الاتية لانني شعرت بشيء من التناقض بين بياناته وبيانات الزعماء الاخرين وهذه نصوص الاسئلة التي وجهتها اليه :

س ١ — هل كان الاحباش يتقاضون ضريبة باسم المعارف وهل كانت هذه الضريبة تنفق على المدارس الاسلامية ؟

س ٢ — هل يوجد رأس مسلم بين رؤوس الاحباش ؟ وهل كان يعهد للمسلمين بوظائف كبيرة ؟؟

س ٣ — هل أكره بعض المسلمين على ترك دينهم واعتناق الديانة المسيحية ؟

س ٤ — ما حقيقة حادثة « واللو » ؟ (١)

وهذه نصوص الاجوبة التي ادلى بها صاحبنا براسو :

ج ١ — نعم كانوا يتقاضون من المسلمين ضريبة باسم المدارس ولم تنفق على مدارسهم والتبعة تقع عليهم وحدهم « على المسلمين » لانهم لم يطالبوا بحقوقهم .

ج ٢ — كلا لايوجد رأس مسلم .... والوظائف الكبرى من حق المسيحيين فقط .

ج ٣ — لم يكره احد من المسلمين على تغير دينه ولكن بما ان المسيحية هي دين الحكومة الرسمي فقد كان بعض ضعفاء الايمان يقبلون على اعتناقها لاجل بلوغ بعض الوظائف .

وكيف ما كان الحال فان اعتناق المسيحيين الاحباش للاسلام كانت اكثر جداً من اعتناق المسلمين الديانة المسيحية .

ولكنه لم يكتم اعترافه بان الامبراطور السابق كلفه مرارا ان ينبذ دينه ويعتنق المسيحية وقد تعهد له مقابل ذلك ان يزوجه ابنته ويجعل له شأنا خاصا في

---

(١) تطالع تفاصيل حادثة (واللو) في الصفحات التالية :

البلاد فرفض اباه وكان يجيب الملك على هذا التكليف مداعبا : « هل تريدون ان تحشروني معكم في جهنم ؟!! لكم دينكم ولي دين » .

ج ٤ — لم اسمع عنها شيئا .

الامبراطور ليج ياسو

كثيرا ما سمعت المسلمين في الحبشة يرددون اسم « ليج ياسو » بحرقة و التياع وقد ذكرت البرقيات اثناء الحرب الحبشية انه توفي في معتقله ولكن استفاضت اشاعات كثيرة حول هذه الوفاة واسبابها .

وقبل كل شيء ارى من الضروري ذكر نبذة تاريخية موجزة عن حياة ليج ياسو وكيفية اعتلائه لعرش الحبشة وكيفية خلعه واعتقاله كما انتهت الي من مختلف المصادر :

بين الامراء المسلمين الذين حاربهم الامبراطور منليك وتغلب عليهم الامير علي « حاكم اقليم كولو » وقد حمله (بعد ان اخضعه) على اعتناق المسيحية فامتثل واصبح اسمه على اثر ذلك الرأس (ميخائيل) . وقد كافأه الامبراطور على خلاصه ووفائه بتزويجه ابنته (شوارقاد) التي جاء منها « ليج ياسو » .

ويظهر ان منليك تفرس في حفيده ليج ياسو النجابة والذكاء فعهد اليه قبيل وفاته بولاية العهد رغم معارضة زوجته (طاتيو) .

وقد تبوأ ليج ياسو عرش الحبشة على أثر وفاة جده عام ١٩١٣ فدانت له البلاد واحسن تصريف شؤونها وتدبير امرها وساس الناس بالعدل فاكتسب محبة مواطنيه المسيحيين والمسلمين على السواء .

بيد ان تساهله مع المسلمين ومعاملته اياهم بالحسنى (١) « بخلاف ما درج عليه ملوك الحبشة » اوجد دعاية قوية ضده في بعض الاوساط « الكهنوتية » وقد اتفق ان اعلنت الحرب العامة واخذت الدول الطامعة تلقي بذور دسائسها وراحت كل منها تحاول استمالة هذا المليك الشاب لطارفها واشيع حينئذ ان هناك فكرة تدور في خلده « بالاتفاق سرا مع الالمان والاتراك » تقضي بانشاء امبراطورية اسلامية كبرى تضم بلاد الحبشة وما يجاورها من البلاد الاسلامية حتى جنوب افريقيا فلعب الانكليز والفرنسيون دورهم واستطاعوا ان يستغلوا هذا الموقف ويوغروا صدور رجال الدين ضده واستصدروا من الاب متاؤس مطران الحبشة فتوى تقضي بخلعه (٢) ونصبت الامبراطورة زاوديتو على العرش مكانه ، وسمي الراس طفري « الامبراطور هيلا سلاسي » وليا للعهد .

وعلى اثر ذلك اعتقل « ليج ياسو » وفي سنة — ١٩٢٩ — فر من سجنه ولكنه اعتقل مرة اخرى في حصن غراموليتا بقرب هرر . وفي شهر اكتوبر — ١٩٣٥ نقل الى حصن آخر في الجنوب الغربي من الحبشة على حدود كينيا الانكليزية

---

(١) جاء في كتاب الحبشة لمؤلفه بولص مسعد بمناسبة الكلام عن ليج ياسو — على ان تساهله مع المسلمين وتصرفه في معاملتهم تصرفا يشف عن صدق رغبته في مناصرتهم وتنضيضهم وهو ما تجلى على اتمه في مجاملته لزعمائهم وهو ابن رأس من رؤوسهم وامرأته تدين بدينهم — فتح العيون عليه ومس الوتر الحساس من قلوب القوم فهاج التعصب الديني في نفوس الكهنة ونظرائهم من الرؤساء المتعصبين لمذهبهم المسيحي ... الخ

(٢) ذكر الاب متاؤس في رسالة نشرها بمناسبة خلع « ليج ياسو » واعتقاله ما يلي بالحرف الواحد : « ان هذا النجاشي لم يكفه انه انكر ايمانه المسيحي بل رضي ان يشيد للمسلمين جامعا في « ديره داوا » .

تمد ان شعر الامبراطور هيلا سلاسي بميل الشعب اليه ولا سيما المسلمين فخشي ان ينادى به ملكا على الحبشة اذا ما تقدمت الجيوش الايطالية واستولت على هرر .

وفي اواخر الحرب الحبشية نقلت اسلاك البرق نبأ وفاته في معتقله كما تقدم .

هذه خلاصة ما نشرته الصحف والكتب التاريخية من حياة هذا الملك الشاب على انني سمعت روايات اخرى غريبة عن حياة « لبج ياسو » وكيفية وفاته .

واكد لي الكثيرون بانه كان مسلما اسلاما حقيقيا ولكنه كان يخفي اسلامه مداراة للظروف وذكر احدهم قصة تحتمل الشك كثيرا وهو انه كان يحضر كثيرا مجالس الذكر في مساجد المسلمين وقد اتفق انه انتظم مرة في احدى حلقات الذكر فاخذه الحال وتولته رعشة شديدة فانطلق ينشد القصيدة الشاذلية ويردد هذا البيت :

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد   لكان رسول الله حيا وباقيا

ولم يمض على انشاده هذا البيت بضعة ايام حتى وقعت حادثة خلعه وسجنه .

وقد رويت ذكر هذه القصة امام الحاج براسو فابتسم وقال : انني ادرى الناس بلبج ياسو واشدهم التصاقا به فكل ما يروى عن اسلامه يخالف الواقع وقد حضرت معه مرة مجلسا من مجالس الذكر في احد مساجد ديره داوا وغرضه من ذلك التفرج ليس الا وكان يبدي اعجابه ودهشته من تلك الحركات وبعد انتهاء الذكر اديرت كؤوس الشاي . والقهوة كالعادة ولكنني لاحظت ان الكأس التي قدمت لجلالته كانت تفوح منها رائحة الخمر ولولا مراعاتي لمقامه لكنت انسحبت في الحال .

عند صديقة لبج ياسو

وعلى اثر هذه الاخبار المتناقضة التي كنت اسمعها عن « لبج ياسو » قال لي الاخ (عزيز سليمان) هل تريد ان اعرفك على امرأة كانت له علاقات متينة جدا مع

« ليج ياسو » وهي تكاد تكون مستودع اسراره قلت ومن تعني قال : مدام حنفي قلت هيا بنا فذهبنا الى منزلها في ضاحية اديس ابابا . وكان الكثيرون يؤيدون علاقة هذه المرأة بالمليك الشاب . ولدى وصولنا الى منزلها انتظرنا في قاعة الاستقبال فدخلت علينا امرأة رقيقة الجسم تناهز الخمسين لا تزال عليها مسحة من الجمال فقدمني اليها الاخ عزيز فاخذت مقعدها الى جانبي .

ومدام حنفي من اصل داغستاني جاءت الى الحبشة مع زوجها قبل ثلاثين عاما وكان يشتغل صائغا فعطف عليه منليك وليج ياسو فنجحت اشغاله واستطاع ان ينشيء مؤسسات تجارية وصناعية واسعة . ونال امتيازات الفحم من الغابات ، ولما توفي تولت امرأته القيام باعماله فكانت مضرب الامثال برجولتها وبراعتها وحذقها وتمكنت بحسن ادارتها من انماء ثروة زوجها ومضاعفتها .

وهي تقول انها مسلمة ولكن ليس في مظهرها وحياتها الخارجية ما يدل على ذلك وتتكلم مدام حنفي الامهرية والافرنسية والتركية « جيدا » والعربية « قليلا » ، وقد استقبلتني بلطف وقالت سأزودك بكل ما تحتاج اليه من المعلومات عن الملك الشهيد ولكن اياك ان تتعمد اغفال الحقائق كما فعل غيرك من الصحافيين وكانت تتنهد عندما تلفظ اسمه ، ثم اخرجت لي صورا عديدة للملك تمثله في مختلف اطوار حياته .

وفيما يلي خلاصة ما اسدته الي مدام حنفي من المعلومات :

١ — ان خلع ليج ياسو عن العرش كان نتيجة مؤامرة اشترك بتدبيرها الملك السابق هيلا سلاسي والمطران متاؤس وبعض الرؤوس .

٢ — ان لبعض الحكومات الاوربية يدا في هذه المؤامرة .

٣ — انه لم يكن مسلما ولا مسيحيا ولكن ذكاؤه وبعد نظره حمله على مجاملة المسلمين والتودد اليهم والعطف على رغائبهم .

٤ — انه كان يدخل مساجد المسلمين « على سبيل المصانعة » كما كان يدخل كنائس (المسيحيين) .

٥ — انه تزوج بثلاث نساء مسلمات احداهما بنت ابي بكر محمد الدنكلي والاخرى بنت الامير عبد الله (امير هرر) . ولكن زوجته الشرعية كانت مسيحية واسمها استر وهي بنت الرأس مانجاشا الذي قتله مهدي السودان

٦ — وتأييدا لعلاقة بعض الدول الاجنبية باقصائه عن العرش قالت ان احد السفراء الاجانب استدعاها بعد خلعه وقال لها: ان ارض الحبشة لايمكن ان تنجب مثل هذا الشاب الخطر الذي كان يهيء المشروعات لمقاومة نفوذنا ولكن قطعنا جذور الاشجار التي غرسها قبل ان تنمو وتتسع .

٧ — ومما ذكرته ان ليج ياسو كان قد فر من معتقله في هرر ففتكت الحكومة الحبشية بستمئة مسلم من الموالين له في تلك الجهات .

٨— وهي تعتقد بانه لم يمت موتا طبيعيا كما اشيع وانما مات مسموما او قتل غيلة .

٩ — ان المطران ميتاوس الذي افتى بخلعه قال عند احتضاره انوجدانه يعذبه لاصداره تلك الفتوى وصرح بان ليج ياسو بريء مما عزي اليه .

وقد انجب (ليج ياسو) ولدا اسماه منليك وقد جاءه من امرأته المسلمة وهو يقيم الان في تاجور (قرب جيبوتي) وعمره ١٩ سنة .

الاديان والمذاهب في الحبشة

الاسلام

لما كان ليس لبلاد الحبشة حتى هذه الايام احصاء رسمي صحيح يمكن الاعتماد عليه في تقدير عدد المسلمين وغيرهم من اتباع الديانات الاخرى فاننا نكتفي فيما يلي بنشر زبدة ما حصلنا عليه من المعلومات المختلفة والروايات المتنوعة في هذا الموضوع.

ان الاديان الرئيسة الموجودة في الحبشة هي:

الوثنية واليهودية والمسيحية والاسلام . وقد تضاربت الاقوال في تقدير عدد مسلمي الحبشة فمن قائل انهم لايزيدون عن ثلاثة ملايين ومنهم من يقدرهم بخمسة ملايين ومنهم من يرفعهم الى اكثر من ذلك وكل هذا من قبيل الرجم بالغيب (١)

اما من جهتي فمنذ القيت عصا تسياري في تلك البلاد اخذت اوجه كل اهتمامي الى تلك الناحية فرحت اتغلغل في مختلف الاوساط الحكومية والشعبية حتى وفقت والحمدلله الى الحصول على النتيجة الاتية وهي لعمري نتيجة بحث واف وتمحيص دقيق:

ان الاسلام هو أكثر الاديان انتشاراً في بلاد الحبشة ولا سيما بعد ان ضم اليها مقاطعتا الصومال الايطالي والارتيريه ، والمسلمون (كما اكد لي موظف مصري مسؤول) كانوا يؤلفون في المئة خمسة وخمسين من مجموع السكان اما الان بعد ان

---

(١) من المعلوم ان مسلمي الحبشة وهم ستة ملايين لا تعدهم حكومة الحبشة كأنهم موجودون ولا يوجد في الحكومة الحبشية موظفون مسلمون الا منادر وفي وظائف تافهة جداً (الجامعة العربية)

رفع عنهم الضيق الذي كان يمنعهم من الظهور وبعد ان ضمت منطقة الصومال الايطالي وجميع اهلها مسلمون والارتيرية و كثرة سكانها من المسلمين ايضا فاعتقد انهم يؤلفون ستون في المئة (على الاقل) نعم لاانكر ان بعض المناطق ولاسيما منطقة اسمرة اكثر سكانها من المسيحيين ولكن المناطق الاخرى يتفوق فيها العنصر الاسلامي على غيره كما سيأتي

والغريب المدهش ان الديانة الاسلامية تنتشر من تلقاء نفسها بسرعة خارقة في الاوساط الحبشية (وخصوصاً في المناطق الوثنية) رغم سياسة القهر والعسف التي كانت متبعة ضد المسلمين ورغم قلة الوسائل الموجودة لدى هؤلاء لنشر دياتهم والتبشير بها بالنسبة للديانة المسيحية التي كانت البلاد الحبشية تموج برسلها ودعاتها وبعثاتها التبشرية المنظمة ومن ورائها الحكومات الكبرى تؤيدها والاموال الوفيرة تغدق عليها والحكومة المحلية نفسها تشد ازرها وتسهل مهمتها

حقا انه لسر غريب انتشار الدين الحنيف بسرعة البرق في تلك الاصقاع واقبال الاحباش على اعتناقه رغم جميع الصعوبات التي كانت تعترض سبيله وتقف في طريقه ولا غرو لمظهر المسلم (وان كان اسلامه ضعيفا وناقصاً) جذاب يسحر القلوب ويستهوي النفوس فهناك التقوي والصلاح ومكارم الاخلاق والنظافة والشهادة والتواضع والوفاء ...... الخ

ولست ارمي من وراء ذلك الحط من قدر الديانات الاخرى اليهودية والمسيحية كلا فانها ديانات سماوية ايضاً ولكن الاحباش كانوا يتمسكون بقشورها ويتركون لبابها فهم كانوا بذلك اقرب الى الوثنية .

قال لي الامير عبد الله ابا جفار سلطان جما في اثناء حديثه معي ان هذه الديار ديارنا ونسبة الاحباش الى المسلمين نسبة واحد للعشرين ولا سيما في بلاد هرر والعروسي والنوراغي وجما رغوما ولوجيدا فهذه البلاد ليس فيها اثر للمسحية .

واغلب اهالي بورنا ووالو وحماة وداره ورايا والدنا كل مسلمون .

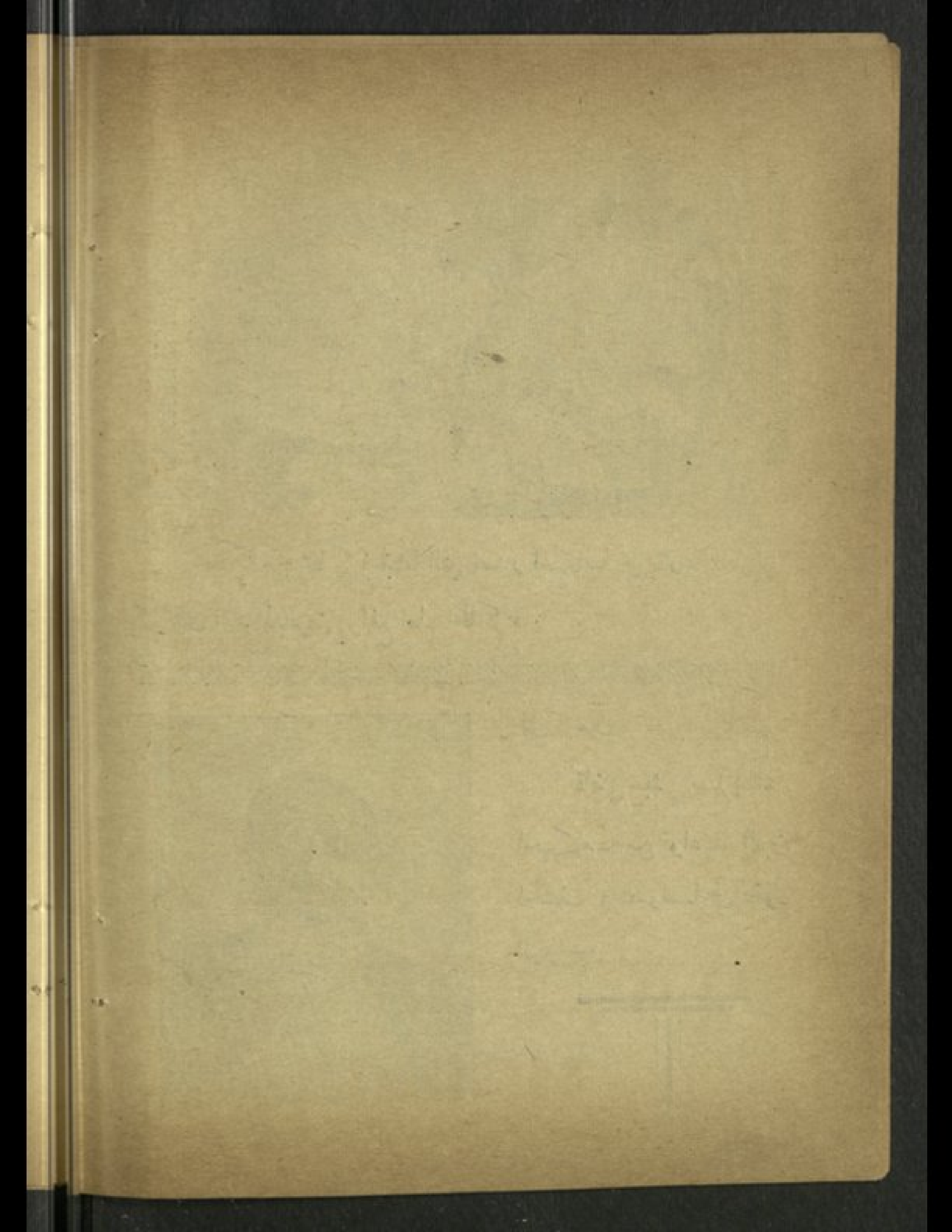


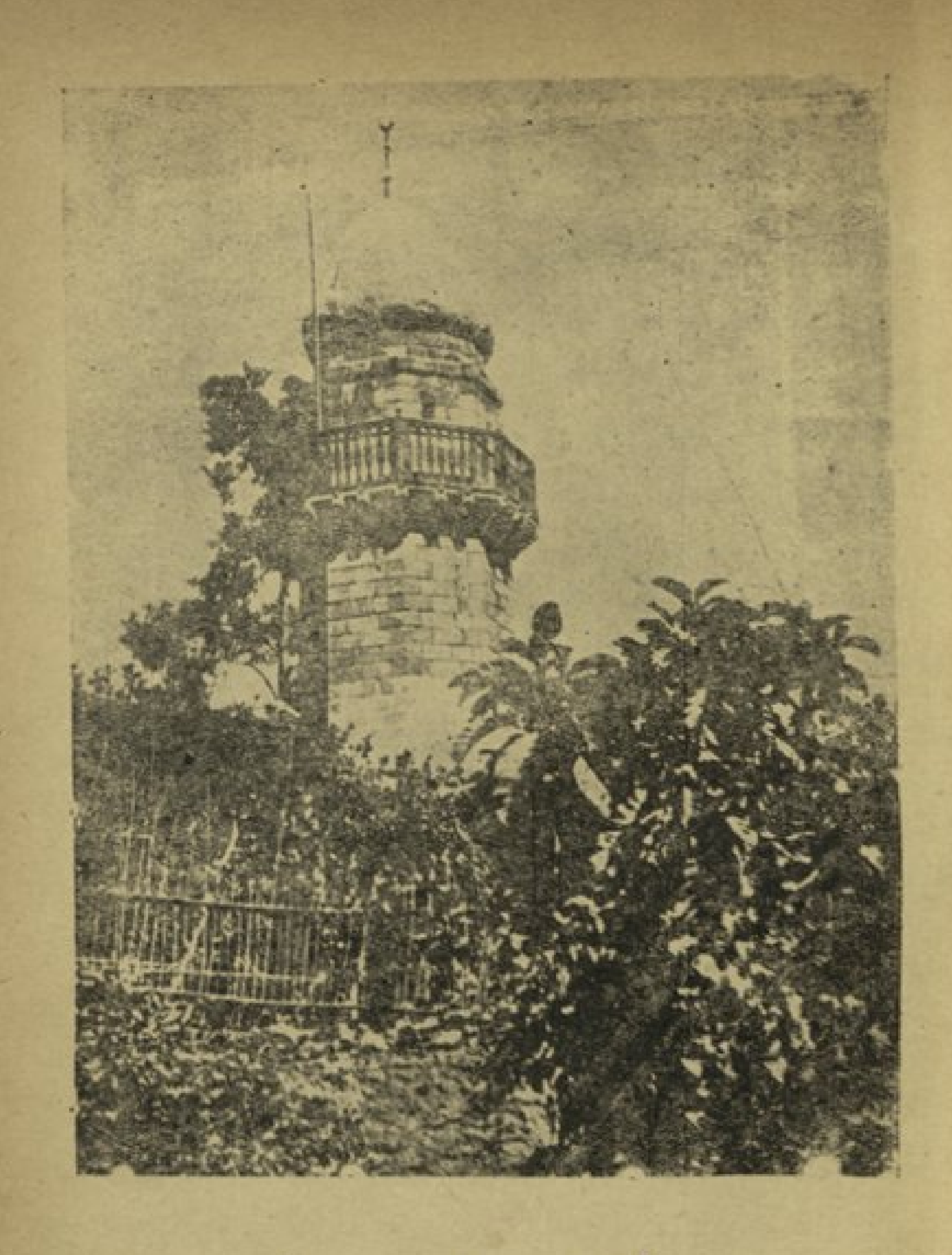
محكمة من محاكم الحبشة التى تصدر احكامها على قارعة الطريق
وترى احد المدعين يرافع امام الحاكم .



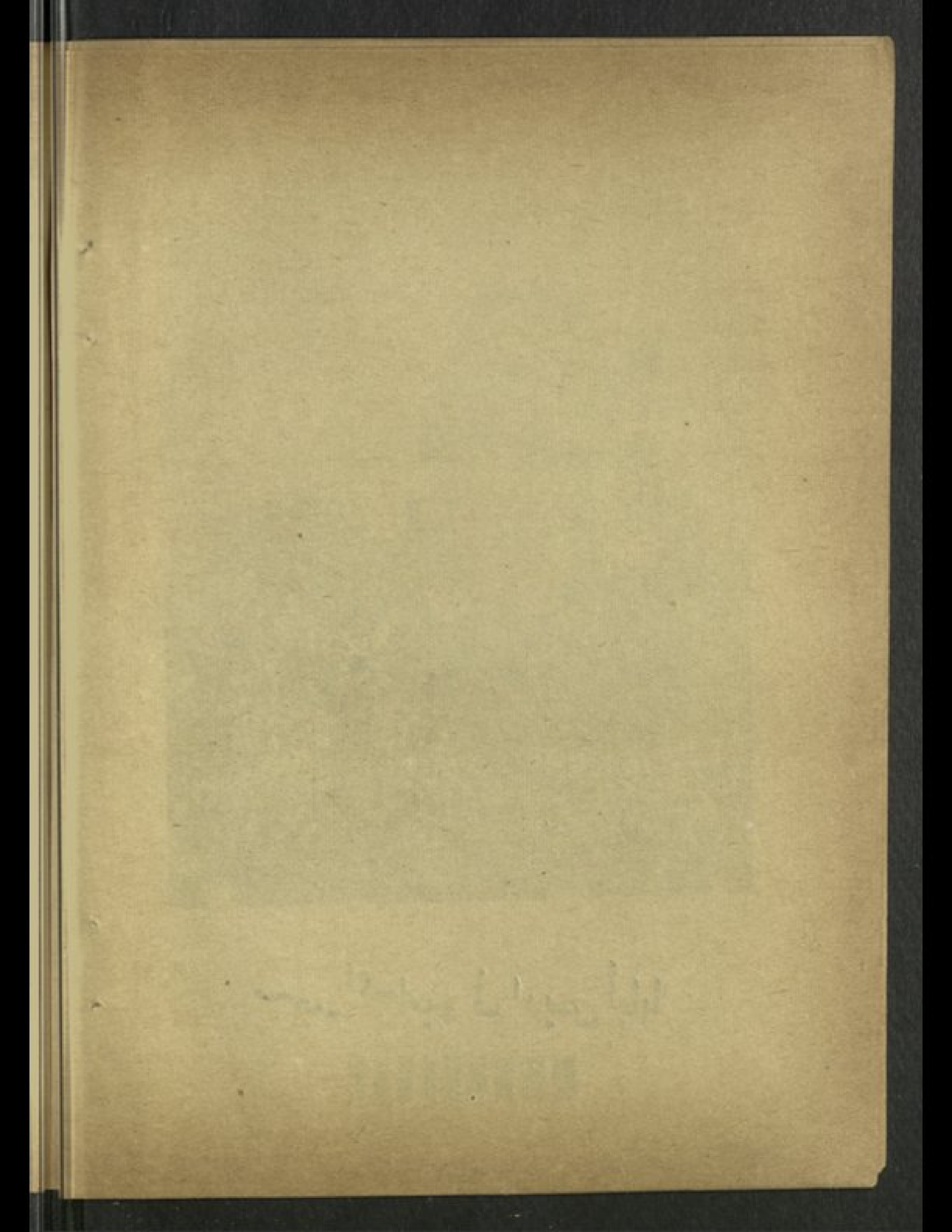
الى اليمين

قاضي حبشي مسلم يستمد
احكامه من قواعد الدين
الحنيف وخصوصا في عقود
الزواج .





مسجد المسلمين فى اديس أبابا



واذا قدرنا سكان الحبشة حسب الاحصاءات الصادرة عن القناصل والدوائر العليمة بعشرة ملايين « بما فيها الصومال والاريترية » فلا يقل عدد المسلمين فيها عن ستة ملايين ان لم يكونوا اكثر من ذلك (١)

واكثر المذاهب الاسلامية انتشارا المذهب الشافعي . وليست للمسلمين مع الاسف مدارس عامرة وجمعيات خيرية وادبية كما هي الحال في مختلف الاقطار الاسلامية اذا استثنيا جمعية الاتفاق الاسلامي التي تألفت في اديس ابابا بعهد الحكومة السابقة وكان في مقدمة اعمالها تأسيس المدرسة الاسلامية التي سيأتي ذكرها .

وليس بين المسلمين علماء واقفون تماما على اسرار الشريعة الغراء الا في مقاطعتي جما ووالو ويظهر انه يوجد في جما نهضة اسلامية لا بأس بها سيأتي ذكرها بمناسبة مقابلتي لسلطانها الامير عبد الله .

الدين المسيحي

ويأتي في الدرجة الثانية من حيث الانتشار الدين المسيحي وكان دين الحكومة الرسمي واكثر المذاهب المسيحية انتشارا : —

« المنوفيزية » وقد بثها البطريرك نيود وسيوس الاسكندري في القرن السادس واتخذ ملوك الحبشة هذا المذهب مذهبا رسميا .

وكنيسة الاحباش قائمة تحت ادارة نائب بطريرك الاقباط المعروف هناك باسم « ابونا » وكان له نفوذ كبير وسلطة واسعة تخوله خلع الملك (النجاشي) .

---

(١) في احصاء رسمي اذيع في روما بتاريخ ١٩ يونيو سنة ٩٣٦ ان مساحة الامبراطورية الحبشية تبلغ ١،٧٠٨،٠٠٠ كيلو متر مربع (ستة امثال مساحة ايطاليا) ومجموع سكانها ٧،٦٠٠،٠٠٠ ولست ادري كيف اوفق بين الاحصاءات المتضاربة .

ومن المذاهب المسيحية المنتشرة ايضا المذهب الكاثوليكي وله مبشرون كثيرون ومرسلون عازاريون و كبوشيون .

اما المذهب البروتستانتي فقليل الانتشار .

الدين اليهودي

يعرف اليهود في الحبشة باسم « فلاشه » وهم يقيمون في الاقاليم الشرقية ويقال انهم منحدرون من القبائل اليهودية الاولى التي توغلت في تلك الجهات ولا يزيد عددهم عن الخمسين الفا ويوجد منهم في اديس ابابا نحو مئة شخص . وهم يعيشون عيشة مستقلة لا يختلطون باحد من الاحباش ولا يتزوجون من غير ابناء دينهم ويشتغلون بالزراعة وصناعات النسيج .

العقائد الوثنية

ان العقائد الوثنية على اختلاف انواعها منتشرة في بلاد الحبشة ولا سيما في الجهات الغربية . والارساليات الاجنبية تتصل بالوثنيين وتحاول التأثير عليهم ويعبد اكثرهم الاشجار « واخصها شجرة الجميز » والانهار والاحجار والشمس والبهائم والنار . وقد اخبرني شاب حبشي اسمه جرجس ابراهيم ان طائفة منهم تدعى « القاميلا » على حدود السودان وهم يعيشون في العراء دون ان يستروا اجسامهم ولهم طريقة خاصة في العبادة وذلك بان يجتمعوا في كل عام امام النيل الازرق ويرقصون ثم يقدمون له ذبيحة كقربان .

ولم استطع اخذ فكرة صحيحة عن عدد الوثنيين في الحبشة ولكنهم لايقلون على كل حال عن مليون ولا يزيدون عن مليون ونصف .

عادات وثنية غريبة

قيل لي انه توجد قبائل في جهات — وولاغا — لاتدين بدين ابدا ولها عادات

غريبة جداً منها ان الرجال لا يقتربون من نسائهم اذا كنّ حبالى ويضطر الزوج في هذه الظروف ان يبيت خارج الغرفة او المنزل الذي تبيت فيه زوجته . ولا يحق له ان يأكل معها وهو مجبر ان يحضر لها كل يوم حيوانا يصطاده واذا اخفق فلا يحق له دخول القرية .

وتمتاز هذه القبائل بصلابة الاجسام وصحة الابدان وسلامتها من الامراض .

الدروز الاحباش

توجد طائفة في بعض مقاطعات الحبشة تسمى « بالدروز » وهي منتشرة بنوع خاص في جهات — غلامو وسيدامو — وعقيدتهم على ما قيل لي خليط من الاسلام والمسيحية واليهودية ولهم اخلاق وعادات شاذة وهم يشتغلون بالنسيج والحياكة .

تعدد اللغات واللهجات

يكاد يدهش الانسان في بلاد الحبشة من تعدد اللغات وتباين اللهجات ولا اغالي اذا قلت ان لكل قبيلة ولكل مقاطعة لغة خاصة ؛ وقد قدر لي بعضهم عدد هذه اللغات بما يربو على (٢٠٠) لغة .

والغريب انها تختلف كثيرا عن بعضها وليس بينها ادنى تقارب .(١)

نعم ان اللغة العربية تكاد تكون لغة المسلمين الرسمية والامهرية لغة الاحباش الرسمية ولكن السواد الاعظم من المنصرين قد لايعرف اللغتين .

ولكي يدرك القارىء عظم الفرق بين هذه اللغات اذكر في ما يلي اهم المصطلحات والالفاظ الدارجة في اللغات الاتية : العربية ، الهررية ، الامهرية ؛ الغالية ؛ الصومالية ؛ التيغرنيا ، التيغرية ، الدنكلية .

---

(١) كانت الامهرية تكتب في السابق من اليمين الى اليسار كاللغة العربية اما الآن فاصبحت تكتب كاللغات الاجنبية من اليسار الى اليمين .

العربية	الهررية	الامهرية	الغالية	الصومالية	التيغرينا	التيغرية	الدانكليه	السبيجا
الله	كجي	ازك هيبهر	واق	الاهي	اجزا ابيهر	رب	ياله	دانكونه
اللبن	حي	وتد	آنن	عانو	تصبا	حليب	حن	
الماء	مبى	وها	بشان	بيا	ملي	ماي	ليه	ايهم
الشمس	اير	تهاي	آدو	قرح	تساهاي	تساهاي	آرور	تون
القمر	وحي	تشرقا	جينا	نبح	ورهي	درح	آل سا	توتريك
الخبز	آخات	انجيره	بودنيا	كبس	انجيره	حبز	جوجوتيا	نم اري
السماء	سمي	سماي	سمي	رعر	سماي	سماي	عرنه	تيبرا
العين	عين	عين	ايجا	عيندا	عيني	عين	عين	
اكلت	بلافجو	بالاهو	تيادي	عوني	بليمي	بلعكو	او كومه	
اكلت	بلافخي	بالاد	تياته	عوني	يللعيكا	بلعكا	توكوبه	

نموذج من الاحكام الشرعية عند المسلمين

اطلعت بطريقة خاصة على قرار اصدره قاضي المسلمين في اديس ابابا في احدي القضايا وهذا نصه (بعجره وبجره) :

انه كان بتاريخ – ١٦ – ربيع الاول سنة ١٣٥٥ فقد احضر القاضي عبد الله احمد الحاشدي وزوجته زهره وعبد الله عمر الصنايعي وزوجته ام البنت الى المحكمة الشرعية واحضر المشايخ سعيد بكردو والسيدعبده ثابتوالشيخ يوسف الجرابحي والسيد احمد عوض ، وسألها القاضي بحريتها وقال لها لاتخافي ولا تحزني اتكلمي بحريتك وقالت بلسان فصيح انا مبسوط من زوجي وليس بي ضرر ادنى شيء وانا احب زوجي الى آخر درجة . وكرر عليها القاضي ثلاث مرات فاجابت كما سبق وبهذا انفصلت بينهما الكلام هذا والسلام

قاضي عاصمة الحبشة وملحقاتها　　قاضي جامع بن احمد　　– الختم –

مطران الحبشة

من الشخصيات الكبيرة التي زرتها وتعرفت عليها في اديس ابابا سيادة المطران (كيرلوس) اكبر رئيس ديني في الحبشة وصاحب السلطة الثانية بعد الملك — في ذلك الحين — .

والمطران يعين عادة من قبل بطريرك الاقباط في مصر . وقد مضى على تعيين المطران الحالي سبع سنين وعلمت انه هو الذي تولى تنصيب الامبراطور السابق (هيلا سلاسي) .

توجهت لزيارته في مقره صحبة الاستاذين يوسف حبيب وعزيز سليمان . وهو يقيم في قصر واسع تحيط به حديقة غناء وبعد ان انتظرنا قليلا في غرفة الاستقبال دخل علينا غبطته وهو احمر اللون , اسود اللحية ، ممتلئ الجسم يتكلم العربية المصرية جيداً وربما لايحسن غيرها .

وبعد ان اخذ مكانه سألني عن موطني ومهمتي والجهة التي اقصدها . ثم انتقل البحث الى الشؤون السياسية وكنت (عملا بنصيحة الاخ سليمان) احاول الابتعاد عن الخوض فيها, ولكن غبطته كان يميل الى ذلك فتوغلت معه في البحث واغتنمت الفرصة فوجهت اليه السؤال الآتي :

بلغنا ان غبطتكم كنتم على رأس الوفود التي زارت القائد العام للجيوش المحتلة فهل يعتبر ذلك بمثابة اعتراف رسمي بالاحتلال الايطالي !؟

قال : انني فعلت ذلك على سبيل المجاملة ولست رئيسا سياسيا حتى يطلب مني مثل هـذا الاعتراف .

قلت : بلغني ان المارشال زاركم زيارة طويلة فهل يمكنني ان اعرف شيئا عن الموضاعات التي دار البحث حولها ؟

قال : تتعلق بشؤون الطائفة التي امثلها .

ثم انتقل الكلام الى حالة فلسطين (وكانت الثورة بالغة اشدها) فاظهر امتعاضه من تلك الحوادث واعرب عن عطفه على العرب .

ثم اخذ ينتقد موقف بعض الصحف المصرية بالنسبة للحبشة وتقلبها في مبادئها بين عشية وضحاها .

ولم اشأ ان اطيل المكث لديه لانني كنت مرتبطاً بموعد فودعته وانصرفت .

الفتنة الدموية فى اديس ابابا

لقد أمضني كثيراً وانا اتجول في شوارع اديس ابابا منظر الاطلال الخربة والقصور المتداعية والابنية المحترقة ؛ كل ذلك حدث اثر الفتنة الدموية التي استعرت نارها في اديس ابابا قبيل الاحتلال الاخير والتي راح ضحيتها الوف الخلائق

وقد تمكنت من الاتصال بمصدر عام مطلع على دقائق الاحوال حضر بنفسه وقائع هذه الحركة الطائشة فافضى الي بالتفصيلات الاتية :

بعد ان سقطت (ديسي) في (١٥) ابريل بايدى الايطاليين واندحر الاحباش اخذت فلولهم تتراجع الى العاصمة ثم بدأنا نسمع طلقات الرصاص تدوي في سماء اديس ابابا ، وقد جرت عادة الاحباش انه اذا قتل او توفى احدهم يأتي ناعي الخبر الى منزل القتيل او المتوفي فيطلق ثلاث رصاصات اشعارا بالنعي ولما كان القتلى في الوقائع الاخيرة كثيرين فقد اطلقت الوف العيارات النارية ، وظلت كذلك بضعة ايام .

وفي (٣٠) ابريل عاد الامبراطور (هيلاسلاسي) من ساحة القتال فاختلى مدة طويلة بالسفير البريطاني وبقيا كذلك حتى ساعة متأخرة من الليل ويظهر ان الرأي بينهما استقر على ان يبارح جلالته البلاد ، ولكن الخبر ظل مكتوماً حتى عن وزراء الدولة الذين ابلغوا بانه سيعقد في صباح السبت (اليوم التالي) اجتماع خطير

في قصر الملك دون ان يعرفوا اسباب هذا الاجتماع .

وفي الوقت نفسه اوعز النجاشي بنقل جميع مجوهرات القصر ومحتوياته الثمينة وجميع مالديه من النقود الذهبية والفضية في جوف الليل الى القطار .

وفي الساعة الحادية عشرة ليلا استدعى الملك قائد البوليس ورئيس البلدية وابلغهما انه ذاهب الى جهة الحرب لكي يموت في سبيل الدفاع عن وطنه وقد وضع العاصمة تحت تصرفهما وتصرف الثوار وترك لهم قصره الخاص وهو مملوء بالاسلحة الحربية والذخائر !

وفي الساعة الرابعة بعد منتصف الليل امتطى سيارته الخاصة وتوجه الى احدى المحطات التي تبعد عن العاصمة بضعة كيلو مترات وهناك كان القطار الذي يقل اسرته بانتظاره فركبه وتوجه توا الى جيبوتي .

وقد ثبت انه كان في كل محطة يعرج عليها يحرض الشعب على الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد والانتقام من الاجانب حتى ان ادارة سكة الحديد (الافرنسية) اخذت علما بذلك فاوعزت الى رجالها في (ديره داوا) بان يحتاطوا للامر وكان لديها قوة من الجنود الافرنسيين فحالوا دون وقوع حادث هناك .

وفي صباح يوم السبت ابتدأت حركة السلب والنهب واشتعلت النيران في اديس ابابا وظلت كذلك اربعة ايام « اي حتى دخول الجيش الايطالي » .

وتقدر الخسائر التي اصيب بها الاجانب من جراء نهب محلاتهم التجارية بثلاثة ملايين جنيه انكليزي ، وتبلغ خسارة الاملاك المدمرة والمحترقة ستة ملايين جنيه .

حادثة واللو

روى السيد بازرعة الحادثة الاليمة الاتية وقد ايدها الكثيرون :

توجد في مقاطعة « واللو » ثمان مدن اسلامية وقد طلب الى مسلمي هذه المقاطعة اثناء الحرب الحبشية الاخيرة ـ بناء على امر النجاشي ـ تقديم المساعدات

والتبرعات للجيش فامتثلوا وقدموا ما يمكنهم تقديمه ، ونظراً لفقرهم وبؤسهم فقد اوجشوا خيفة من ان يطالبوا بذلك مرة ثانية فاظهروا استعدادهم للانضمام الى الجيش الحبشي فرفضوا اذ كان محظورا على المسلم ان يحمل السلاح الى جانب الحبشي . ولم تمض ايام قلائل حتى فوجئوا بطلب مساعدات اخرى فاجتمع رؤساؤهم وتشاوروا في الامر فتجلى لهم عجزهم عن تلبية هذا الطلب فقرروا ان يقدموا جميع مالديهم من المواشي والانعام فابى الحاكم الحبشي عليهم ذلك واصر على ان يقدموا نقودا .

ولما عجزوا عن تقديم مافرض عليهم حاول الحاكم احداث حركة ترمي الى الفتك بهم وابادتهم فشعروا بذلك فما كان منهم الا ان انقضوا عليه واغتالوه تخلصا من اذاه وما كاد ينتهي هذا النبأ الى النجاشي حتى بادر بارسال حاكم غيره اسمه (فكر مريم) بقصد الاصلاح وتهدئة الحالة (ظاهراً) ولكنه كان يحمل تعليمات خاصة فابتدأ هذا الحاكم مهمته بجمع الالات الجارحة منهم (وهو سلاحهم الوحيد) ثم جمع بعد ذلك رؤساءهم وذبحهم عن بكرة ابيهم في يوم واحد كما تذبح النعاج ثم سلط المدافع الرشاشة (المترليوزات) على المدن فابادها مع سكنها حتى ان الجنود عمدوا الى قطع ثدايا النساء .

قال لي السيد بازرعة الذي روى هذه الحادثة : انني عندما سمعت نباء هذه المأساة قلت في نفسي لابد من ان ينتقم الاله لاولئك الابرياء ويقتص من المجرمين

هذا ماقصه علي تاجر مسلم معروف في اديس ابابا واذا نشرت هذه القصة ليس معنى ذلك انني امنت بها تماما فقد يكون فيها شيء من المغالاة ، ولكن اكثر الزعماء المسلمين الذين سألتهم عنها اكدوها لي .

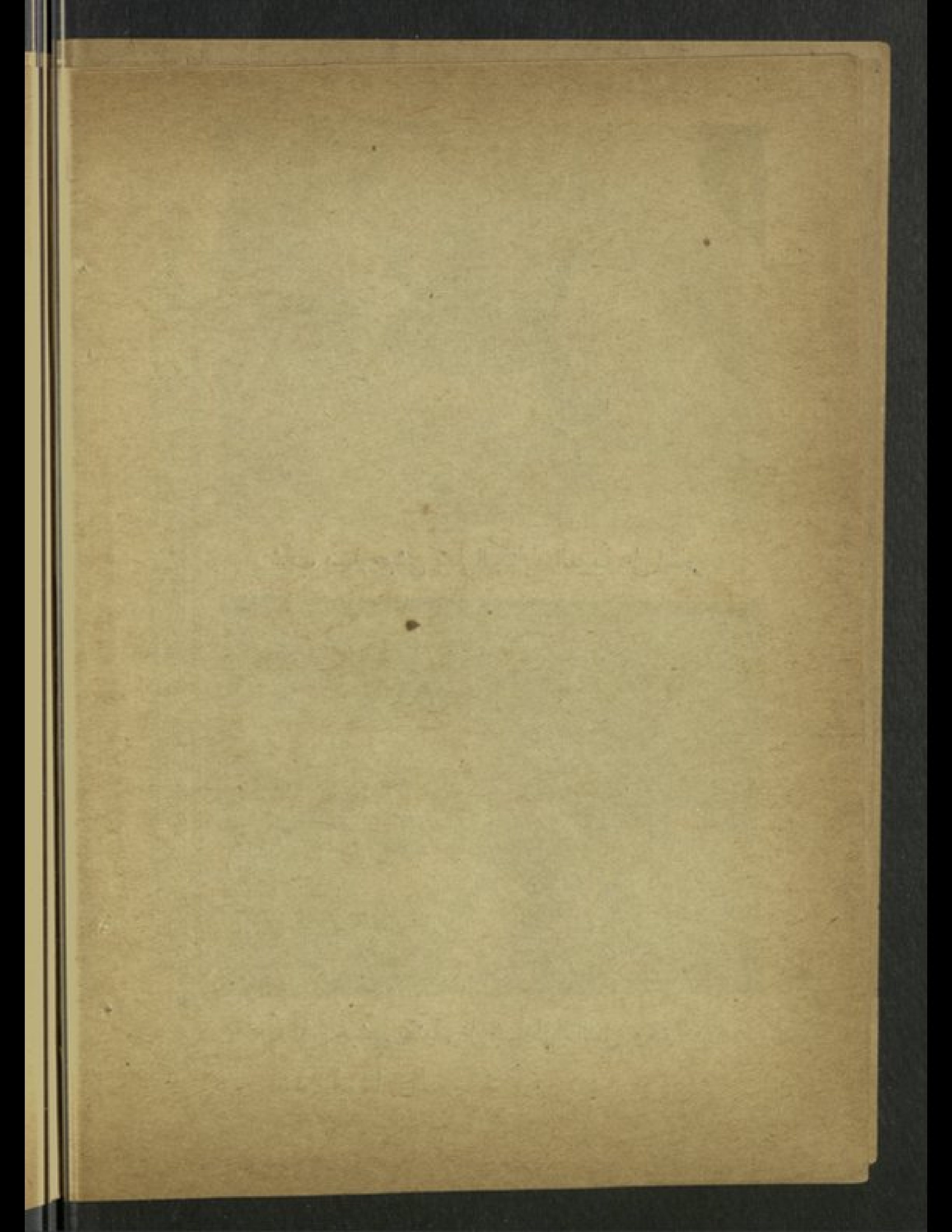
وقد زارني في الفندق عالم من علماء « والو » اسمه الشيخ محمد صادق وهو يحسن العربية جيدا واطلعني على المخابرات التي دارت بينه وبين الامير شكيب



شاب مسلم حبشي يتعلم الكتابة العربية على الحجر



تمساح حبشي مقتول على شاطئ النيل وهو من أشد الحيوانات المفترسة فتكا .



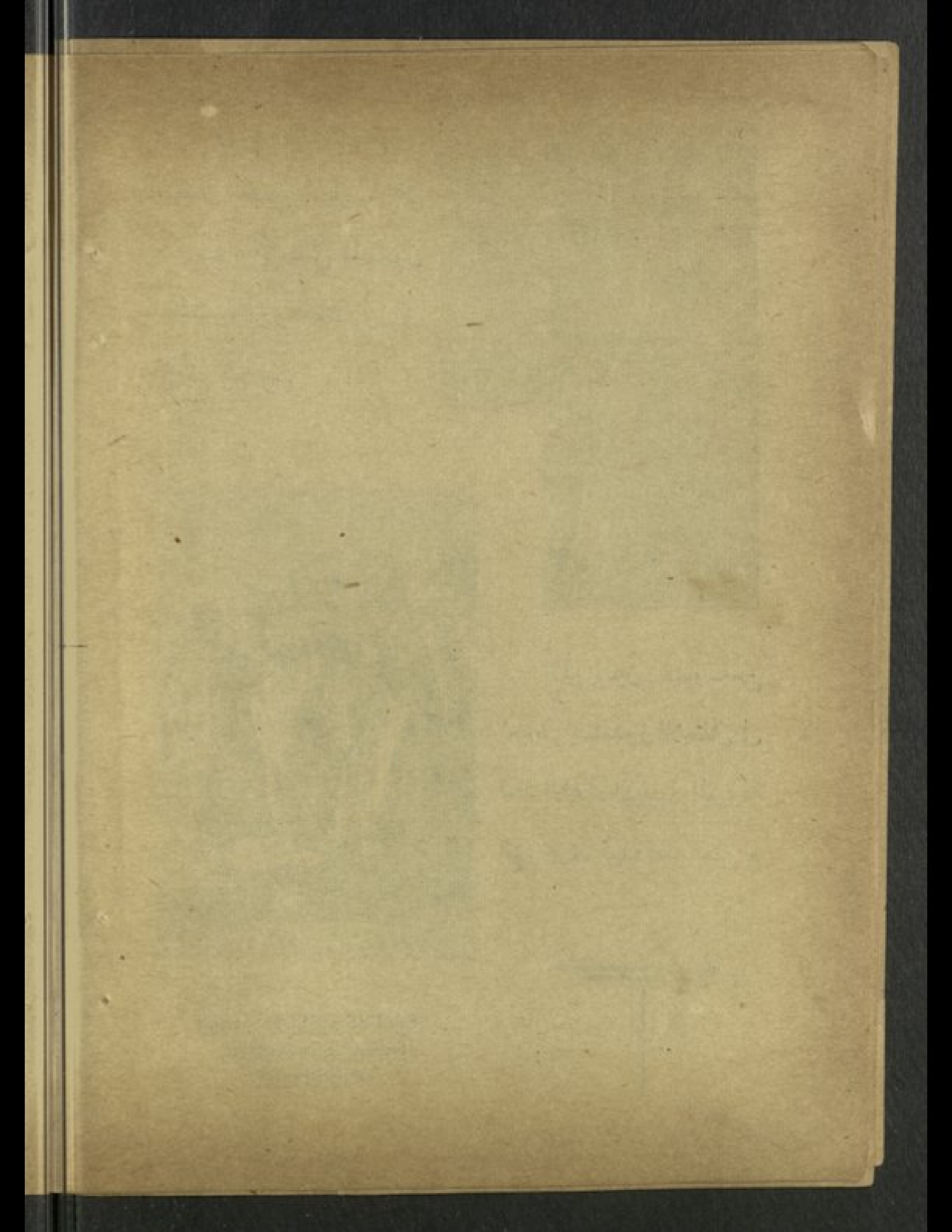


الى اليسار: امرأة حبشية مسلمة تحمل طفلها على ظهرها والاحباش المسلمون والمسيحيون يبكرون في تزويج بناتهم .



الى اليمين : قساوسة من احباش يستعدون للاحتفال في احد الاعياد الدينية المعروفة التي تجري فيها رقصة البطن .

§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§
§§§§§§§§§§§§§§§§
§§§§§§§§§



بخصوص حالة المسلمين في هذه البلاد ولما سألته عن حادثة « واللو » المار ذكرها واضاف على المعلومات التي نشرتها ان عدد المسلمين الذين قتلوا في هذه الفاجعة يناهز الاربعة آلاف !!! (١)

سلطنة جما الاسلامية

جما مقاطعة اسلامية كبرى واقعة في غرب الحبشة وقد اسلم اهلها في النصف الاول من القرن الماضي وكانت سلطنة مستقلة ملكها السلطان محمود بن داود المشهور باسم « ابا جفار » اي صاحب الحصان الكميت وهو من الالقاب التي يلقب بها الابطال عند قبائل الغالا .

ولكن اطماع منليك حملته على التحرش بهذه السلطنة الاسلامية فاعتدى على استقلالها وادخلها في حوزته عام - ١٨٨١ - م بعد ان ابرم معها معاهدة تنص على ان تظل مملكة وراثية في سلالة « ابا جفار » وان تتمتع باستقلالها الداخلي على ان تؤدي جزية سنوية الى حكومة اديس ابابا .

ولما كانت هذه المملكة من اغنى بقاع الحبشة بثروتها وكنوزها وخيراتها ، ولما كانت هي السلطنة الاسلامية الوحيدة الباقية في الحبشة فان حكومة اديس ابابا لم تشأ ان تتركها هانئة وادعة بل اخذت تتحرش بها وتثير امامها المشاكل فلم يكد يتوفى « ابا جفار » عام - ١٩٣٤ - حتى خلفه على العرش نجله عبد الله فاغتنم

---

(١) زارني شيخ يماني جليل في اديس ابابا اسمه الشيخ يحيى الحيرازي وقد سمعته مرة يردد هذه الابيات بمناسبة هذه الفاجعة المؤلمة :

تحكموا فاستطالوا في حكومتهم ... وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهر بالارزاء واللحن
واصبحوا لسان الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتبي على الزمن

النجاشي هيلا سلاسي هذه الفرصة واخذ يضيق عليه الخناق ثم اعلن ضم هذه السلطنة الى مملكته نهائيا غير عابيء بالماهدة بين حكومته وبين مليكها ولم يكتف بما فعل بل اعتقل سلطانها الامير عبد الله وزجه في غياهب السجون .

ولكي يدرك القاريء مقدار ما بلغته هذه السلطنة الاسلامية من الرقي والازدهار في عهد ابا جفار اروي له نبذة مما نشره الكاتب الانكليزي « السروارلي » في كتابه المطبوع في لندن عام — ١٩٢٦ — عن هذه السلطنة اذ قال ما يلي بالحرف الواحد :

« لم يكتف السلطان ابا جفار بان انقذ امته من براثن الاحباش بل قادها الى حياة الغنى والرفاه بتعزيزه التجارة في البلاد وحسن ادارته حتى انني اعتقد انها ستصبح اغنى الممالك الافريقية واسعدها . على انني اخاف على مصير هذا الشعب الهادئ « المحب للسلم » والراحة عند وفاة سلطانه « ابا جفار » لانه لا يمر في قطر حبشي الا وينظر اليه بعين الطمع ويسيل لعابه من فرط الشهوة على خيراته . فلا شك ان اهل الحبشة سيقصدون الاستيلاء عليه ، اذ من امثالهم السائرة قولهم « بعد السنفالا الفالا » ، فلو قدر ، وتحقق مبتغاهم ، لاصبح هذا القطر بعد زمن قصير على الحالة التي عليها سائر اقاليم الحبشة — لان سعادة « جما » منوطة بنشاط شعبها وحسن حكم مليكها الحر ، المتساهل الذي لا يألو جهدا في تشجيع الصناعة والتجارة » .

كيف قابلت سلطان جما

علمت في الايام الاخيرة وانا في اديس ابابا من الوجيهين بهارون والحضار بان الامير عبد الله ابا جفار سلطان جما قد اطلق سراحه وخرج من السجن فاستفسرت عن محل اقامته فقيل لي انه حل ضيفا عند الرأس « هايلو » على بعد بضعة كيلو مترات من المدينة فاستأجرت سيارة وتوجهت لمقابلته . وبعد ان اخترقنا اشجاراً

كثيفة وغابات واسعة وصلنا الى المنزل فارسلنا رسولا الى الامير يستأذن بالمقابلة وبعد دقائق قليلة دخلنا المنزل فاذا بنا امام شاب اسود اللون مهيب الطلعة لا يزيد عمره عن الخامسة والثلاثين وقد حسب لاول وهلة اننا موظفون ايتاليون ولكنني طمأنته وقلت له انني صحافي عربي مسلم جئت لاهنئكم بالسلامة واتعرف على حضرتكم. فاجابني بلغة عربية فصيحة معربة : اهلا وسهلا تشرفنا كثيرا ، ثم اخذ يحدثني عن سجنه وما كان يلقاه من الآلام في معتقله فحاولت ان اقف على كيفية اعتقاله فاجاب معتذرا : ارجو ارجاء هذا البحث الى فرصة اخرى لانني لا استطيع ان افوه بشيء قبل مقابلة ولاة الامور . ثم اخذ يقص علي كيفية اعتلائه عرش والده الذي اراد ان يعتزل الحكم وينصرف الى العلم ثم قال ولم امكث على رأس الحكم عشرة اشهر حتى احس الاحباش بالاصلاحات الكبرى التي قررت ادخالها في بلادي فاوجسوا خيفة مني لا سيما وهم يعلمون درجة تعلق المسلمين بي فاعتقلوني وعينوا بدلا مني حاكما حبشيا .

وقد اخبرني السلطان المذكور بانهم ربطوه من يديه ورجليه في قرية تدعى « افقره » ثم قال لي بصوت متهدج « لو ذكرت لكم ما لقيت من الشدة لبكت الحجارة قبل الناس » وقد لاحظت من خلال حديثه انه ملم بالعلوم العربية والدينية فسألته عن الكتب التي قرأها فقال : اني عنيت عناية خاصة بدراسة فقه الشافعي(١) وقرأت كثيرا من الكتب في هذا الموضوع اذكر منها فقه ابي شجاع ، والعمدة ومنهج الطلاب وشرحه للسيوطي ، وفتح الوهاب .

وقرأت من كتب النحو الاجرومية وشرحها للدحلاني ومنحة الاعراب وشرحها للكفراوي وكشف النقاب والفية ابن مالك وشرحها لابي عقيل ومغني اللبيب وهمع الهوامع .

---

(١) اكثر المذاهب الاسلامية انتشارا في الحبشة المذهب الشافعي فالحنفي فالمالكي .

وقد سألته عن انتشار الاسلام في هذه البلاد فقال ان هذه البلاد بلادنا ونسبة الاحباش الى المسلمين نسبة الواحد للعشرين ومع ان المسلمين هم الاكثرية فلم نر واحداً منهم ولي عملا مناسبا من اعمال الحكومة .

قلت له ولماذا كنتم صامتين قال : كل من يحاول المطالبة بحقوقه يصيبه ما اصابني .

ثم سألته عن درجة انتشار العلم في بلاده « جما » .

قال : ان بلادي اكثر البلاد الحبشية اهتماما بنشر العلم ففي عهدي كان يوجد في مدينة جما وحدها ما يربو على الستين مدرسة ؛ اما الآن فلا ادري عنها شيئا .

قلت له ما رأيك في جعل اللغة العربية لغة رسمية في المناطق الاسلامية .

قال : « وقد اغرورقت عيناه بالدموع » هل يتاح لنا ان نتمتع باستعمال لغتنا الشريفة كلغة رسمية ان هذا حلم بعيد التحقيق !!

وهنا اردت ان لا ارهق الامير كثيرا لا سيما وقد لاحظت عليه امارات التعب والاعياء فاستأذنت بالانصراف وقدمت اليه دفترا ليسجل فيه اسمه الكريم على سبيل الذكرى فاخذه ودون فيه العبارة الاتية بخط عربي صريح :

« تحية الى جريدة الجزيرة من عند امير عبد الله . عليك بان لا تنساني والحب لا ينسى »

وهنا ودعته وانصرفت شاكراً له تحيته وحسن وفادته .

المخاطر في بلاد الحبشة

الحيوانات المفترسة

ان الغريب الذي يؤم البلاد الحبشية ، وخصوصا لاول مرة ، يجب ان يكون حذرا ومحتاطا لا سيما اذا وجد خارج المدن فهو والحالة هذه يكون مستهدفا لاخطار جمة وعناء جسيم .

وقبل كل شيء يجب ان يعلم ان اكثر المدن الحبشية مرتفعة ارتفاعا عظيما عن سطح البحر فهي لاتوافق المصابين بامراض القلب وخصوصا اديس ابابا فانها ترتفع (٢٦٤٠) متراً عن سطح البحر وكنت اشعر بتعب شديد كلما تنقلت في شوارعها فشكوت ذلك الى صديقي سليمان فقال لاتعجب فان العلو الشاهق الذي نحن فيه ينهك الاجسام والقلوب .

ويجب ان يلاحظ ان الحبشي مفطور بطبيعته على كراهية الشعوب البيضاء فهو اذا استطاع التشفي والانتقام لايحجم ابدا . فالانسان هو الذي يجب الاحتراز منه قبل الحيوان ولقد حدثوني عن مئات بل الوف من الاجانب الاوربيين وغير الاوربيين الذين فتك بهم الاحباش غدرا وعدوانا . وقد قال لي المستر نوس الالماني الذي حللت في نزله اول مرة : انك مهما اكرمت الحبشي فهو لايتقاعس عن البطش بك اذا خلا له الجو فعليك ان تحترس منه بقدر احسانك اليه وقص علي بهذه المناسبة عدة حوادث ذهب فيها بعض الجاليات البيضاء ضحية غدر عبيدهم وخدامهم .

اما ما كانت تنشره الصحف عن وجود قبائل حبشية تأكل لحوم البشر فلم اجد له اثرا في تلك الجهات ولكن هناك ما يفوق اكل اللحم البشري فظاعة وتوحشا وهو التمثيل بالانسان وتعذيبه وتحطيم اعضائه قبل الفتك به .

والحيونات المفترسة في الحبشة كثيرة جدا وهي متوفرة هناك على انواعها ، واشدها خطرا التمساح وهو يوجد بكثرة في البحيرات والانهار وعند ما بتنا في قرية هواش كنا نسمع في جوف الليل اصواتا منكرة وبعد الاستفسار علمت انها اصوات التماسيح وقد كانت على بعد مئات الامتار منا . واخبرني احد الضباط الايطاليين بان التماسيح افترست اثناء الحرب الحبشية بعض الجنود الوطنيين من صوماليين وارتيريين بينما كانوا يستحمون في البحيرات والانهار .

والسرطان البري حيوان سام ومؤذ جدا فهو اذا رأى فريسته « بشرا او حيوانا او طيرا » انشب مخالبه فيها واماتها بالحال .

ومن الحيوانات المفترسة المخيفة جدا النمر فهو يلتذ كثيرا باكل لحم الانسان ولا سيما اذا كان طفلا ومما رواه لي بعضهم انه جرت العادة عند بعض القبائل التي تكره البنات ان تقدم لهذا الحيوان ما تلده النساء منهن ولا يبقي احدهم لديه سوى ابنة واحدة .

وللاحباش طريقة مدهشة في اصطياد النمور وهي على قيد الحياة وذلك بواسطة شراك وفخاخ خاصة ينصبونها على الاشجار .

اما الاسد فهو موجود بكثرة في مختلف انحاء الحبشة ولكنه لايتعرض عادة للانسان الا اذا بدأه بالاعتداء والتحرش وهو يسير غالبا مع قرينته « اللبوة » جنبا الى جنب فاذا شاهدا شخصا انصرفا بسلام وتركاه بحال سبيله اما اذا اعتدى على احدهما وقتله فان كان القتيل اللبوة اركن الاسد الى الفرار واما اذا كان الامر بالعكس فان اللبوة لاتترك غريمها بل تنتقم لزوجها .

السموم

والهوام والحشرات السامة منتشرة كثيرا وخصوصا في المناطق الحارة واهمها الثعابين والعقارب بانواعها . ويستخرجون منها السموم كما يستخرجونها ايضا من بعض النباتات والحشائش وبذلك انتشرت عادة التسميم عند الاحباش لان السم ليس صعب المنال حتى قيل لي ان ملوك الحبشة انفسهم كانوا يعتمدون على السم في البطش بخصومهم ولا سيما السم البطيء وهو الذي اذا تناوله الانسان يبقى حيا مدة سنتين او ثلاث ثم لا بد من موته بعد ذلك .

وقد بلغ انتشار عادة التسميم بين الاحباش انهم اذا دعوا الى منزل بعضهم فلا يتناول شيئا من الطعام او المشروب قبل ان يتناول منه صاحب المنزل نفسه ثم ينتظرون بضع دقائق ليتحققوا من عدم وجود السم العاجل اما السم البطيء فان مفعوله لايظهر حالا .

ويقال ان وفاة المليك الشاب « ليج ياسو » كانت عن طريق التسميم .

وللاحباش طريقة خاصة في تحضير السموم وقد حاول كثير من الاطباء والصيادلة معرفتها والوقوف على كيفية تحضيرها فلم يتوفقوا لان الاحباش يتكتمون فيها كل الكتمان .

وبينما انا ادون هذه المذكرات قرأت في الصحف البرقية الاتية :

« جاء من بروكسل بان الليوتنان البلجيكي (فربو) يؤكد في الدوائر الرسمية بان الضابط (كمبير) وهو بلجيكي ايضا قد سمه الرأس - دستا - .

البرغوث الحبشي

ومن اغرب ما شاهدت في بلاد الحبشة البرغوث الذي يخترق الاجسام ويسمونه « ميوه له » ، وهو عبارة عن دود اسود صغير يشبه البرغوث في حجمه يتسرب الى

جلد الانسان بعد ان يحترق ملابسه دون ان يشعر به حتى اذا وجد في جسمه مرتعا خصبا نفذ اليه وعشش تحت الجلد وهناك يحدث قرحة صغيرة ينشأ عنها اكلان شديد فيضطر المرء الى ازالتها عن طريق لاستئصال بالآلات الجراحية.

القرود تعتدى على النساء

وفي اثناء تنقلاتي في جبال الحبشة كنت اشاهد اسراب القرود والسعادين على انواعها وهي لاتتعرض للانسان ولا تؤذيه ولكن حدثني الكثيرون بانها في بعض الاوقات قد تعترض الفتيات وتعتدي على عفافهن اذا عثرت بهن خارج المدن. وا كد لي الاستاذ يوسف حبيب بانه رأى في بلدة « اميو » وفي بعض قرى مقاطعة العروس بشراً كالقرود وهم يشبهونها تماما في هيئاتهم واخلاقهم وحركاتهم .

البيت الحبشي

يعيش الحبشي « المسكين » في بيته عيشة مضنية ولا اغالي اذا قلت انها لاتختلف عن عيشة الحيوان ان لم تكن دونها .

فالبيت الحبشي عبارة عن كوخ من القصب والطين مصنوع ليس له نافذة بل له باب صغير ضيق جدا والى هذا الكوخ يأوى الحبشي مع امرأته واولاده وعبيده وحيواناته وفي الكوخ نفسه يجري تحضير الطعام واستقبال الضيوف .... الخ .

وعامة الاحباش لاتعرف غسل الوجه ولا غسل الجسم ولكل منهم ثوب واحد لايغيره حتى يبلى فيتعذر عليك والحالة هذه ان تقترب من احدهم لكثرة ما ينبعث من جسمه وثيابه من الروائح الكريهة .

وطعام الحبشي يتألف على الاغلب من لحم البقر ويأكلونه نيأ بعد غمسه بالتوابل الحارة ولذلك اصيب اكثرهم بالدودة الوحيدة .

واما ثيابه فاذا كان من سكان المدن فتتألف من سروال وقميص واما اذا كان من

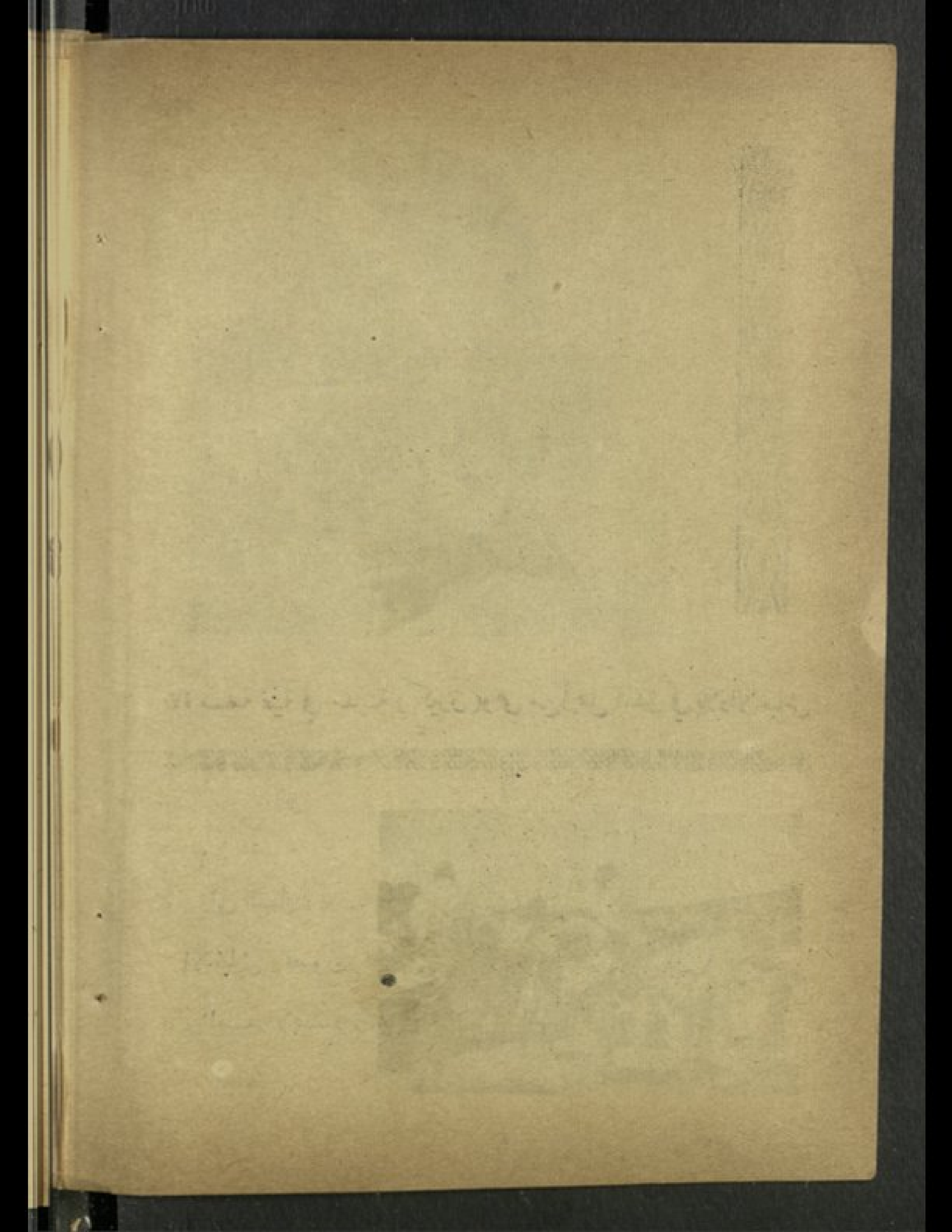




فتاة مسلمة غنية في مدينة (كيرن) وهي من أجمل المدن في بلاد الاحباش



الى اليسار :
الاحباش يرقصون
في احد الاعياد
رجالا ونساء



الى اليسار :

فتاة موسرة من قبيلة يلين وهي من القبائل الوثنيه ولكن الدين الاسلامي أخذ ينتشر انتشاراً سريعاً رغم فقدان العلماء الا كفاء .





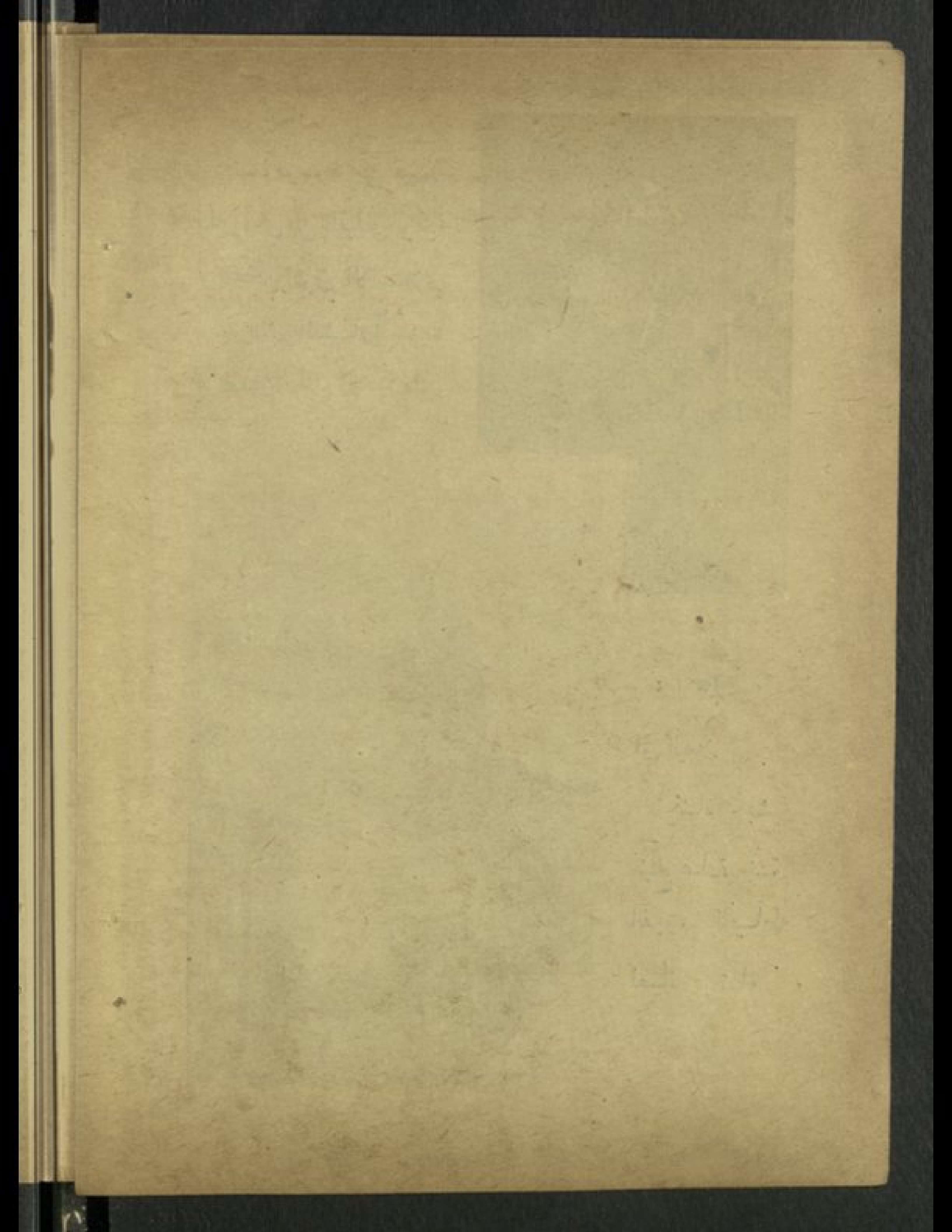


الى اليمين

فتاة حبشية

تتبع عادة ختم الفروج بالخياطة لصيانة عرضها .





سكان القرى والبوادي فلا تزيد على مئزر يستر عورته .

وقد قيل لي انه يوجد بعض القبائل الحبشية على حدود السودان عراة تماما « رجالا ونساءا » .

والوجهاء من الاحباش يضعون القبعات على رؤوسهم واما عامتهم فلا يضعون شيئا .

ومن العادات الغريبة التي استرعت انتباهي ان الحبشي يبول على قارعة الطريق وفي الساحات العامة دون ان يخفي اعضاءه التناسلية وقد تكون امامه امرأة يحدثها او عابرة سبيل فلا يهمه ان تراه في تلك الحالة المخزية .

وكثيراً ما رأيت بعض الحبشيات جالسات القرفصاء يقضين حوائجهن جهارا كأنهن جالسات في المراحيض .

وعلى العموم فان حياة الحبشي المنزلية تثير الاشجان وتدمي القلوب ؛ وهو مع الاسف لايتمتع بشيء من خيرات بلاده ومواهبها الطبيعية فلا يستفيد من شمسها الوضاءة وهوائها النقي ومائها العذب ومناظرها البديعة . ولا يستثمر خيراتها الوفيرة من معادن وفواكه ونباتات وحيوانات كأن البلاد خلقت لغيره ، ثم ان كراهيته للاجانب« من اي جنس او مذهب كانوا» تدعوه دائما لمكافحتهم والحيلولة دون تمكنهم من استثمار تلك الخيرات .

العلاقات الجنسية ونظام الزواج

هنالك عدة انواع للزواج عند الاحباش مع ان الديانة المسيحية تحدد العقدة الزوجية تحديدا صريحا.

فالطريقة الاولى للزواج ان يدفع المرء مبلغا بسيطا بصورة منظمة « نحو جنيه في السنة مثلا » .

والطريقة الثانية باليمين وذلك بان يقسم امام قسيس او شاهدين بحياة

هيلا سلاسي او منليك وصيغة القسم هي « بموت هيلا سلاسي ... » .

فاذا تخاصم الزوجان وكانت المرأة هى السبب فتضطر ان تدفع لزوجها نصف ما تملكه والعكس بالعكس .

والطريقة الثالثة الزواج بالاكاليل حسب التقاليد المسيحية ولكن هذا غير معمول به .

فالملك هيلا سلاسي نفسه رغم كونه متزوجا عن طريق الاكليل فقد كان لديه اكثر من ستين زوجة .

واذا اختلف الزوجان وقرر الانفصال عن بعضهما فيقسم العبيد بينهما مناصفة واذا بقي هنالك عبد واحد « وهذا لا يمكن تجزئته » فيدفع احد الزوجين للآخر قيمة نصف هذا العبد .

وبسبب هذه الطرق المنكرة في الزواج فقد انتشرت الامراض التناسلية كما قدمنا واخذ النسل بالهبوط .

وبسبب تعدد الزوجات (غير المشروع) ضاع نظام الانساب فكثير منهم لا يعرفون اجدادهم حتى ولا اباءهم , وكان من نتائج ذلك ضعف العلاقات العائلية واضطراب النسل واختلاف الدم فلم يكن ثمة قومية حبشية صحيحة كما هي الحالة عند مختلف الشعوب .

الرق

من اعظم الآفات الاجتماعية التي ابتليت بها بلاد الاحباش مسألة الرق فهي منتشرة انتشاراً مريعا وقد قدر لي بعضهم عدد العبيد الموجودين في تلك الديار بما لا يقل عن مليون عبد ويظهر ان طبيعة البلاد تستدعي ذلك فالرؤوس والحكام يعتمدون كثيرا على الارقاء ويعهدون اليهم بمختلف الاعمال من زراعية ومنزلية وغيرها .

ومع ان الامبراطور السابق « هيلا سلاسي » كان يتظاهر برغبته في الغاء الرق. فقد قيل لي انه كان يملك نحو الف عبد .

ومن اغرب ما سمعته ان الارقاء انفسهم يرفضون التحرير لعدم تمكنهم من تامين معيشتهم الضرورية اذا اصبحوا احرارا .

فلا ادري ان كان في مقدور الحكومة الايطالية ابطال هذه الافة المريعة الا اذا عمدت الى الغاء الرقيق تدريجيا وبعد ان تتعهد بتأمين الاعمال اللازمة للارقاء المحررين .

عوائد الاحباش

من العوائد البارزة لدى الاحباش احترام الطاعنين بالسن والاخلاص لهم واطاعة رؤسائهم اطاعة عمياء .

وتجري التحيات عندهم بالانحناء مرة او مرتين او اكثر حسب مقام الشخص الذي يؤدون له التحية .

وعقلية الرؤساء ضيقة جداً ومحدودة واستعدادهم للتطور ضعيف جداً ويميلون كثيراً للمظاهر الفارغة وكنت ارى احدهم في شوارع اديس ابابا راكبا بغلته وعشرات العبيد والاتباع يعدون خلفه .

وقد سمعت روايات غريبة عن انتشار الخرافات والدجل بين الاحباش ومما ذكره لي احدهم ان رجلا حبشيا كان مستخدما عند احد البياطرة له المام بصناعة التنجيم فاخذ يتدرج بواسطة هذه المهنة وانتقل من خادم بيطار الى عامل في المطبعة ثم الى موظف بسيط في الحكومة ولما كان الملك نفسه ممن يؤمنون بهذه الخرافات قربه اليه واخذ يستطلع منه على مستقبله ، ولم تمض مدة يسيرة حتى اصبح صاحبنا وزيرا من وزراء الدولة ومن اقطاب البلاد البارزين الذين يعول على ارائهم في المسائل الخطيرة .

والاحباش لا يتناولون من طعام المسلم ولا يأكلون من ذبيحته وقد اضطر المسلمون ان يعاملوهم بالمثل .

ويضع الحبشي على صدره صليبا نحاسيا صغيرا لتمييزه عن المسلمين والوثنيين .

القضاء والمحاكم

كثيرا ما شاهدت وانا اتجول في الحبشة المتخاصمين يترافعون امام المحاكم على قارعة الطريق وفي الازقة (١) ، وطريقة ذلك ان المتداعيين يحتكمان الى اول شخص يصادفانه في طريقهما فيجلس للحكم بينهما في الطريق العام وحكمه يتمتع بالقوة التنفيذية ويجبر المحكوم عليه على احضار اثنين من معارفه ليضمنا تنفيذ الحكم امام رجال الشرطة .

هذا في الخلافات العادية اما في الخصومات الهامة فيوجد قضاء للاحياء وهؤلاء يحكمون بموجب الاحكام الواردة في كتابهم المعروف باسم « فتانغوس » ويقال ان الاسعد ابن عسال من اقباط مصر هو الذي وضعه في اواسط القرن الثالث عشر وهو يتألف من جزئين : الاول يتعلق باحكام الدين والكنيسة وهو مقتبس من تعاليم المذهبين القبطي والاسرائيلي . والجزء الاخر : يتعلق بالاحكام والمعاملات وقد استند فيه الى المذهب الشافعي . وبما ان النجاشي هو الذي امر بتطبيق هذا الكتاب فقد نسب اليه وقيل « فتانغوس » اي « فتاوى النجاشي » .

وهذه المحاكم « الاهلية » تعتبر ذات درجة ثانية وهناك محاكم ذات درجة ثالثة

---

(١) كان المدعيان يتكلمان بحماس شديد واصوات عالية ويحركان ايديهما ورؤوسهما كأنهما يقومان ببعض الادوار التمثيلية حتى اذا صدر الحكم بادر كلاهما الى الصمت واحناء الرؤوس دلالة على الطاعة والرضوخ وقالا بصوت هادىء — ايش (اي نعم)

« عليا » وهي التي يترأسها الملك نفسه وتسمى الهيئة الاستئنافية العليا .

وليس في الحبشة سجون بالمعنى المعروف ، واول سجن انشأ اثناء الحرب الحبشية الاخيرة ولا يستوعب اكثر من مئة شخص

وقد جرت العادة ان يربط كل سجينين معا ويتركا في الشوارع على تلك الحالة ليعيشا مع بعضهما بمشقة وعنا .

واذا اشتكى احدهم على الاخر لان له دينا عليه وثبت ذلك في المحكمة فيصدر الحكم على المدعى عليه باخذ اليد ومعنى ذلك ان يربط المحكوم عليه بسلسلة ويسلم الى غريمه الذي يحق له ان يقوده الى حيث شاء حتى يسدد الذمة التي عليه .

والقاتل في عرفهم يقتل الا انه اذا اكتفى اهل القتيل بالدية فيطلق سراحه على ان يبقى مكبلا بالحديد فيقف في مفرق الطرق وبيده حدوده يضرب بها على خشب يوضع امامه لاستعطاف المارين واستجداء اكفهم ويظل في تلك الحالة حتى يجمع الدية ويدفعها لاهل القتيل .

وعقوبة الاعدام عندهم تكون بالشنق على الاشجار .

اما العقوبات البدنية التي كثيراً ما تبسطت الصحف والكتب بذكرها تفكهة لقرائها فلم اجد لها اثرا في هذه البلاد وقد علمت انها الغيت منذ عهد منليك (اي من نحو اربعين سنة) ولا سيما قطع الارجل والايدي ، والعقوبة الجسدية الوحيدة الباقية هي كي السارق في جبهته ليبقى فيه ذلك اثرا دائما .

الرشوة عند الاحباش

ومن المآخذ الكبرى على حكومة الاحباش انتشار الرشوة بين موظفيها بصورة فاحشة مما لم نسمع له مثيلا في البلاد الاخرى مهما كانت عريقة في التأخر والانحطاط ، ولا يتعفف عن قبول الرشوة اي موظف حبشي مهما سما قدره وعلت وظيفته .

ولقد قص علي الاستاذ ـ ج ... ـ قصة غريبة جداً كدت لا اصدقها لغرابتها لولا انه اكدها لي تأكيداً قاطعاً واستشهد باسماء الكثيرين على صحتها .... قال :

دعيت وانا في مصر الى التدريس في احدى مدارس اديس ابابا فامضيت عقداً مع البطريركية القبطية بهذا الصدد ودفعت لي اجور السفر بناء على تكليف وزارة المعارف الحبشية .

وقد حضرت فعلا الى اديس ابابا لاستلام وظيفتي فيها ، ورأيت من باب اللياقة ان ازور معالي وزير المعارف قبل كل شيء لاقدم نفسي . فتجاهل امري تماماً وقال : انه لاعلم له ابداً بتعييني . فاستغربت ذلك وقلت : كيف اقدمت اذن البطريركية على عقد الاتفاق باسم حكومتكم ودفعت لي نفقات السفر . فاصر معالي الوزير على تجاهله المسألة وعدم اعترافه بتعييني ....

قال لي الاستاذ المذكور حينما قوبلت من معاليه بتلك المقابلة الجافة قررت من جهتي ايضاً عدم الاعتراف « بمعاليه » ، وتوجهت الى المدرسة التي عينت فيها لاجل مباشرة عملي . ولكن تصدى لي احد رجال البوليس ومنعني من دخول المدرسة فكانت حقاً مفاجأة غريبة غير منتظرة ، ولم اجد سبيلا الا ان استشير احد كبار الموظفين في وزارة المعارف واستطلاع رأيه في هذه القضية فاجابني حضرة الموظف ان المسألة ايسر مما تتوهم فقد كان الواجب عليك ان تقدم لمعالي الوزير جبو (ومعناها الرشوة) . واتفق معه على تقديم ٨ ريالات حبشية ـ وهي تعادل اربعين فرنكاً فرنسياً !!... ـ

قال لي الاستاذ ـ ج ... ـ لقد وضعت هذا المبلغ التافه ضمن ظرف وانا مدله حائر لا اصدق ما افعل ، ثم دخلت على معالي الوزير ووضعت الظرف امامه ويداي ترجفان خجلا وفرقاً ، فاخذه معاليه ووضعه بجيبه وقال لي : يمكنك الآن ان تتوجه الى المدرسة وتزاول عملك !!...

ثم استأنف معاليه كلامه قائلا : ولكن لي نصيحة اليك تهمك كثيرا وهي انني وجدت مرتبك الذي تنص عليه الاتفاقية ضئيلا لايتفق مع كفاءتك ومؤهلاتك العلمية فهل لك في الغاء هذا الاتفاق وعقد اتفاق جديد على اساس مضاعفة الراتب بشرط ان يكون لي نصيب من هذه الزيادة !!..

بيد ان صاحبنا ـ ج ... ـ اعتذر شاكراً ـ لمعاليه ـ عطفه ولطفه واهتمامه بشؤونه .

ولما سألته عن اسباب هذا الامتناع اجابني قائلا : ان وزيرا يبلغ به الاسفاف والدناءة ان يتناول تلك الرشوة التافهة لايمكنني ان اعتمد على اتفاقيته وعقوده

اماكن الفحش

الدعارة منتشرة في الحبشة انتشاراً غريبا ، وقد ادى انتشارها كما قلت في غير هذه المناسبة الى انتشار الامراض السرية .

وقد لاحظت في بعض شوارع اديس ابابا غرفا صغيرة على ابوابها ستائر بيضاء وفوقها صلبان فسألت عنها فقيل لي انها اماكن خاصة لشرب الخمر وتناول الطعام وتديرها نساء عاهرات ، فيدخل الحبشي اليها ويقدم اليه الطعام والخمور ثم يجد في الغرفة نفسها سريرا فينام فيه مع صاحبته ولا غضاضة على غيره ان يقوم بهذا العمل نفسه امام رفيقه !!!

وهذه الاماكن لا تحتاج على ما فهمت — الى رخصة رسمية من الحكومة لاجل ادارتها — .

مشروبات الاحباش

للاحباش خمور خاصة يحتسونها بكثرة واهمها :

١ — الطج : ويصنع من العسل الممزوج بالماء . واحيانا يصنع من نبات اسمه « جيشو » ينقع في الماء حتى يختمر وهو مسكر جدا .

٢ - البرز : ويصنع ايضا من العسل الممزوج بالماء ولكن لا يختمر كثيرا .

٣ — الطالة : وهي بيرة الاحباش تصنع من الشعير .

اجتماع اسلامي كبير

بينما كنت اعد حقائبي وامتعتي استعداداً للسفر اذ زارني فريق من اليمانيين المقيمين في اديس ابابا ومعهم الاستاذ يوسف حبيب . ولما لاحظوا استعدادي للسفر تأثروا كثيرا وقالوا : كيف تزمع السفر والاخوان هنا يهيئون اجتماعات كثيرة للاحتفال بك والقيام بواجب وفادتك ؛ قلت : انكم لم تدخروا وسعا في اظهار اقصى ما يمكن من الحفاوة وانا مضطر للسفر غدا او بعد غدفقدطالامد غيابي . ولكنهم الحوا و كرروا الالحاح فلم اجد مندوحة من النزول عند ارادتهم على شرط واحد وهو ان يكتفي باجتماع واحد يضم اكبر عدد ممكن من المسلمين في اديس ابابا .

وقد تقرر ان يكون الاجتماع في اليوم التالي في المسجد ويصادف يوم الجمعة ويظهر ان الحكومة اخذت علما بامر هذا الاجتماع بدليل ان رسولا جاءني الى الفندق يقول بان سعادة المارشال يطلب مقابلتي فتوجهت حالا وانا لا ادري سبب هذه المقابلة فاستقبلني مدير مكتبه واخبرني بان سعادة المارشال تلقى نبأ الاجتماع الذي يريد المسلمون عقده في المسجد غدا فما هي الغاية الاساسية من عقده ؟؟

فافهمته بان الاخوان أحبوا قبل سفري ان يكرموني ويسمعوا مني بعض كلمات.

فقال : لايوجد لدينا مانع من عقد هـــذا الاجتماع على ان يحضره بعض ممثلي الحكومة .

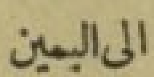
الى اليسار

مؤلف هذا الكتاب والى

جانبه الشاب الدمشقي عبد المجيد

الحلباوي في اسمرة السيد







الى اليمين

منشيء هذه الجريدة

والى يمينه السيد الحيوي

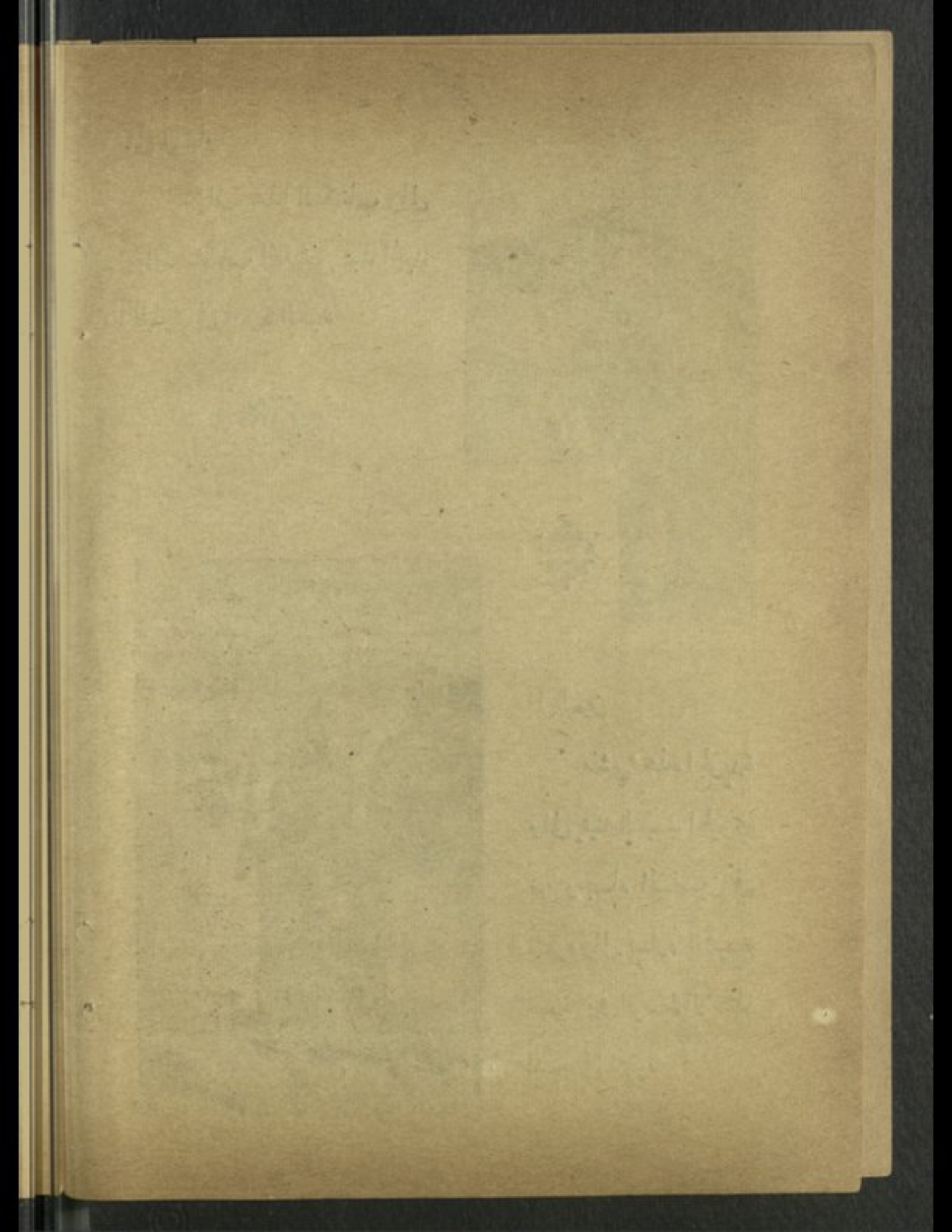
من وجهاء المسلمين في

أسمره والى يساره الشيخ

حبونه وفي الوسط الاستاذ

اسعد في اسمره







منظر عام لمدينة كرن وهي من اجمل المدن الاسلامية في الاريتريا



جنديان صوماليان مسلمان وقد ورد ذكر احدهما في هذا الكتاب

وفي اليوم التالي « وهو يصادف يوم الجمعة في - ١٩ - يونيو » توجهت الى المسجد وادّيت فريضة الجمعة ومن ثم انتقلت الى المدرسة وهي منشأة بجوار المسجد فاذا بها تغص بالجماهير العديدة بحيث وجدت صعوبة كبرى في الوصول الى المقعد الذي اعد لي ، وقد قدر لي احدهم عدد الذين حضروا هذه الحفلة بما يربو على الالفين كان اكثرهم واقفا ، حتى اذا ضاقت غرفة المدرسة على رحبها بالوافدين اضطر الكثيرون ان يقفوا في الطريق أمام النوافذ .

وقد حضرها الكابتين بيانا لوكا مندوبا عن سعادة المارشال وحضرة الليوتنان الكونت فيزادري مدير قلم المطبوعات وبعض الصحافيين الاجانب . وكبار الزعماء المسلمين من احباش وهنود وحضارمة ويمانيين وغيرهم . كما حضرها الوجيه طنوس كرم عميد الجالية السورية في اديس ابابا .

وقد قدمني الى المجتمعين الاستاذ عزيز سليمان بكلمة طيبة القاها باسم نادي الاتفاق الاسلامي - صاحب الدعوة - ثم اخذ يعدد العلاقات التي تربطنا ببعضنا منذ عشرات السنين .

فوقفت وشكرته على كلمته ، كما شكرت اعضاء نادي الاتفاق الاسلامي على دعوتهم وحضرات المجتمعين على حضورهم ثم تكلمت عن حالة المسلمين في الاقطار التي زرتها وعرجت عليها وانتقلت الى الكلام بعد ذلك عن مسلمي الحبشة وما اصابهم من نكبات هوت بهم الى اقصى درجات الانحطاط والتأخر . ثم اخذت اعدد مزايا العلم وفضائله ومضار الجهل ونقائصه مستشهداً بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ومستعرضا الادوار الرائعة التي مرت على المسلمين فارتفعوا بها الى الاوج وسادوا العالم بقوة ايمانهم واخلاقهم واتحادهم والادوار التي هووا فيها الى الحضيض بسبب جهلهم وتخاذلهم وانغماسهم بالشهوات .

ثم قلت ان العالم الاسلامي اخذ ينهض من كبوته ويمسح الغشاوة عن عينيه لاعلاء كلمة الحق واعادة المجد الدارس فيجب ان لا تضيعوا هذه الفرصة السانحة

وتقبلوا على ارتشاف مناهل العلم وتتقدموا الى السلطات بمطالبكم المشروعة .

وقد لاحظت انه كان لكلماتي تأثير نافذ في نفوس القوم ، فتفجرت عيون اكثرهم بالدموع ولما انتهيت اقبلوا علي يحيونني ويشكرونني .

وهنا وقف فضيلة القاضي والقى كلمة مختصرة شكرني فيها ودعالي بالتوفيق .

ثم اعقبه الاستاذ « عليوه » المدرس المصري في المدرسة الاسلامية ـ وهو من خريجي دار العلوم ـ فارتجل كلمة مستفيضة شاء ان يغمرني فيها بحسن ظنه ويثني ثناء كبيراً على محاضرتي فاخجلني كثيراً . ثم ختم كلمته بحث المسلمين على العمل بما وجهت اليهم من نصائح وملحوظات وطلب اليهم ان يظهروا بالمظهر الذي يليق بكرامتهم حتى تحترمهم السلطات وتحقق مطالبهم .

ومن ثم انفرط عقد المجتمعين على ان يؤلفوا وفداً خاصاً لزيارتي قبل سفري واطلاعي على رغائبهم وخرجت من المدرسة وقد التف حولي رجالات المسلمين ووجهاؤهم فكان موكباً حافلا اشبه شيء بمظاهرة صامتة .

وقد قال لي السيد المحضار « رئيس نادي الاتفاق الاسلامي » ونحن سائرون في الطريق : ـ أؤكد لك باننا ـ وقد مضى على وجودي في هذه البلاد ثلاثون سنة لم نشهد مثل هذا الاجتماع العظيم ولم نسمع مثل تلك المحاضرة النفيسة .

فقلت له يا استاذ : انكم تبالغون في حسن الظن ، وكم كنت اود لو تتيح لي الظروف للاقامة بين ظهر انيكم حتى اتفرغ لخدمتكم .

تقرير مهم عن مطالب المسلمين

على اثر هذا الاجتماع والقاء هذه المحاضرة اخذت جماهير المسلمين تتقاطر على الفندق لاجل توديعي وبسط شكاويهم وظلاماتهم فكنت استمع اليهم بدقة وادون ما اسمعه تمهيداً لعرضه على السلطات الحاكمة وقد اضطررت ان أؤجل سفري يومين لان الطريق الى جيبوتي ـ بالسكة الحديدية ـ كان محفوفاً بالاخطار .

وبعد ان جمعت ما يمكن جمعه من المعلومات عن حالة المسلمين اعددت تقريرا مطولا ضمنته خلاصة تلك المعلومات واشفعته ببعض اقتراحات خاصة عرضت لي بهذه المناسبة لاجل اصلاح شؤونهم ورفع مستواهم وانقاذهم مما يعانونه ونشر لواء العلم بينهم .

وسلمت هذا التقرير الى الاخ عزيز سليمان الذي قام بترجمته الى الافرنسية ثم اخذت السيارة وتوجهت الى قصر المارشال لاجل تقديم هذا التقرير .

وهناك قابلت مدير مكتب المارشال القومندان ماتسي وقدمت اليه التقرير ليرفعه الى سعادة المارشال ، وبعد انتظار قليل ادخلت الى غرفة المارشال فرأيته واقفا وامامه التقرير الذي رفعته اليه ، فصافحني « مبتسما » وقال باللغة العربية :

— انا بتكلم عربي طرابلسي ، تفهمني ! فأجبته وانا اضحك :

— نعم يا سعادة المارشال .

قال : هل تفهمني كويس ؟؟

قلت : نعم يا سيدي كلامكم مفهوم .

قال : لا . انا لا اعرف عربي كتير ، اعرف شويه ، شويه .

ثم قال : انني بقيت في طرابلس عشرة سنة « كذا » والعرب حبيبي !!

وقد حاول ان يتابع حديثه بالعربية ولكنه لم يتمكن فاضطر ان يستعين بالمترجم وهو غير المترجم السابق ومصيبتنا بهذا كان افدح من ذاك لانه لايعرف لا الايطالية ولا العربية (١) . وقد لاحظ عليه المارشال ذلك فامره بالانصراف واعتمد على مدير مكتبه « الذي يحسن الانكليزية » في نقل كلامه الي .

---

(١) لقد لاحظت في جميع اسفاري وتنقلاتي في الحبشة وغيرها ان الايطاليين لا يعيرون الترجمة الى العربية اهتماما خاصا ، وهم يستعينون باشخاص لايفقهون من اللغة العربية الا اسمها واكثرهم يتكلم العامية المصرية او السورية بعكس السلطات الانكليزية والافرنسية فهي تختار ابرع المترجمين واقدرهم على التعريب .

ثم قال سعادة المارشال : انني سأدرس تقريرك بعناية خاصة وانني مبدئيا اعجب كثيرا بغيرتك على بني قومك واهتمامك بمصالحهم .

ثم سألني بالحاح عما اذا كان العرب والمسلمون الذين قابلتهم يشعرون بشيء من الحيف والاجحاف ؟

قلت : انكم يا سيدي لا تزالون حديثي العهد في هذه البلاد وهم ينتظرون بفارغ الصبر تحقيق الوعود التي قطعتها حكومتكم مرارا .

فقال : ان لدي برنامجا واسعا يشتمل على اصلاحات واسعة في المناطق الاسلامية . ونحن سننظر في المطاليب التي رفعتها بعين العطف والاهتمام .

قلت : ولكن هناك مطلبا عاجلا ارجو تحقيقه في اقرب وقت .

قال : وما هو ؟

قلت : تأليف مجلس من اعيان المسلمين وكبرائهم « يعتبر كمجلس استشاري » لاجل النظر في شؤونهم وتأمين الارتباط بينكم وبينهم .

قال : حسن . وانا وافقت على ذلك . فهل لك ان تقدم لي اسماء اعضاء هذا المجلس لنصدر امرنا بتعيينهم .

قلت : هذا امر مناط بهم وانا سأسعى لعقد اجتماع عاجل من المسلمين لاجل استطلاع آرائهم بهذا الصدد .

ثم اعربت له عن رغبتي في السفر الى الاريتريا واستأذنت فيما اذا كان يمكن السفر بالطيارة الى اسمرة .

فوافق على ذلك وكلف مدير مكتبه بان يخابر قائد الطيران بهذا الصدد .

وفي اليوم التالي اخذت اتصل بزعماء المسلمين وعرضت عليهم فكرة تأليف مجلس اسلامي اعلى منهم فوافقوا على ذلك واقترحوا كلهم بان يتكون هـذا المجلس من اعضاء نادي الاتفاق الاسلامي الذي تم تأليفه في عهد الحكومة السابقة .

وعلى ذلك فقد رفعت الى المارشال اسماء اعضاء المجلس المذكور واكثرهم من اعضاء نادي الاتفاق الاسلامي وهم (١) :

السيد محمد بهارون : ناظر نادي الاتفاق الاسلامي
السيد محمد المحضار : رئيس » »
الشيخ عبد الصمد : وكيل » »
الشيخ محمد صادق : عضو » »
الحاج براسو : عضو » »
الشيخ احمد عبد الله ادريس : من اعيان اليمانيين .
قاضي المسلمين في اديس ابابا .

---

(١) علمت بعد سفري انه تم تأليف المجلس المذكور وباشر اعماله .

مقاطعة الاريتريا (١)

بالطيارة الى اسمره

انتبهت من نومي صباح الجمعة في ٢٦ يونيو (حزيران) سنة ١٩٣٦ باكرا « الساعة الخامسة والنصف » فبادرت حالا الى لبس ثيابي واعداد حقائبي ثم اخذت السيارة الى مطار — اديس ابابا — وقد صحبني الاخ عزيز سليمان . وتوجهت توا الى قائد المطار وقدمت اليه الرسالة التي احملها لاجل امتطاء الطيارة الى اسمرة فاظهر ترددا في بادىء الامر وطلب مني تأجيل السفر لعدم وجود امكنة خالية بيد انني اعربت له عن اضطراري للسفر في هذا اليوم لان لدي اعمالا مستعجلة لايمكن ارجاؤها وقد كانت الطائرات المتوجهة الى اسمرة ستا او سبعا وكلها

---

(١) اغتنم الطليان فرصة قتل كوستاف بيانشي الطلياني ورفاقه سنة ١٨٨٥ في دانغالي في نفس المحل الذي قتل فيه غاليه ورفاقه سنة ١٨٨٤ فارسلت الحكومة الايطالية فرقة من جنودها واحتلت ثغر مصوع في اليوم الرابع من شهر شباط — فبراير — سنة ١٨٨٥ وانتشرت الجنود الايطالية في اراضي سمهرة وارشيكو ومنقوللو وساتي وكلها تابعة للحكومة الحبشية . واخذت من ثم الجنود الايطالية تتقدم شيئا فشيئا الى شمال مصوع وجنوبها وغربها حتى استولت على كل مقاطعة اريتره وجعلها الطليان مستعمرة لهم والفوا فرقة من الجنود المتطوعة الوطنيين بالاجرة — رحلة الحبشه لصادق باشا المؤيد — .

مشحونة بالقواد والضباط وكبار الموظفين وكان نصيبي الركوب في طيارة البريد وهي طائرة حربية مجهزة بالمدافع الرشاشة وغيرها .

وحوالي الساعة السابعة تحركت بنا الطيارة واخذت تحلق في سماء اديس ابابا فكان منظر العاصمة الحبشية من الجو من اروع المناظر وابدعها .

وقد اجتازت الطيارة بنا جبالا شاهقة وذرى شامخة ووديانا سحيقة وغابات كثيفة وانهارا عظيمة كانت تخترق تلك الجبال والوهاد كالافاعي ، وكان قائد الطيارة يريني بعض المواقع التي نشبت فيها اهم المعارك بين الاحباش والطليان . ومن اجمل المناظر الخالدة التي شاهدتها من الطيارة منظر السحب والغيوم المتلاطمة تسير من تحتنا فكانت تحجب ضياء الشمس عن سطح الارض في حين اننا كنا نتمتع به تماما ولا غرو فقد بلغ ارتفاعنا عن سطح البحر بموجب ارقام البارومتر (٤٥٠٠) متر وهذا اعظم ارتفاع بلغته في حياتي ، وقد اخذت اشعر بالبرد القارص يتسرب الى جسمي بل الى عظامي . رغم جميع الاحتياطات ورغم سد منافذ الطيارة .

اتجهت بنا الطيارة في سيرها نحو الشمال الشرقي وظلت كذلك حتى بلغت مدينة (دبسي) فهبطت قليلا والقت بالاكياس البريدية ، وتعلو دبسي عن سطح البحر (٢٥٥٠) متراً ثم تابعت سيرها حتى بلغنا « كورا » الساعة العاشرة ونصف وهي المطار الخاص باسمرة وتبعد عنها نحو ستين كيلو متراً بالسيارة .

والمسافة بين اديس ابابا واسمرة تعادل نحو «١٥٠٠» كيلوا متراً قطعناها في ثلاث ساعات ونصف تقريباً .

وعند نزولي من الطيارة تقدم ضابط برتبة ملازم ابيض اللون قصير القامة فحياني قائلا : هل انت فلان .

قلت : نعم

قال : انني مدير قلم المطبوعات في مقاطعة الاريتريا وقد تلقيت من حضرة المدير العام لقلم المطبوعات في اديس ابابا اشعارا برقيا بسفرك فجئت اليك بسيارة

خاصة كي نتوجه معا الى اسمرة وانا على استعداد لتقديم كل التسهيلات اللازمة المتعلقة بمهمتك فشكرته كثيراً، وامتطينا السيارة الى عاصمة الاريتريا وانا جد معجب بلطف هذا الضابط وذكائه ودماثة اخلاقه، وقد علمت انه يحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة «روما» واسمه الدكتور فرانكي.

وفي الطريق خاطبت صاحبنا بصراحة وقلت له: انني لااود المكوث طويلا في اسمرة بسبب اضطراري للسفر الى اليمن بسرعة وسألته عن مواعيد البواخر التي تسافر الى الحديدة فوعدني ان يوافيني بالبيانات عند وصولنا لاسمرة.

منزل من الورق

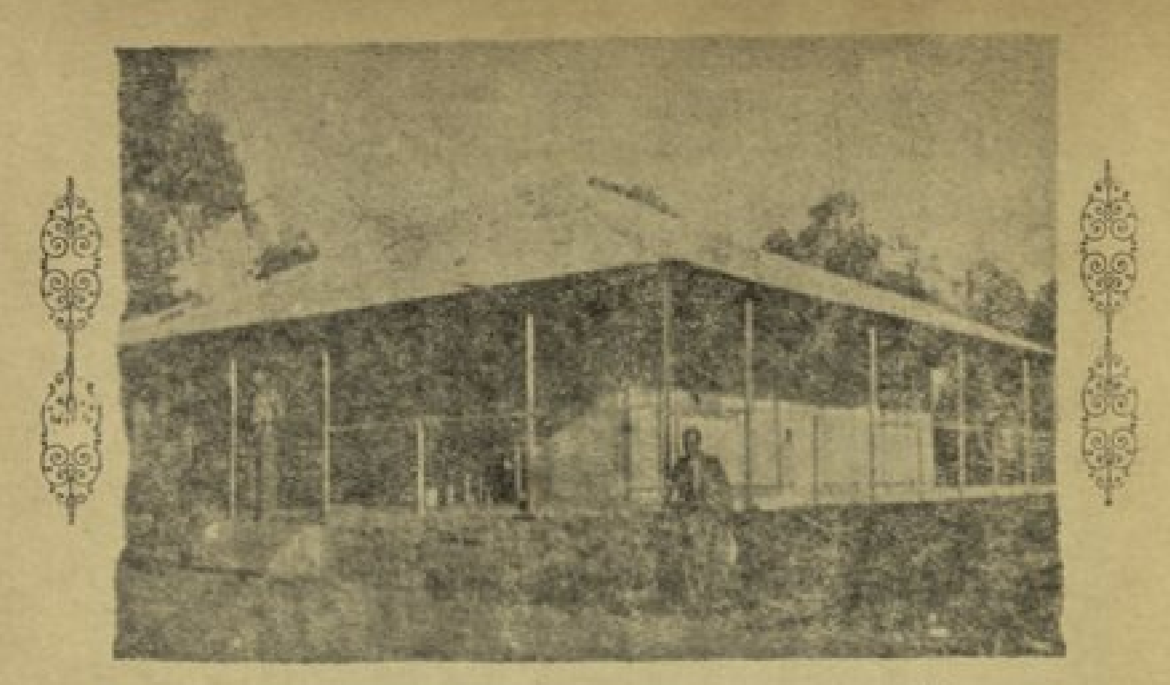
بسبب فقدان الفنادق في اسمره فقد اعدت الحكومة منازل صغيرة مصنوعة من الورق الصقيل الذي لاتؤثر فيه النيران ولا التقلبات الجوية لمبيت الصحافيين الايطاليين والاجانب الذين يؤمون اسمرة وقد حاولت بادىء بدء الاعتذار عن المبيت هناك ولكن الدكتور فرانكي قال لي بصراحة انه لايوجد في اسمرة سوى فندق واحد وليس فيه مكان خال. فلم اجد مندوحة عن قبول تلك الضيافة التي كانت مقتصرة على النوم «فقط».

معلومات مقتضبة عن الاريتريا

الاريتريا هي المقاطعة الافريقية الواقعة في جنوب السودان وهي تكاد تعتبر جزءاً طبيعيا من بلاد الحبشة وقد استولى عليها الايطاليون عام ١٨٨٥ (١)

---

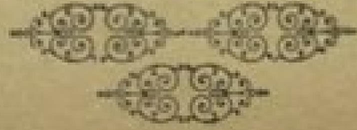
(١) كان لمصر قبل ثورة السودان عام (١٨٨٣) جزء عظيم في شواطىء الحبشة على البحر الاحمر واليوم حلت محلها انكلترا وفرنسا وايطاليا فاما ايطاليا فقد احتلت مدينة مصوع وهي من احسن موانىء البحر الاحمر واحتلت ايضا جزائر دهلك—

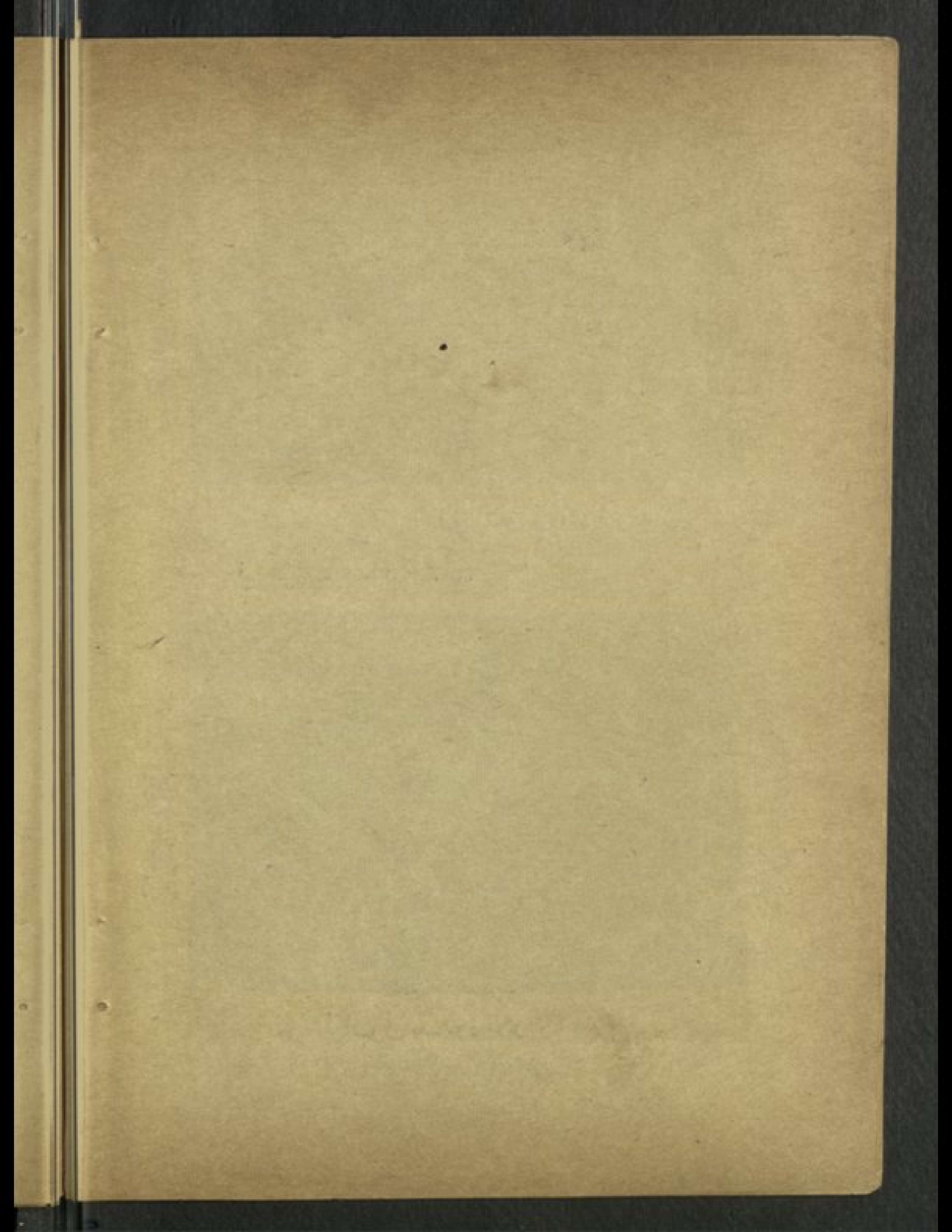


منزل مصنوع من الورق المتين في اسمرة وقد نزل
فيه مؤلف هذا الكتاب



نهر المراب في حدود الاريتريا والحبشة



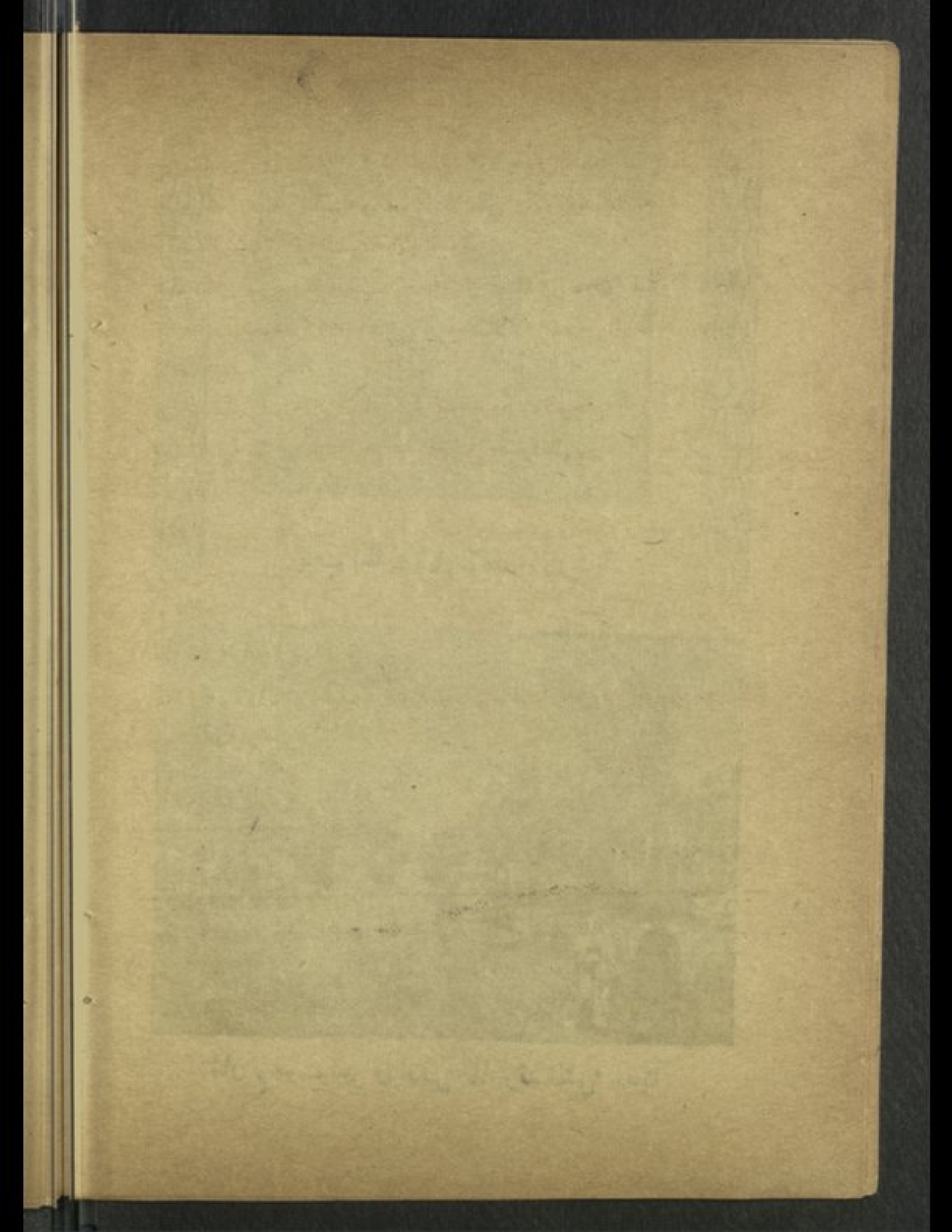




جناب الحاكم العام لمقاطعة الاريتريا



شارع موسوليني في اديس أبابا وقد انشيء حديثاً



وبعد احتلال الحبشة في الحرب الاخيرة ضمت هذه المقاطعة اليها .وقد تكونت من المقاطعات الثلاث : الحبشة والصومال الايطالي والاريتريا المملكة الجديدة التي اطلق عليها اسم «افريقيا الشرقية الايطالية »

يبلغ سكان الاريتريا حسب الاحصاء الرسمي الذي جرى عام (١٩٣١) « ٦٥٠ » الف نسمه «٥٩٦» الفا من الوطنيين و«٤١٨٨» من الايطاليين والباقون من الاجانب

وتبلغ مساحتها « ١١٩٤٧٢ » كيلو متراً مربعاً ومنتوجاتها الزراعية اكثرها في البلاد الجبلية نظراً لاعتدال هوائها وليس في السواحل زراعة تذكر بسبب اشتداد وطأة الحر .

واهم محصولات الاريتريا الزراعية : الذرا والسمسم والقطن والخضر والفواكه ونوع من الحبوب التي يصنع منها الخبز اسمه « البليق » .

والامطار تبدأ بالهطول في الساحل اعتباراً من اول ديسمبر كانون اول وتستمر كذلك حتى فبرايو (شباط)

اما في اسمره والبلاد الجبليه فموسم الامطار يبدأ اعتباراً من (١٥) يونيو (حزيران) ويستمر لغاية آخر سبتمر (ايلول)

اهم المدن فى الاريتريا

(اسمرا) هي عاصمة الاريتريا وهي مدينة جميلة واقعة على رواب بديعة وهواؤها

—ومقاطعة الاريترية الممتدة على ساحل البحر الاحمر حتى عصب واما فرنسا فاحتلت الشاطئ الافريقي من مضيق باب المندب وميناء اوبك وخليج تاجورة

واما انكلترا فقد احتلت شاطئ عادل من بلاد الصومال مع مدينتي زيلع وبربرة

معتدل جدا يشبه هواء لبنان في الصيف تماما وتعلو عن سطح البحر «٢٣٤٧»م منازلها حديثة وشوارعها مرصوفة بالاسفلت ومنسقة على الطراز الاوربي

وكانت اسمرة عند وصولي اليها تعج بالخلائق الكثيرة «واكثرهم من الجنود» حتى قدر لي بعضهم عدد سكانها في ذلك الوقت بثمانين الف شخص في حين انهم لايزيدون عادة عن عشرين الفا.

ومعظم تجارها من الايطاليين والحضارمة واليمانيين واليونانيين .

واهم المدن في مقاطعة الاريتريا بعد اسمرة :

١ — مصوع (١) وسكانها (٣٥٠٠) وطني و«٦٥٤» اوربي

٢ — عدى قيصح «ومعناها البلدة الاحمراء نسبة الى ترابها» وسكانها(٣٥٠٠) وطني و«٥٣» اوربي.

٣ — عدى اوجرى وسكانها «٤٠٠٠» وطني و«١٢٥» اوربي

٤ — كرن او (سنحيت) وسكانها «٤٠٠٠» وطني و«٢٠٠» اوربي

٥ — اغوردات وسكانها «٦٠٠٠» وطني و«١٦» اوربي .

٦ — عصب وسكانها (٧٥٠٠ وطني و«٥٨» اوربي.

٧ — رائتو وسكانها (٢٠٠٠)وطني و«٧» اوربي .

المواصلات

المواصلات في الاريتريا لابأس بها بالنسبة لتأخير تلك البلاد فهنالك خطوط الكسة الحديدية التي تمتد من مصوع اسمرة وطولها (١٢٠) كيلو مترا، ومن مصوع الى كرن وطولها(٩٧) كيلو مترا، ومن كرن الي اغوردات وطولها

---

(١) هذه الارقام اخذت عن الاحصاء الرسمي الذي جرى قبل الحرب الحبشية الاخيرة .

(١٠٤) كيلو مترا ، ومن اغوردات الى فيشه وطولها (٤٥) كيلو مترا والهمة مبذولة الان لتمديد الخط الى تسهنة (على حدود السودان) .

وقد علمت ان النية متجهة الى مد خط حديدي من اسمرة الى اديس ابابا لتأمين الاتصال بين العاصمة الحبشية والساحل البحري ، وبذلك يصرف النظر عن خط طريق جيبوتي . وعند مثول هذا الكتاب للطبع اذيع انه تم انشاء طريق للسيارات بين ميناء عصب واديس ابابا

اما الطرق التي تصلح لسير السيارات فهي تبدأ من اسمرة الى مكلي وطولها (٣٧٧) كيلو مترا ومن اسمره الى عدوه وطولها (١٧١) كيلو مترا ومن فيشة الى تسهنة وطولها «١١٥» كيلو مترا ؟

الديانات

الديانات السائدة في الارتريا هي الاسلام وقد ازداد عدد المسلمين في هذه المقاطعة بنوع خاص عقيب ضم مقاطعات التيغري واوسة والدنا كل اليها .

وتتلوها الديانة المسيحية فالوثنية « في بعض الجهات كما سيأتي » فاليهودية .

الاستاذ اسعد

زودني احد الاصدقاء في اديس ابابا ببطاقة توصية خاصة الى صديق له في اسمرة اسمه جرجس اسعد (وهو مصري الاصل) ولدى وصولي الى اسمرة توجهت حالا لمقابلة هذا الشخص فعلمت انه يقوم بتدريس العربية في مدرسه البنات فانتظرته في منزله حتى جاء ولما اطلع على البطاقة رحب بي ترحيبا كبيراً .

والحق يقال ان زيارتي لهذا الاستاذ افادتني كثيرا لانه كان واسطة التعارف بيني وبين زعماء المسلمين في اسمره كما امدني بمعلومات لا يستهان بها عن حالة البلاد.

واول شخص عرفني عليه هو الشاب عمر سالم باعقيل من كبار التجار

الحضارمة في اسمرة ، ثم عرفني على تاجر حضرمي آخر اسمه سالم سعيد باحكيم وكلاهما من اصحاب الاعمال الناجحة في هذه المقاطعة .

ولم يكن هذان الشابان النشيطان يتعرفان بي ويطلعان على مهمتي حتى ظهرت عليهما علائم الارتياح واستبشرا خيرا واخذا بدورهما يقدمان لي وجوه المسلمين وتجارهم وشبابهم واخذت تنهال علي الدعوات لادب وحفلات التكريم فكنت اعتذر لضيق الوقت ولاضطراري الى السفر بسرعة ولكن عبثا حاولت فقد ابى على القوم الا ان امكث وقتا كافيا . واخيراً اضطررت الى النزول عند ارادتهم ومن ثم بدأت الاجتماعات تتوالى عن طريق الحفلات .

اجتماع حافل

وكان اهم هذه الاجتماعات واروعها ذلك الاجتماع المهيب الذي عقد في منزل الوجيه الحبشي المسلم احمد حسين الحيوتي من علماء اسمره فقد اقام حفلة شاي كبرى دعى اليها نخبة من زعماء الاحباش المسلمين ورؤسائهم وعلمائهم واعيان العرب (١) من حضارمة ويمانيين . وهذا نص الدعوة التي وجهها الى المدعوين انشرها كنموذج لطريقة الكتابة العربية عند القوم :

---

(١) علمت من مسلمي اسمره ان وفد السلام الذي زار مكة المكرمة وصنعاء اليمن للتوفيق بين عاهلي ـ الجزيرة ـ والمؤلف من السادة هاشم الاتاسي الحاج امين الحسيني والامير شكيب ارسلان عرج في طريقه على اسمرة وبات فيها بضع ليالي . وقد احتفى الرؤساء المسلمون باعضاء الوفد احتفاء باهرا

وعلى اثر عودة الوفد نشرت مجلة ـ الفتح ـ الاسلامية التي تصدر في القاهرة مقالا للامير شكيب يثني فيه على ما شاهده من تحسين حالة المسلمين في الاريترية وتمتعهم بكامل حريتهم الشخصية .

(راجع العدد الصادر بتاريخ ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ هجرية من المجلة المذكورة)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الافاضل الكرام

نرجو تشريفكم لمحلنا لتناول الشاي في يومنا هذا « الخميس » الساعة الرابعة مساء لمناسبة حضور ضيف كريم من اهل العلم الجليل السيد محمد تيسير ظبيان الكيلاني صاحب جريدة الجزيرة في دمشق .

اسمرة في - ٢ - يوليو سنة - ١٩٣٦ - .

الداعي : احمد حسين الحيوتي

وقد توجهت في الوعد المضروب الى منزل المذكور فرأيته غاصا بحضرات المدعوين وهذه اسماء من وعته الذاكرة منهم :

١ — كفالير عمر محمد شعباش (١)

٢ — ازماش حسن علي .

٣ — الشيخ عبده محمد عباسي .

٤ — فيتوراري ابره حقوس .

٥ — السيد ابراهيم هاشم .

٦ — باشاي ابراهيم موسى .

٧ — الشيخ محمد سعيد جبونه .

٨ — الشيخ حامد طاهر .

٩ — باشاي عبده محمد زينو .

---

(١) كفالير وازماش وفيتوراري وباشاي وبلاته وخليفه القاب مألوفة عند اهالي الاريتريا .

١٠ — خليفه امام موسى .
١١ — خليفة عطا ابراهيم صالح .
١٢ — خليفة محمود محمد حق الدين .
١٣ — بلاته نكو ابو بكر .
١٤ — الشيخ عبد القادر محمد صالح الكبيري .
١٥ — باشاي عبد الله عمر الدين .
١٦ — باشاي حسن عبد الواحد .
١٧ — خليفه عبد الله موسى .
١٨ — خليفه حامد عبد الله منشاي .
١٩ — خليفه البشيري .
٢٠ — خليفه ابو بكر برهانو .
٢١ — خليفه محمد عمر قاضي .
٢٢ — باشاي محمد علي فكان .
٢٣ — باشاي عبده .
٢٤ — الشيخ محمد احمد باشماخ .
٢٥ — الشيخ محمد احمد بامشموس .
٢٦ — الشيخ علي يحيى الهمداني .
٢٧ — الشيخ عبد الله صالح .
٢٨ — الشيخ خادم غالب .
٢٩ — الشيخ سالم باحكيم .
٣٠ — الشيخ سالم باعقيل .
٣١ — خليفه احمد ديريه .
٣٢ — الشيخ فارح .

٣٣ — الشيخ احمد باحبيس .

٣٤ — صالح معلم .

٣٥ — الشيخ عثمان « امام المسجد » .

وبعد ان رحب الحاضرون بمجيئي اخذوا يسألونني عن احوال بلادنا ثم طلبوا الي القاء كلمة بهذه المناسبة فوقفت وارتجلت كلمة تنطوي على : (١) دعوتهم الى الاتحاد والتضامن ونبذ الخلافات (٢) السعي والعمل والتشمير عن سواعد الجد للحاق بالامم الراقية (٣) الاعتصام باهداب الدين الحنيف الذي يأمر بمكارم الاخلاق وينهي عن المنكرات (٤) وجوب ارتشاف مناهل العلم (٥) الانكباب على تعليم اللغة العربية - لغة الدين - ونبذ اللغات الاعجمية كالتيغري والامهري .... الخ .

ثم اعربت عن دهشتي واستغرابي لعدم وجود جمعيات خيرية - على الاقل - لمساعدة البؤساء والمساكين والمحتاجين .

وبعد انتهاء الكلام وقف الشاب السيد عبد القادر الكبيري من كرام التجار والقى كلمة بلغة عربية صحيحة تفيض عاطفة طيبة وشعورا كريما .

ثم انفرط عقد الاجتماع بعد ان قدم الي فريق من الحاضرين بيانا باهم المطالب التي ينتظرون تحقيقها .

المعارف فى الاريتريا

لاحظت اثناء الاجتماعات المتكررة بوجوه المسلمين انهم لا يرسلون ابناءهم الى المدارس الحكومية (ولا يوجد غيرها) وذلك لعدم عنايتها بتدريس اللغة العربية وشؤون الدين لذلك كان طلاب هذه المدارس من الاحباش المسيحيين والايطاليين فقط .

وقد طلبت من الحكومة ان تسهل لي زيارة المدارس . وفي يوم الثلاثاء الواقع في ٣٠ يونيو قمت بهذه الزيارة وقد صحبني الدكتور فرانكي مدير قلم المطبوعات

والاستاذ اسعد فزرنا اولا المدرسة الكبرى حيث استقبلنا مدير المدارس العام - ووظيفته تماثل وظيفة مدير المعارف عندنا - وهو شاب ايطالي وقد علمنا منه ان المدرسة مقفلة الان بمناسبة العطلة الصيفية .

وقد تحدث الي طويلا عن حالة المدرسة ودرجة انتشار التعليم ويمكنني تلخيص حديثه فيما يلي :

ان المدارس في الاريتريا على نوعين (١) مدارس خاصة بالايطاليين وهذه تسير على الاصول والقواعد المتبعة في مدارس ايطاليا نفسها .

(٢) مدارس خاصة بالاهلين . وهي موجودة في المراكز الاتية: اسمرة ، جنده مصوع ؛ اديوغري ، سكانيت . عادى ؛ كيبج ، كرن ، اعوردات ، عصب .

وهذه المدارس انشئت للمسلمين والمسيحيين من الاحباش على السواء وتدرس فيها العلوم الاتية : باللغة الايطالية : ؛ الجغرافيا ؛ التاريخ ، العلوم الطبيعية ، الحساب والرياضة البدنية .

وتوجد مدارس صناعية لتعليم الطباعة والنسخ على الالة الكاتبة والتلغراف والميكانيك والتجارة .

وتوجد مدرسة زراعية في اديوغري .

وتدرس اللغة العربية في المدارس التي يكثر فيها عدد الطلاب المسلمين والا فيستعاض عنها بالتيغرية او الامهرية .

ولما ذكرت لهم شكوى المسلمين من عدم الاهتمام بتعليم اللغة العربية : اعترف لي بانه يوجد شيء من الاهمال في الاعوام الاخيرة لعدم وجود اساتذة اكفاء ولكنه تلقى تعليمات جديدة تقضي بوجوب العناية التامه باللغة العربية .

وتعتبر مدرسة « اسمرة » اكبر هذه المدارس وارقاها فهي تضم (١١٠٠) تلميذ بينهم (١٣٠) فقط من المسلمين .



الى اليمين

حاكم مقاطعة

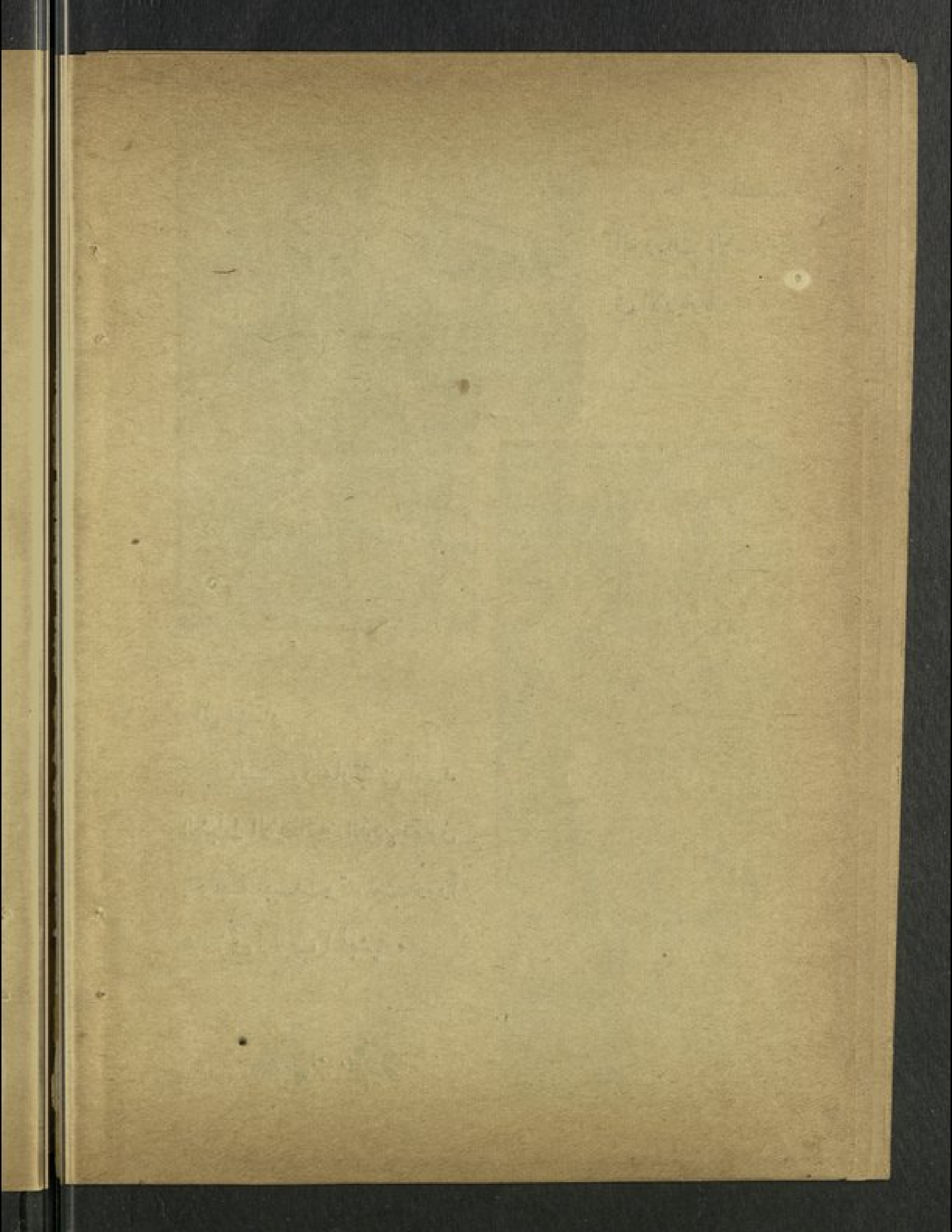
اغوردات الاسلامية

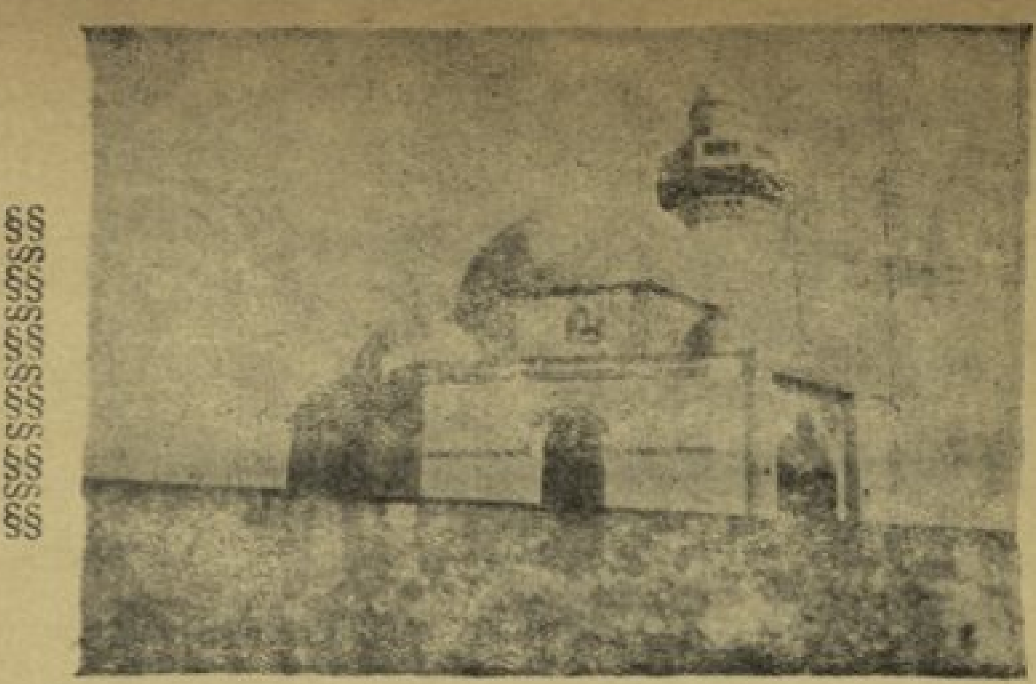
في الاريتريا

الى اليسار

السنيور مارتيني احد الضباط الايطاليين الذين يتقنون العربية جيداً وقد لعب دوراً هائلا في الحرب الحبشية .



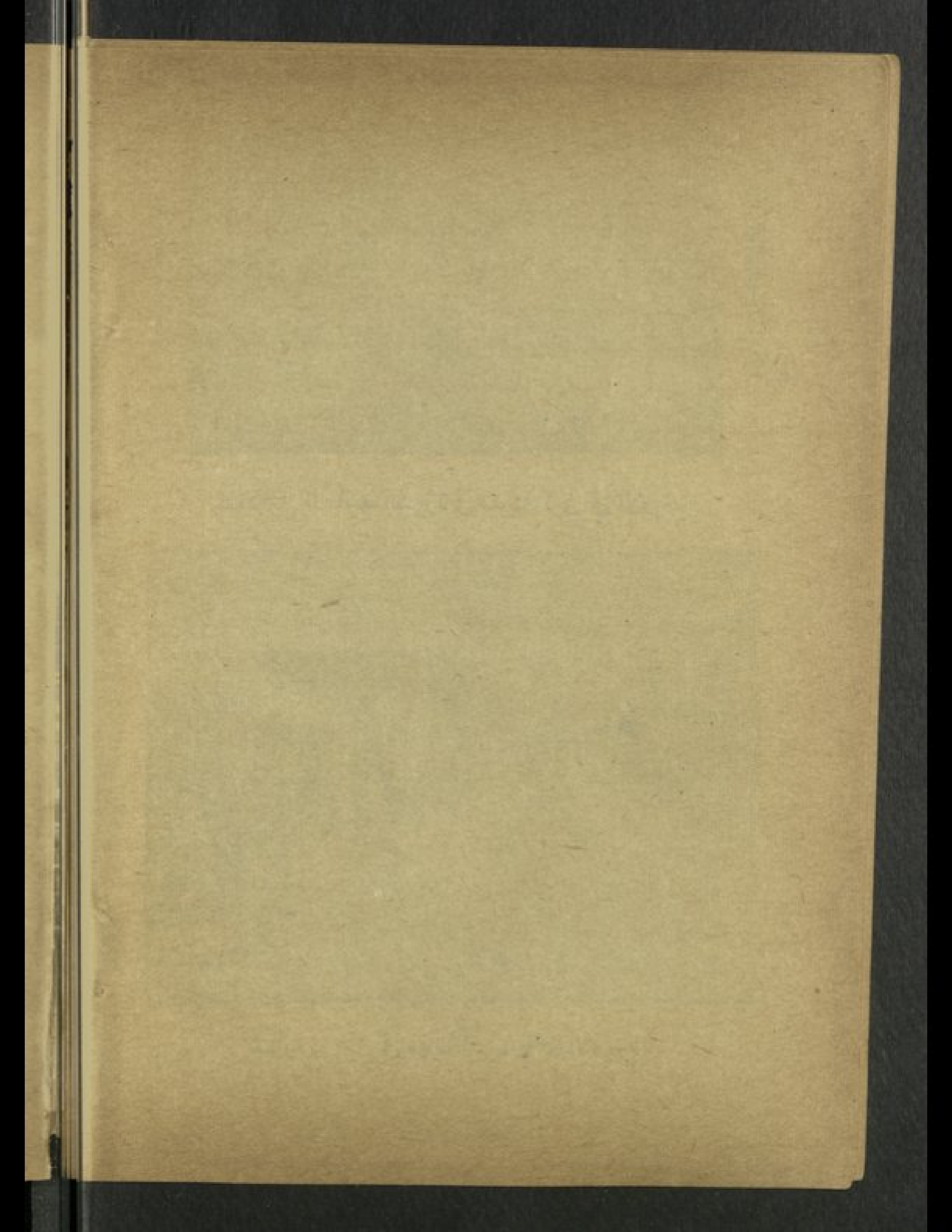




مسجد من المساجد الشهيرة في مدينة كرن في الاريتريا



شارع جميل في مدينة اسمرة عاصمة الاريتريا



وهناك كتاتيب قرآنية صغيرة تمدها الحكومة بالمساعدة ولا تشرف عليها الا من الناحية الصحية .

ولما سألته عن السبب في اهمال تدريس الديانة الاسلامية اظهر استغرابه وقال: بالعكس نحن نعني عناية خاصة بتدريس الديانة الاسلامية في المدارس التي يزداد فيها عدد الطلاب المسلمين ففي المدارس الآتية يوجد اساتذة لتعليم الديانة الاسلامية بوجه خاص وهي : مدرسة مصوع ، كرن ، اغوردات ، عصب .

وبهذه المناسبة شكالي مدير المعارف ما يلقاه من الصعوبات بسبب تعدد الاديان وتباين الطوائف في المدارس فهناك : المسلمون واليهود والكاثوليك والبروتستانت والارثوذكس ... الخ .

ولما كان النظام الايطالي يقضي على الطلاب ان يستهلوا اعمالهم بالدعاء قبل مباشره دروسهم فقد اضطر المدير المذكور ان يضع دعاء يلائم جميع الاديان والطوائف ولا يتعارض مع تعاليمها وقواعدها وهذا نصه :

« يارب بارك اعمالي في هذا اليوم ؛ واحفظ والدي ورؤسائي ووطني » .

وقد اردت ان اداعبه فسألته : اي وطن تعني في هذا الدعاء ايطاليا ام الاريتريا !!؟

فاجابني ضاحكا : كلاهما وطن واحد !!

وقد علمت من المدير المذكور . انه تقرر انشاء مدارس جديدة في هذا العام بالمراكز الآتية :

عدوة ، ابندا سلاسي ؛ عبي عدي ،صنعافه ، اديغرات ، حوزين ، مكالي .

وقد كانت توجد مدارس بروتستانية في المناطق التي ضمت اخيرا الى الارتيريا « وفصلت عن الحبشة » . فقررت الحكومة الاستيلاء عليها وضمها الى مدارس الحكومة وهي مدارس زعزكا ، بيهلزا ؛ حمبرتي ، زعدي ، خواله ؛ جيليب ، عدى كاتحري ماليا كه

فقدان اساتذة اللغة العربية

وقال لي ايضا بمناسبة كلامنا عن اللغة العربية ان اشد ما نلقاه هو عدم وجود اساتذة اكفاء لتدريس اللغة العربية ؛ وقد اضطررنا ان نستعين في احدى المدارس باحد الطلاب ليقوم بتدريس هذه اللغة لان الحكومة احتاجت الى الاستاذ المختص وعهدت اليه ببعض اعمال الترجمة .

فقلت له : ان البلاد العربية وخصوصا سوريا ومصر تعج بالشباب الناهض المثقفين حملة الشهادات الذين يمكنهم اعطاء الدروس العربية ويمكنكم الاستفادة منهم والاستعانة بهم بهذا الصدد .

مدارس خاصة للمسلمين

ثم سألته عما اذا يمكن انشاء مدارس حكومية خاصة بالمسلمين دون غيرهم فقال هذا امر متعذر اذ اننا نضطر حينئذ لانشاء مدارس خاصة ايضا لابناء الطوائف الاخرى وفي ذلك من الصعوبة ما فيه .

قلت : اذن فلا تمانعون في انشاء مدارس اهلية خاصة بابناء المسلمين : قال ان الحكومة لا تعارض في ذلك ولكن لم يتقدم حتى الان من المسلمين احد بهذا الطلب .

السيدة شريفة المرغنية

كنت ذات يوم واقفا على مقربة من سراي الحكومة اتفرج على احد الاحتفالات الرسمية وقد اكتظت الجماهير في الشوارع وعلى جوانب الطرق . فلفت نظري سيارة فخمة عليها علم اخضر منقوش عليه بعض الايات القرآنية . وكانت هذه السيارة تخترق الصفوف فتحييها الجماهير ويؤدي لها الجنود التحية العسكرية . ولما بلغت سراي الحكومة وقفت فنزلت منها سيدة جليلة رافلة بالاثواب المزركشة وسار على

يمينها ويسارها ومن خلفها عدد كبير من اعيان المسلمين وعلى رؤوسهم العمائم البيضاء ، وتهافت الكثيرون على تقبيل يديها. ولما شاهدها القواد والضباط العسكريون استقبلوها باحترام زائد .

وقد سألت عنها فقيل لي انها السيدة شريفة علوية المرغنية زعيمة الطريقة المرغنية في هذه البلاد ويقدر اتباعها بعشرات الالوف وهي حفيدة المرغني الكبير «السيد محمد عثمان» وكريمة السيد محمد هاشم والحكومة تنظر اليها نظرة اعتبار وتعرف لها مكانتها ومقامها .

فوجدت من الواجب ان ازورها وان اتحدث اليها لا سيما بعد ان تأكدت بانها صاحبة الكلمة النافذة التي لا ترد عند المسلمين

فكلفت المترجم العربي ازماش نور حسين « وكانت الحكومة قد عهدت اليه بمرافقتي عند الحاجة » ان يستأذن لي بزيارتها فاخذ منها موعداً خاصاً وفي الموعد المحدد توجهت الى منزلها صحبته فاستقبلنا على الباب عدد من العبيد والخدم والاتباع وادخلنا الى صالة واسعة مفروشة بانواع السجاد النفيس والرياش الثمينة .

وبعد بضع دقائق دخلت علينا السيدة الشريفة وهي تختال في مشيتها فاذا بي امام امرأة قصيرة القامة مليئة الجسم ترتدي اجمل الثياب وازهاها وقد غطت رأسها وعنقها ولم تبد سوى وجهها الذي تدل ملامحه على الذكاء والدهاء ، وكانت بيدها مظلة «شمسية» طويلة العنق ولم تكد تلج باب الغرفة حتى هجم عليها الحاضرون واخذوا يقبلون يديها ويتمسحون باذيالها . فتقدمت نحوها وصافحتها فسألتني بالعربية بعد ان اخذت مكانها في صدر المجلس :

— كيف حالكم .

— الحمد لله بخير ندعو لك بطول البقاء .

— اهلا وسهلا ومرحباً من اي البلاد انتم .

— من دمشق عاصمة بلاد الشام .

— بارك الله فيك ، تشرفنا يا حضرة السيد وهنا صمتت طويلا فصمت معها ، ثم استأنفت الحديث قائلا :

— كيف حالة المسلمين في هذه البلاد .

— فالتفتت الي وقد ابرقت اساريرها وافتر ثغرها عن ابتسامة لطيفة وقالت بالحرف الواحد :

« على احسن ما يرام ...... ان الرعية يا حضرة السيد من عادتها ان تألم من الظلم ، وان تشكو من عدم انتباه الحكام ؛ وان تتململ من عدم تأييد الديانة — اما المسلمون في هذه البلاد فهم لا يشعرون بشيء من الظلم والتدخل في دياناتهم

واما انا من جهتي فاحمد الله على ما اتمتع به في هذه الديار ، فاذا قلت فكلامي نافذ ، وقدري مرفوع وقولي مسموع وجميع ما احتاج اليه متوفر لدي »

ثم راحت تطنب في عدل الطليان وقالت : انهم يشبهون في حكمهم دولة بني ساسان دولة كسرى انو شروان «هل تعرفها يا حضرة السيد ؟!»

قلت : قليلا

قالت : لا تتجاهل . يلوح لي انك واسع الاطلاع ثم تابعت حديثها قائلة :

لقد بلغ من احترامهم لشعائر المسلمين انهم يؤثرون الدين الاسلامي على الدين المسيحي فقطعت عليها حديثها وقلت لها : ولماذا هذا الايثار ؟

فارتبكت في الجواب واطرقت رأسها قليلا ثم قالت : لانهم رعايا مخلصون مستقيمون في اعمالهم.

ثم انتقلنا الى الكلام عن الطريقة المرغنية فقالت : انها اكثر انتشاراً في بلاد السودان . ومع ذلك فان اتباعها كثيرون في هذه البلاد. وتقوم على اساس ذكر الله وترديد اسمائه الحسنى ويوجد لها تكايا وزوايا كثيرة .

ثم القيت عليها اسئلة تتعلق بحياتها الخاصة وعما اذا كان لها بنون : قالت انني متقشفة لم اتزوج ولن اتزوج .

وقد استاذنتها في التقاط صورة لها فسمحت .

شاب دمشقي

عرفني الاستاذ اسعد على شاب دمشقي اسمه « عبد المجيد الحلباوي » موظف في مصلحة التلفون باسمره وقد اغتبطت كثيرا بلقائه وكان لي خير انيس في وحشتي واغترابي كما انه استانس بوجودي في تلك الديار النائية فكان لسان حال كل منا يردد قول امرئ القيس :

اجارتنا انا غريبان هاهنا   وكل غريب للغريب نسيب

جولة في الاريتريا

يوم السبت في ٤ يوليو (تموز) قمت برحلة قصيرة الى عدوة واكسوم التي ورد ذكرها كثيرا في اخبار الحرب الحبشية الاخيرة .

والطريق بين اسمرة وعدوة مرصوف بالاسفلت ويبلغ طوله - ١٧٠ - كيلو مترا قطعناها في ست ساعات لاننا اضطررنا للوقوف في كثير من الاماكن وكانت لهذه الطريق اهمية خاصة عند الايطاليين اذ كانت تسير عليها ارتال السيارات وسوقيات الجيش للجبهة الشمالية واول بلدة صادفناها في طريقنا ادى اوغرى ومعناها بالعربية « بلدة النكاح » وهي تبعد عن اسمرة ٦٠ كيلو مترا وعلوها عن سطح البحر ٢٠٢٢ مترا واكثر اهلها مسلمون .

ثم وصلنا الى نهر « مارب » وهو نهر عظيم يعتبر الحد الفاصل بين الاريتريا والحبشة وقد اقيم عليه جسر ضخم وماؤه قليل وكدر ولكنه يزداد كلما تقدم فصل الامطار .

والجبال التي كنا نقطعها في طريقنا كلها جرداء قاحلة ليس فيها زرع ولاضرع وكنا نسير في انحدار فتزداد حرارة الجو .

وعلى بعد بضعة كيلو مترات من جسر مارب توجد مقبرة حديثة منسقة تنسيقا بديعا فقال لي احد الرفقاء : هذه مقبرة تضم رفات العمال الايطاليين الذين فتك ـ بهم الاحباش عند ما كانوا يعملون في تصليح الطريـق فاخذوهم على حـين غـرة وقتلوهم عن بكرة ابيهم وعددهم ـ ٦٣ ـ ولم ينج منهم احد وكان بينهم مهندس وزوجته فلما ـ احس بالخطر صوب مسدسه اليها فقتلها ثم وجهه الى صدره فنحر نفسه وكانت معهما خادمة حبشيه فلما رآها الاحباش قتلوها شر قتلة .

ثم استانفنا سيرنـا واخذنـا نتوغل في الجبال الحبشية ونعـلو عن سطح البحر بالتدريج .

ومما لفت نظري ان اسلاك البرق كانت منصوبة على الاشجار « بدلا من الاعمدة » كما هي الحالة في الحبشه وذلك لكثرة تلك الاشجار وتقاربها من بعضها .

عدوة

بلغنا عدوة حوالي الظهر وهي بلدة جميلة جدا تعلو عن سطح البحر (١٨٩٥) متراً مؤلفة من عدة منازل صغيرة ولكن الجيش الايطالي اقام فيها معسكرا واحدث منشات جمة ومؤسسات عديدة فظهرت بذلك مدينة جديدة غير الاولى .

وقد مثل امامنا جبل شاهق والى جانبه واد عميق وبعد الاستفسار علمت انه وقعت في هذا الجبل معركة عدوة المشهورة التي انتصر فيها الاحباش (١) .

---

(١) كان الايطاليون يذكرون معركة عدوة بمضض وانزعاج ويقال ان من جملة العوامل التي ادت الى الحرب الاخيرة ذكريات الفشل المريع في معركة عدوة اذ قتل فيها على ما قيل لي ـ ٢٥٠ ـ ضابطا بينهم جنرال و ٤٥٠٠ جنـدي وبلغ عدد الاسرى ـ ٤٠ ـ ضابطا و ١٥٠٠ جندي وكانت خسائر الاحباش فادحة جدا وقد فتكوا باسرى الطليان ومثلوا بهم تمثيلا فظيعا .

وعدوة من المراكز المهمة في الحبشة لانها نقطة الاتصال بين المدن الرئيسية ويتفرع منها اربعة طرق : — ١ — الى ابي عدى ومنها الى بحيرة شانغي —٢— الى غوندر ويمر على قرية عدى اركابي —٣— الى اديغرات ومكالي —٤— الى اسمرة وجميع هذه الطرق صالحة لسير السيارات .

دعينا في عدوة الى تناول طعام الغداء على مائدة احد كبار القواد العسكرين وكان الحديث على المائدة يتعلق بايطاليا الحديثة وسياستها العليا ويمكنني تلخيص الآراء التي كان يبديها جناب القائد فيما يلي :

(١) ان ايطاليا وعلى رأسها موسوليني ترمي الى نشر مبادئها الفاشستية في جميع انحاء اوربا لانقاذها مما تعانيه وصد خطر الشيوعية وتحقيق فكرة السلام العالمية.

(٢) كانت ايطاليا قبل اربعين عاما تحاول الاستيلاء على جزء صغير من الحبشة فلم تنجح بل رجعت بخفي حنين لانها كانت ضعيفة وابناؤها متخاذلون ؛ اما الان فبفضل زعيمها موسوليني ونهضتها الفاشستية استطاعت ان تقف في وجه العالم باسره وتكتسح هذه البلاد المترامية الاطراف .

(٣) ان ايطاليا كانت مضطرة لاستعمار الحبشة بالنظر لحاجتها الى الوسائل المادية حتى تتمكن من دعم مبادئها ونشر تعاليمها .

اكسوم

ثم استأنفنا سيرنا الى اكسوم وهي تبعد نحو ــ٢٠ــ كيلو متراً من عدوة قطعناها في نصف ساعة .

واكسوم بلدة دينية مقدسة عند الاحباش المسيحيين ويحجون اليها في كل عام كما يحج المسلمون الى مكة المكرمة وكانت الى وقت قريب ملاذاً للاجئين من دخلها كان آمنا .

واكثر سكانها من المسيحيين وفيها قليل من المسلمين وقد توجهنافور وصولنا

الى كنيستها الكبرى المعروفة باسم كنيسة السيدة مريم (١) وبناؤها قديم جدا وعلى طراز غريب ، وقد قيل لي انه لايجوز دخولها للمسلمين ولا للنساء لذلك كان من المحتمل جدا عدم التصريح لي بزيارتها اذا احس القسس بعقيدتي الدينية

والغريب ان القسس كانوا يلبسون البسة بيضاء وعلى رؤوسهم عمائم بيضاء ايضا وكان بينهم شيخ طاعن بالسن قال لنا ان عمره -٧٤- سنة وقد اشترك بحرب الدراويش وارانا اثار الجروح في جسمه - وكانت هذه التوطئة وسيلة لاخذ البقشيش !!-

ويوجد على باب الكنيسة مدفعان قيل لنا ان الاحباش استخلصوهما من المصريين في حروبهم معهم وقد نقش على احدهما باللغة العربية اسم اسماعيل باشا عام ١٢٨٠ه‍.

واكسوم مملوءة بالمسلات التاريخية والمسلات عبارة عن اعمدة ضخمة مصنوعة على شكل مسلة الاسكندرية وهي من انشاء البرتغاليين .

وشاهدنا بعض الصخور والجنادل المنحوتة وقد نقش عليها رموز واصطلاحات وقيل لنا انها اغطية للقبور .

ثم توجهنا الى بركة الملكة سبا التي يقدسها الاحباش (٢) وهي بركة صغيرة لاتزيد مساحتها عن مئة متر مربع وماؤها قذر جدا ومع ذلك فان اهالي اكسوم يستقون منه لاعتقادهم بقدسيته وهذا الماء لاينضب بل يبقى صيفا وشتاء . ومن

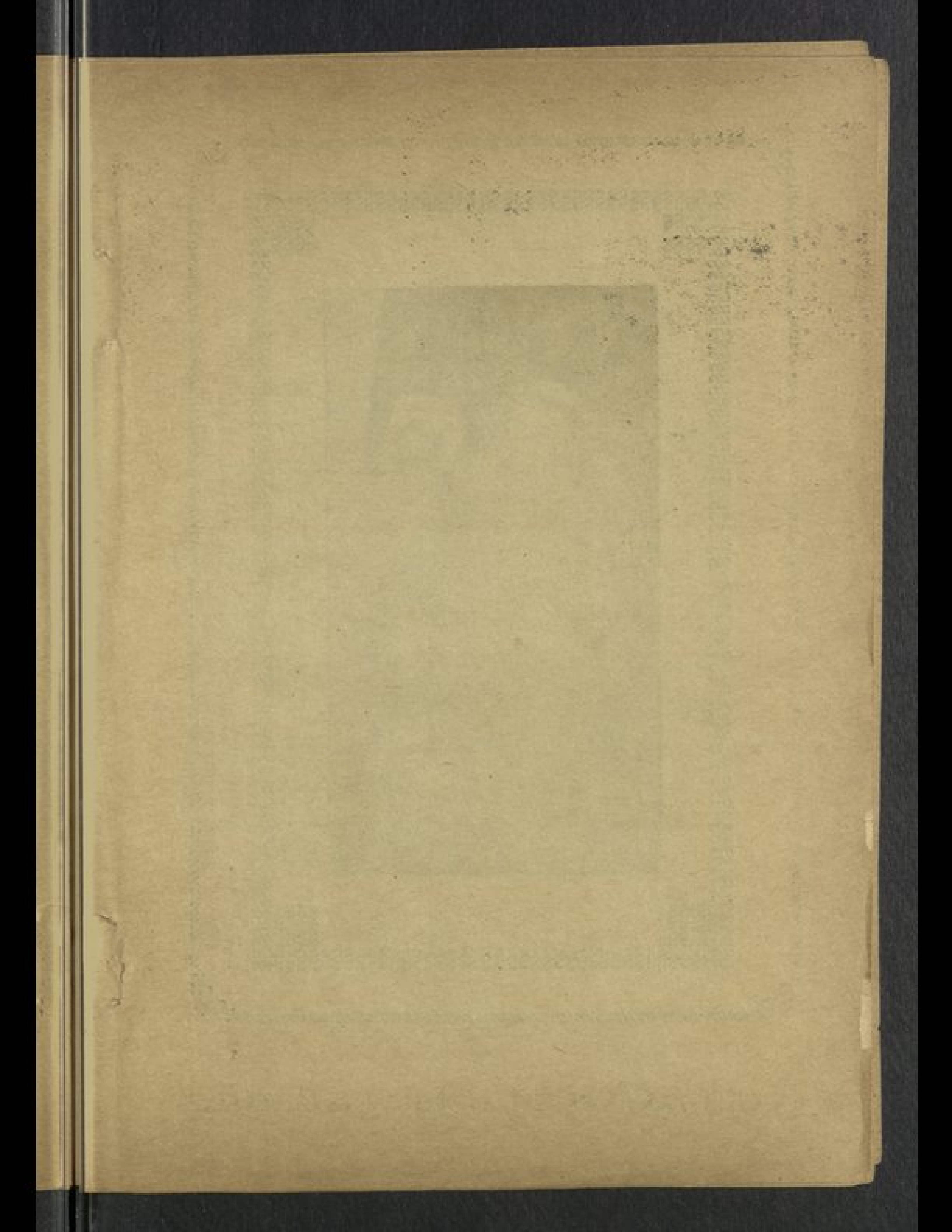
---

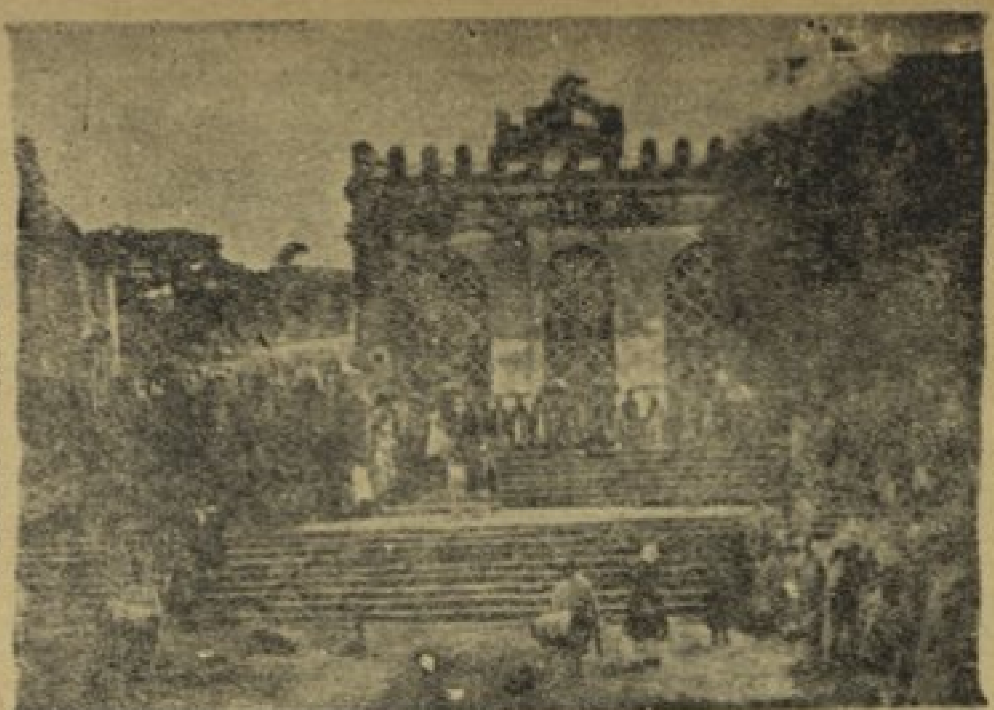
(١) تعتبر هذه الكنيسة اعظم كنائس الحبشة وفيها تحفظ السجلات والتواريخ الذهبية والتحف الاثرية .

(٢) يعتقد الرهبان الاحباش ورجال الدين عندهم ان التواريخ والقيود المحفوظة في الكنائس والاديرة تصرح بان العائلة المالكة الموجودة الان هي من سلالة منليك بن سليمان بن داود من زوجته بلقيس ملكة سبا وان هذه السلالة كانت فيما مضى اتخذت (اكسوم) عاصمة للملك (رحلة الحبشة) .



السيدة الشريفة علوية المرغنية الزعيمة الاسلامية الكبيرة في الاريتريا

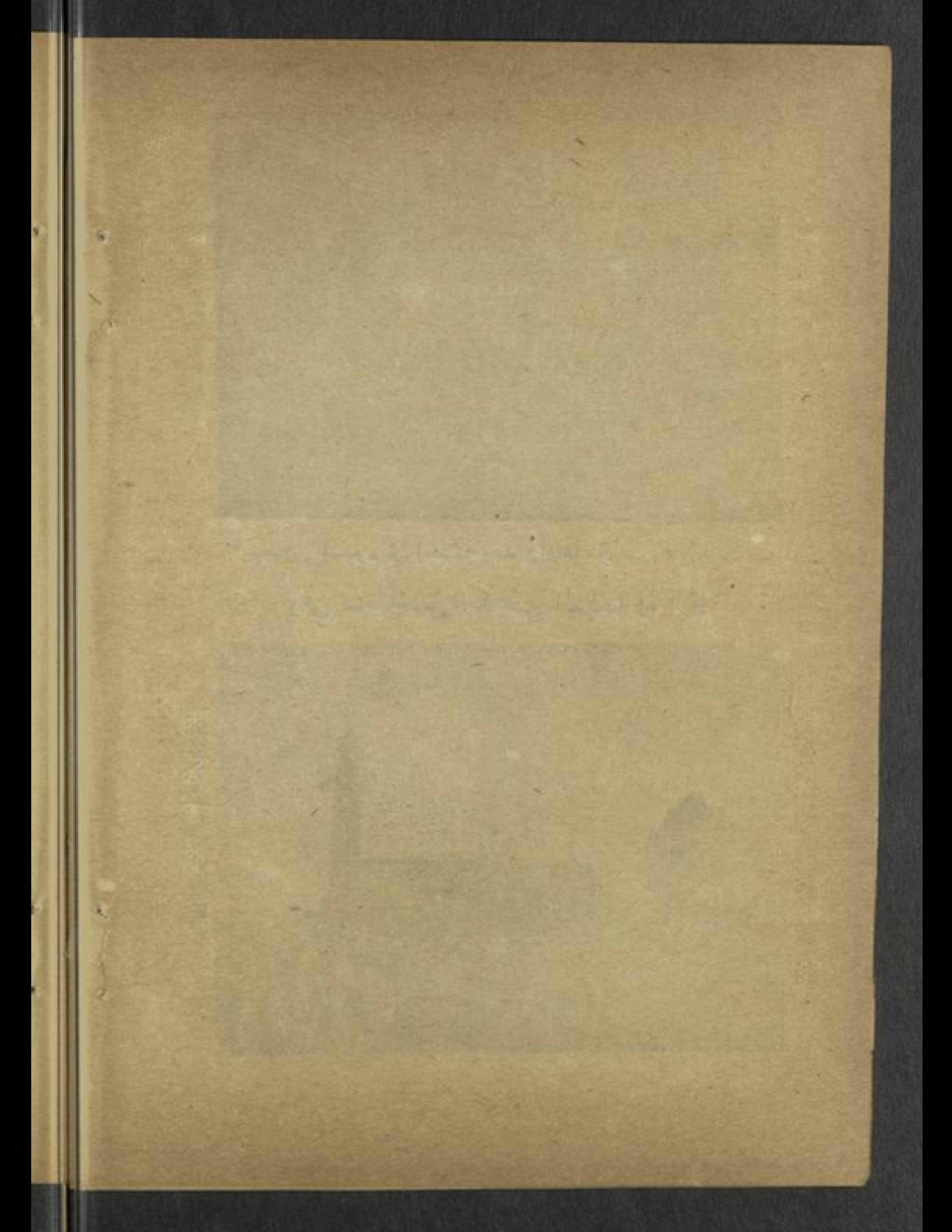




كنيسة اكسيوم في الحبشة وقد زارها مؤلف هذا الكتاب
وهي تعتبر أقدس الكنائس المسيحية في العالم



مسجد اسلامي في أسمرة



الروايات الشائعة هناك ان الملكة بلقيس كانت تستحم في هذه البركة .

وتعلو اكسوم عن سطح البحر ـ ٢٥٠٠ ـ متر وهواؤها بارد .

وقد لفت نظري تنسيق احياء البلدة فيتألف من كل بضعة منازل حارة او حي صغير يحيط به سور .

واهل اكسوم مشهورون بالذكاء والدهاء ونساؤها جميلات .

وقد وجهت الحكومة الايطالية اليها عناية خاصة فقررت اقامة مدينة جديدة هناك .

العودة الى اسمرة

عدنا مساء الى عدوة فتناولنا طعام العشاء على مائدة قائد مفرزات السيارات الذى بالغ في اكرامنا والحفاوة بنا .

ثم تابعنا سيرنا الى اسمرة فبلغناها في ساعة متأخرة من الليل بعد عناء كبير اذ تمزق الكاوتشوك ونحن في الطريق وكان البرد قارسا جدا فاضطررنا ان ننتظر في العراء مدة طويلة على غير جدوى واخيرا طلبنا سيارة خاصة من اسمرة فوصلناها ونحن منهوكو القوى نرتعش من القر .

اغورادت

قيل لي انه من الضروري جدا زيارة مدينتي اغورادت وكرن لانهما مدينتان اسلاميتان كبيرتان واقعتان في الشمال الغربي من اسمرة .

وفي صباح الخميس الواقع في يوليو اخذت القطار الصغير المعروف هناك باسم (اللوتربنا) وهو عبارة عن عربة صغيرة « فقط » تستوعب نحو ثلاثين راكبا والطريق بين اسمرة واغوردات مخيف جدا لا سيما لمن يجتازه لاول مرة لانه عبارة عن خط حلزوني يتألف كله من « اكواع » ومنحينات وانحدارات مزعجة.

والمسافة بين اسمرة واغوردات تبلغ ـ ٢٠٠ ـ كيلو متر قطعناها في خمس ساعات بعد ان انتظرنا في محطة كرن عشرين دقيقة .

واغوردات مدينة اسلامية تماما ، وليس فيها من المسيحيين الا عدد ضئيل جدا واهلها — كما رأيت — متعصبون لديانتهم ومتمسكون بالتعاليم الاسلامية .

واهميتها الخاصة ترجع الى كونها مركزاً للحركة المرغنية وفيها يقيم شيخ الطريقة السيد جعفر المرغني « ابن شقيق السيدة شريفة » وقد زرته زيارة خاصة وهو معروف بالورع والزهد والتقوى .

وتعلو اغوردات عن سطح البحر نحو ـ ٦٥٠ ـ مترا فقط لذلك فقد كنا نتململ كثيرا من الحر الشديد وقد بلغ الدرجة الاربعين بالظل .

ويبلغ سكانها نحو السبعة الاف ومعظم تجارها من العرب الاحباش والمسلمين وليس فيها من الاوروبيين الا عدد قليل لا يتجاوز العشرين او الثلاثين .

اما اليهود فليس لهم « خبز » في هذه المقاطعة وقد قال احد كبار الموظفين الايطاليين ليس لدينا سوى يهودي واحد لا ادري ان كان يستطيع البقاء ام سيضطر الى الرحيل ؟؟

زرت المسجد وهو منشأ منذ ثلاثين عاما . ثم توجهت الى المحكمة الشرعية فزرت فضيلة القاضي واسمه الشيخ محمد نور ابو علامه يتكلم العربية جيدا وقد اخبرني انه تلقى دروسه الدينية في مكة المكرمة ؛ وحدثني عن حالة المسلمين وكيفية اصدار الاحكام الشرعية وتطبيقها ، وقال ان الاحوال الشخصية عند المسلمين تراعى فيها قواعد الشريعة الغراء تماما وتستأنف الاحكام الى المحافظ وهو بدوره يحيلها الى مجلس مؤلف من بعض الاعضاء المسلمين .

وسألته عما اذا كانت للمسلمين مطالب خاصة فقال : انني ارى ان يكون للقضاء مرجع اسلامي كبير وحبذا لو تنشيء الحكومة في اسمرة مجلسا اسلاميا اعلى يرجع اليه القضاة وحكام الشرع فيما يعترض لهم من الشؤون .

ثم زرنا القومندانور « ديجلل جيلاني الحسين » رئيس عشائر بني عامر وهي عشائر كثيرة العدد تمتد حتى اواسط السودان .

ولقب القومندانور انعمت عليه الحكومة الايطالية كما انعمت عليه الحكومة المصرية بلقب « بك » .

ليس في اغوردات فندق ولا مطعم وقد تناولنا طعام العشاء على مائدة المحافظ وبتنا في دار الضيافة التابعة للحكومة .

والمحافظ شاب يسمى « تومازيلي » مهذب ولطيف جدا وقد اعرب لي عن اعجابه الشديد باخلاق الرعايا المسلمين ونظافتهم ووفائهم .

كرهن

وفي صباح اليوم التالي توجهنا الى كرهن وهي تبعد نحو ساعتين عن كرن وحللنا في فندق صغير « ولا يوجد سواه » وقد اعجبتني جدا هذه المدينة الجميلة وباستطاعتي ان افضلها على جميع المدن الحبشية التي زرتها في رحلتي .

ففيها الحدائق الغناء والمياه العذبة والفواكه المتنوعة والهواء المعتدل .

ويبلغ عدد سكانها — ٤٠٠٠ — منهم — ٢٠٠ — اوروبي و٥٠٠ حبشي مسيحي والباقي مسلمون .

وقد سرني ان ارى المسلمين في هذه البلدة اقوياء ونشيطين لهم تجارات واسعة واراضي طيبة واملاك كثيرة تدر عليهم بالارباح الجسيمة .

وقد دعاني الدليل الذي كان يرافقني واسمه عبد النور ان نزور بساتين المدينة فسرت معه وزرنا حديقة واسعة لاحد الوطنيين المسلمين اسمه « ادريس امان » وهو من الجبرتيين يتكلم العربية جدا وقد رأيته منهمكا هو ونجله بحراثة الاراضي وتقليم الاشجار فاستقبلنا بلهفة واخذ يطوف بنا في انحاء الحديقة التي تحتوي على انواع الفواكه والثمار وقد ذكر لي طائفة منها وهي كما تسمى في تلك البلاد :

الرمان ، البابايي ، « فاكهة تشبه البطيخ الاصفر » ماندلين « اليوسف افندي » القشطه ، ارانج « البرتقال » شيدرو « يشبه الكباد » الموز ، الزيتون « ثمر صغير يشبه التفاح ويسمى في مصر جوافه » بهاش « ثمر يشبه الليمون » ثمر هندي، تفاح ، باباناس « يشبه البرتقال الكبير لذيذ الطعم » التين ، الليمون الحلو .

وفي الحديقة انواع الخضر والحشائش والبقول اذكر منها :

الدخان ، البسباس ، السلاطه « الخس » البـاذنجان ، الشيكوريا ، السيدنو « نوع من الحشائش يوضع مع الرز واللحم » ، فينوكيا « حشيش يشبه الطرخون » بوسيمولي « بقدونس » .

في كل واد اثر

بينما كنت اتجول مع المترجم عبد النور في شوارع كرن اذ عرفني على رجل سوري اسمه (سليم قبلان جميل) من بكفيا (لبنان) وهو من قدماء التجار الذين استطاعوا ان يجمعوا ثروة لا يستهان بها وقد اخبرني انه كان يتعاطى بنوع خاص تجارة العمائم الشامية المطرزة (الاغباني) وغيرها من المنسوجات السورية .

شهادة ضابط ايطالي

بعد ان انتهت مهمتي في كرمن عدت الى اسمره وابرقت الى جلالة الامام يحيى مستأذناً بالسفر الى بلاد اليمن فتكرم جلالته بالموافقة برقيا ومن ثم اخـذت استعد للسفر وفي الليلة الاخيرة دعاني الاستاذ اسعد الى تناول طعام العشاء في مطعم (نابولي) باسمره وكان الحديث يدور على المائدة باللغة العربية وكان يجلس على مقربة منا بعض الضباط الايطاليين وقد لفت حديثنا (العربي) انظارهم فأخذوا يرهفون السمع دون ان يتفهموا شيئا واخيرا سألوني عن موطني واللغة التي كنت اتكلم بها فأجابهم الاستاذ اسعد بالنيابة عني وما كادوا يعرفون اني سوري حتى ابرقت اساريرهم

وقالوا اذن هو الصحافي التي كتبت عنه منـذ ايام جريدة (كريير ديل امبيرو) فاجبتهم بالايجاب ومن ثم اقتربوا مني واخذوا يظهرون كل عواطف طيبـة ودماثة اخلاق ودعوني الى تناول بعض المشروبات فاعتذرت وكان اكثرهم عناية بي واهتماما بشأني ضابط حديث السن اسمه (جوني اوغستين Jungni agostins) .

فقد اخذ يمطرني بوابل من الاسئلة ويستفسر عن حالة المسلمين والعرب ولما علم ان مسقط رأسي دمشق اغتبط كثيرا وقال : دمشق وطن الامويين ؟ قلت نعم قال : ان للعرب عموما وللامويين خصوصا فضلا على المدنية والعالم . قلت وكيف عرفتم ذلك قال من تاريخهم الحافل بجلائل الاعمال . ان جيوشهم تقدمت حتى وصلت الى اواسط ايطاليا وقد تركوا فيها آثاراً مجيدة واليهم يعود الفضل في وضع علم الجبر وقواعد علم الفلك ثم راح يتبسط في ذكر تاريخ العرب والاسلام وما قدموه للبشرية من خدمات طائلة حتى توهمت انني امام مؤرخ مسلم كبير ثم تابع صاحبنا الضابط حديثه قائلا انني قرأت القرآن الكريم ووقفت على اسرار الشريعة الاسلامية فاعجبت بها كل الاعجاب ولا اغالي اذا قلت لكم بانني وجدت مزايا عديدة في هذه الشريعة يندر وجودها في الشرائع الاخرى . وهنا قاطعه رفقاؤه وتدخلوا في الحديث ثم ودعتهم وانصرفت .والحقيقة انني قابلت كثيرا امثـال هذا الضابط الشاب من اولئك الذين يتظاهرون بمحبة المسلمين ويشيدون بفضـائلهم وكنت اسمع هذه النغمة من كبار الحكام والضباط الايطاليين على السواء وقد قال لي حاكم مقاطعة (...) ما يلي بالحرف الواحد : انني اصرح لك رغم كوني مسيحيا بان جميع من اعتمد عليهم من الخدم والطباخين هم من المسلمين نظرا لما يتحلون به من المناقب الكثيرة كالعفة والامانة والنظافة والاطاعة مما لا يتوفر في العناصر الاخرى .

السفر الى مصوع

كنت ابرقت الى جلالة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن استأذنه في دخول مملكته وقد تلقيت منه جوابا برقيا يشعر بالسماح والموافقة (كما تقدم) لذلك ازمعت مبارحة اسمرة يوم الثلاثاء الموافق ١٣ يوليو - تموز - الى مصوع حيث استقل الباخرة الى الحديدة وقد اخذت اطوف على بعض المعارف والاصدقاء مودعا وشاكرا فأبى الاخوان الحضارمة الا ان يحتفوا بي ليلة الوداع فاقام التاجر المحترم السيد سعيد باعقيل مأدبة عشاء فاخرة وقد تجلى فيها الكرم العربي في ابرز مظاهره فاغتنمت فرصة هذا الحفل الكريم واخذت احدث الاخوان عن حالة اخوانهم المسلمين في مختلف البلاد ووجوب الاتصال بهم وارتياد ارض الحجاز لاداء فريضة الحج اذ يتيسر لهم بهذه المناسبة ان يجتمعوا هناك الى سائر الامم والشعوب التي تؤلف بينهم جميعا رابطة الاسلام فاستحسنوا ذلك واجمع اكثرهم على اداء هذه الفريضة في ذلك العام . وفي صباح الثلاثاء الواقع في ١٤ يوليو سنة ١٩٣٦ اخذت السيارة الى مصوع ورافقني فيها الاستاذ اسعد اذ تقرر نقله الى اديس ابابا وكان ذلك من بديع المصادفات لان وجود الاستاذ اسعد الى جانبي كان خير تسلية لي في تلك الرحلة الموحشة . والطريق بين اسمره ومصوع تشبه الطريق الحالي بين دمشق وبيروت (اعني طريق السيارات) فان طوله يبلغ ١٢٠ كيلو متر وهو يخترق جبالا ووهادا كثيرة ويعوج على اكواع ومنحدرات مخيفة وكان هبوطنا مستمرا . ويظهر ان الايطاليين عانوا كثيرا في انشاء هذا الطريق وقد عرجنا في طريقنا على دير البنزين وهو دير كبير قائم على رابية مرتفعة لا يمكن الصعود اليها الا على البغال ويكفي الانسان ان يرنو ببصره الى تلك الذروه الشاهقة حتى يرجف قلبه وترتعد فرائصه فكيف به اذا حاول التسلق والعروج اليها وقد علمت ان في هذا الدير مياها عذبة وتزرع حواليه مختلف الفواكه والخضر ولا يجوز للاشى

من البشر والحيوان الوصول اليه وعلى بعد ٢٤ كيلو مترا من مصوع شاهدنا راية عليها نصب كبير قيل لنا انه مرقد الجنود الايطاليين الذين فتك بهم الاحباش عند افتتاح الاريتريا . وكنا كلما اوغلنا في السير وتقدمنا من مصوع نشعر بالحرارة اللافحة وفي بحر ساعتين ونصف فقط انتقلنا فجأة من المنطقة الباردة القارسه الى المنطقة الحارة الشديدة اذ بينما كانت درجة الحرارة في اسمرة لاتزيد عن ١٠ في الشمس اذا بها تربو على ٤٠ في الظل ولدى وصولنا توجهت رأسا الى مكتب شركة البواخر حيث قطعت تذكرة للسفر وعلمت ان الباخرة التي ستقلنا الى الحديدة لاتغادر مصوع قبل ثلاثة ايام لذلك كان يتعين علي ان امضي هذه المدة الطويلة (في نظري) في مدينة مصوع التي تعتبر اشد موانيء البحر الاحمر حرارة بما فيها جيبوتي وعدن ، وقد عرفني الاستاذ اسعد على صديق له اسمه (نجيب جنبلاط) من كبار تجار مصوع ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية فيها .

مصوع

هي ثغر الاريتريا الوحيد وفيها ترسو السفن الايطالية التي تنقل الركاب والبضائع من (والى) الاريتريا وكانت نفوسها قبل الحرب الحبشية الاخيرة لاتزيد عن ثمانية آلاف كلهم من المسلمين ماعدا عدد ضئيل من الاحباش والاجانب (الايطاليين) اما الان فيتعذر تقدير عدد سكانها بسبب كثرة الوافدين اليها بمناسبة حرب الحبشة وقد قيل لي انهم يزيدون عن ٦٠ الف نسمة . وفيها ثلاثة مساجد كبيرة بناها المصريون اثناء حكمهم لهذه البلاد وهي مسجد الحنفي ومسجد الشافعي ومسجد الانصاري وفيها عدة زوايا وتكايا ومراقد للاولياء وتكثر فيها الطرق المرغنية والقادرية والشاذلية وفيها ايضا جمعية خيرية للمسلمين تألفت عام الف وتسعماية وسبعة وعشرين يرأسها السيد جنبلاط الذي تقدم ذكره (وهو مصري الوطن متحدر من اصل تركي) ولها نظام خاص مؤلف من ٣٢ مادة

وهي تعمل على مساعدة الفقراء وتسفير الغرباء ودفن الموتى المحتاجين وتفكر الان بتشييد مأوى للعجزة وعلمت بان الحكومة تشجع هذه الجمعية التي تكاد تكون الجمعية الاسلامية الوحيدة في الاريتريا وتعطف عليها حتى ان الرعايا الايطاليين انفسهم يمدون لها يد المساعدة ويتبرعون لها بقطع النظر عن مساعدات الحكومة . ويوجد للمسلمين في مصوع اوقاف كثيرة يستقلون بادارة شؤونها وهي تنفق على اصلاح المساجد والبنايات الخاصة بالاوقاف وللمسلمين في هذه المدينة عادات غريبة اذكر منها توديعهم لرمضان بالطبول والزمور (شأن بعض البلاد الاسلامية) ويستعيضون عن تلقين الميت بقراءة القصيدة المرغنية ، وبعد مرور ثلاثة ايام على الوفاة يقيمون احتفالا باهرا تشترك فيه الطبول والزمور . ومن عاداتهم في الزواج انهم يغطون جسم العروس بملاءة حمراء (اذا كانت بكرا) وبثوب ابيض (اذا كانت ثيبا) وعند ما تبلغ منزل العريس يحملها احد اقاربها اليه كأنها مائتة ويضعها على اريكة عالية يسمونها (عارات) ولا يجوز للعريس ان يرى وجهها الا بعد مضي اسبوع ويجب عليها قبل مبيتها معه ان تستعد لمقاتلته وذلك بان تطيل اظافرها حتى تتمكن من تخميش وجهه وتمزيق ثيابه . ومن عاداتهم المألوفة ان الزوجة لا تقوم باعمال المنزل حتى تضع مولودا فاذا لم تحبل ولم تلد فهي غير مكلفة بالخدمة هذا فضلا عن انتشار العادات الاخرى كتخييط الفروج وغيرها .

موظف غير مهذب

لا يسعني في هذا المقام الا ان اشير الى اللطف الجم الذي كنت القاه من جميع الموظفين الايطاليين في الحبشة والاريتريا (من عسكريين وملكيين) ولا ادري ان كان ذلك نتيجة تواص خاصة ام سجية طبيعية فيهم ولا استثني من ذلك سوى موظف صغير برتبة ليوتنان (ملازم) يقوم بوكالة حاكم مصوع وهو في الواقع اصغر موظف اداري لقيته في رحلتي هذه وقد دفعني الى زيارته تهذيبي ورغبتي في



الى اليسار

السيد نجيب جنبلاط

رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية

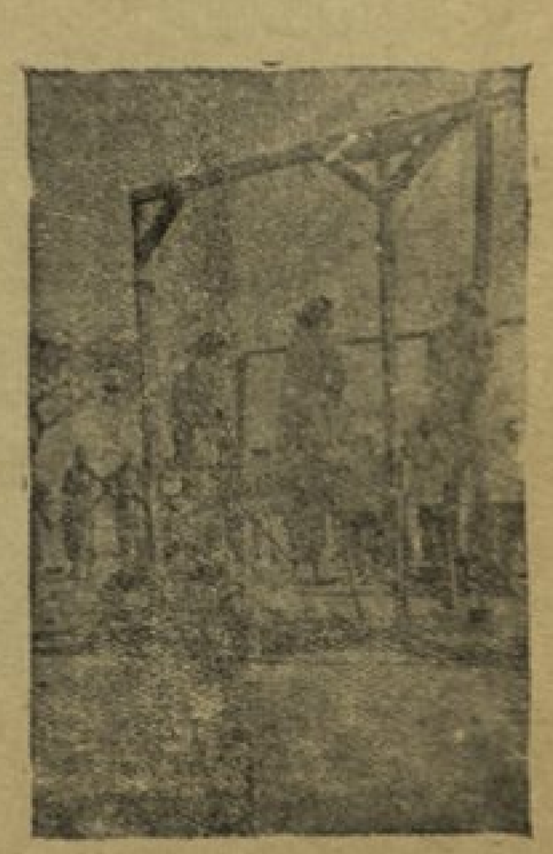
في مصوع

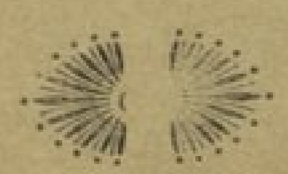
الى اليمين

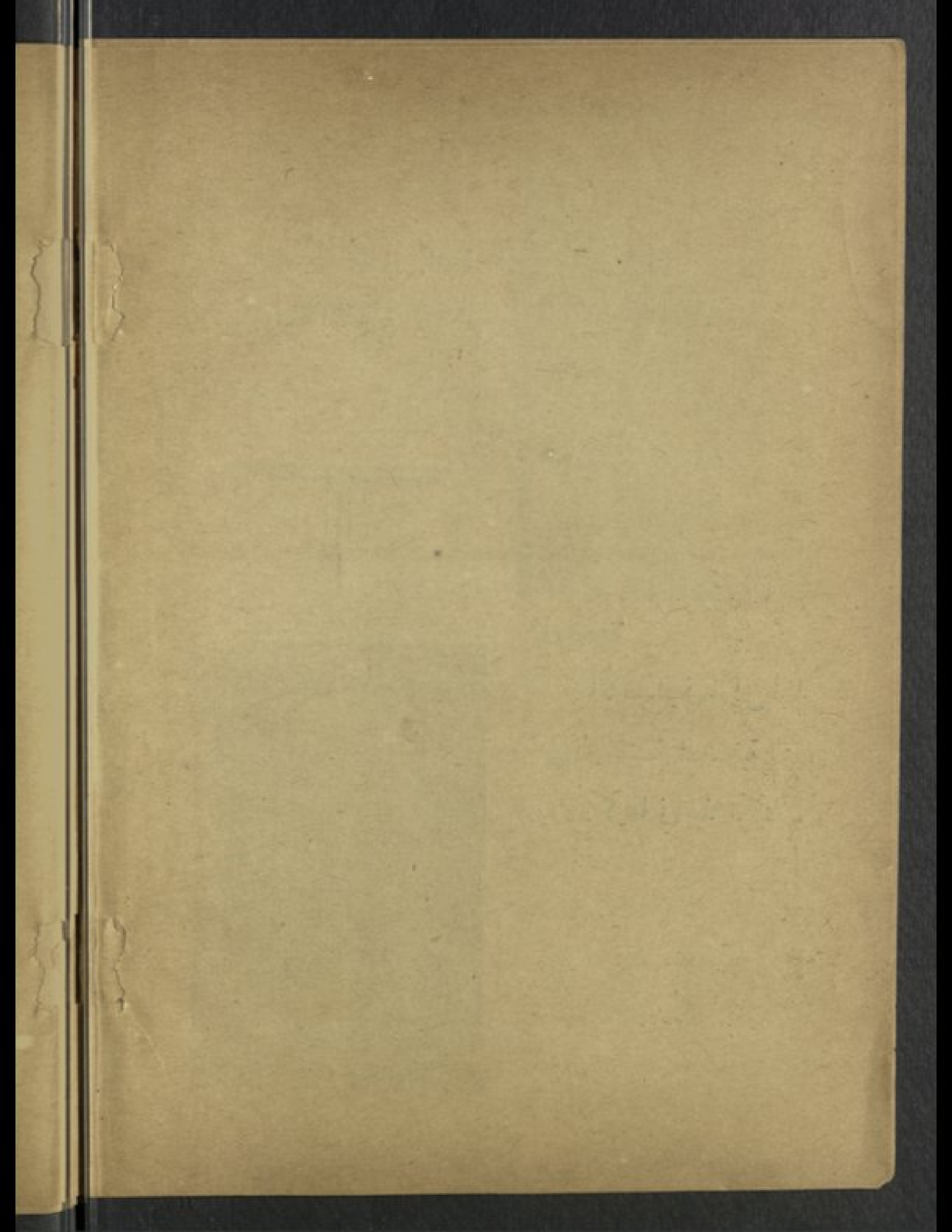
الاعدام في اديس أبابا

على اثر الفتنة الدموية التي

ورد ذكرها في هذا الكتاب





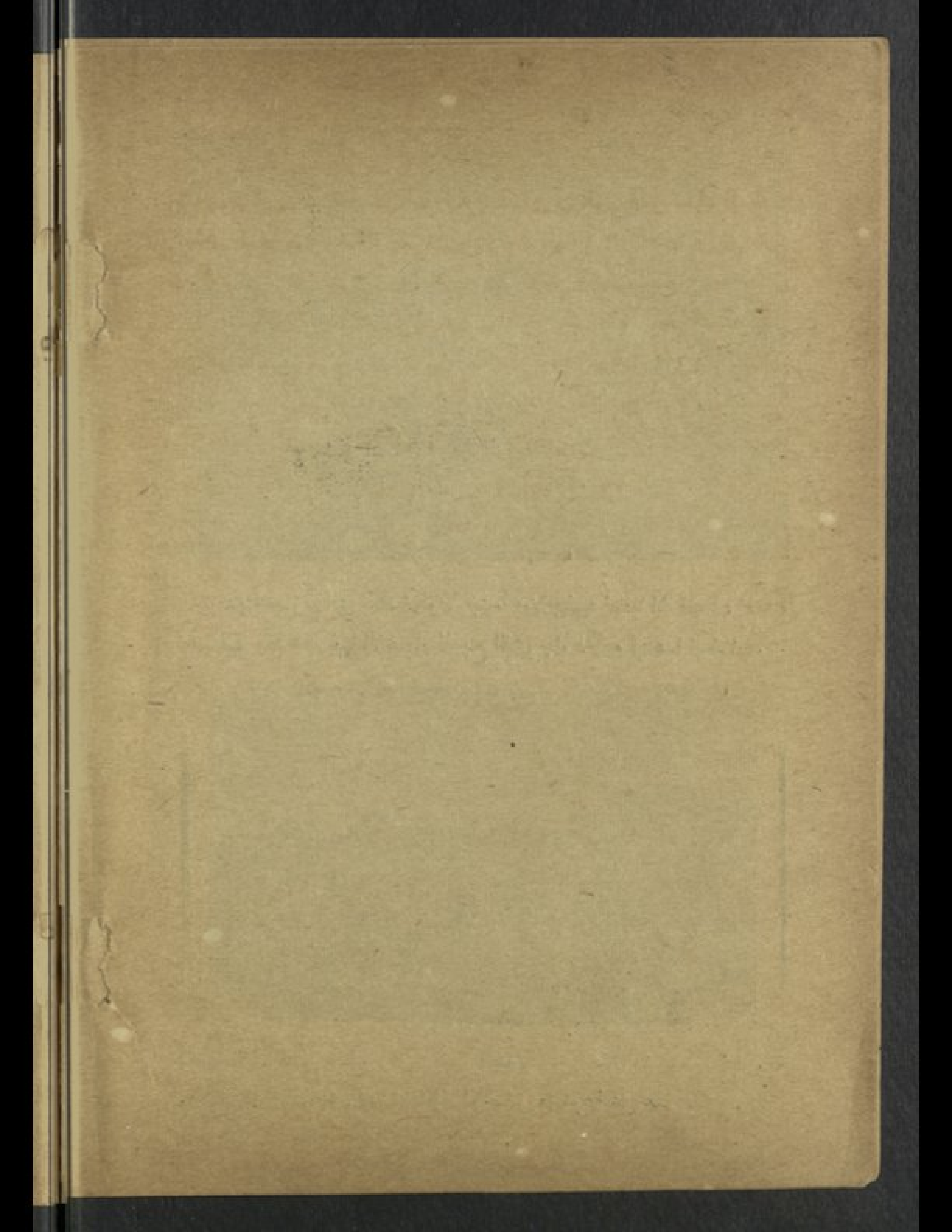




مدينة مصوع التي تكاد تكون جزءاً من جهنم « اعاذنا الله منها » لشدة الحر فيها وقد وقع فيها الانفجار المريع الذي جاء ذكره في هذا الكتاب.



منزل حبشي مصنوع من القش ويقوى على احتمال التبدلات الجوية والعواصف الشديدة . ومعظم منازل الاحباش مصنوعة على هذا الشكل .



ان لا اكون موضع شبهة او ارتياب ولكن يؤسفني ان اقول بان هذا الموظف البسيط استقبلني استقبالا جافا رغم انني ابرزت له الوثائق التي احملها ورغم انني بسطت له مهمتي بشكل صريح وقد بلغ به ضيق النظر وضعف المدارك انه حاول منعي من مقابلة الزعماء والوجهاء المسلمين ولكن خاب فأله وطاش سهمه فقد تمكنت من مقابلتهم جميعا واتصلت بهم اتصالات خاصة ووقفت على شؤونهم ثم انني اضطررت ان ارفع الى الجهات المختصة شكوى شديدة بحق هذا الموظف الذي لم يعرف حدود وظيفته ولم يحترم ارادة رئيسه الاعلى (نائب الملك) . وقد علمت بعد الاستقراء والتتبع ان السبب الذي حمله على الظهور بهذا المظهر كراهيته للمسلمين واحتقاره اياهم وخوفه من ان يطلعوني على اعماله الشاذة وتصرفاته السيئة.

ومن العائلات الاسلامية الكريمة في مصوع العريقة في المجد والثروة عائلة باطوق وهي من اصل حضرمي ، وقد دعاني السيد حسن احد افرادها الى تناول طعام العشاء في منزله فلم اتردد في قبول الدعوة لا سيما بعد ان علمت بانه سيجمعني بطائفة من كرام المسلمين في مصوع وكانت مائدة شائقة والحق يقال وكان الحديث عليها شيقا ايضا تناول مختلف الشؤون التي جرى البحث حولها في اسمره .

حادث مريع

يظهر بان الطبيعة لم تكتف بما كانت تلفحنا به من لهيب الحر في تلك الايام القاسية التي امضيتها في مصوع فقد فوجئنا في الليلة الاخيرة بحريق مريع في مستودع الذخائر والبترول استمر عشر ساعات متواليات وقد ابتدأ من منتصف الساعة الثانية عشر واستمر كذلك حتى منتصف النهار وكنت حينئذ نائما على السطح في منزل الاخ جنبلاط (ويستحيل على الانسان في مصوع ان ينام داخل الغرف ولا سيما في مثل ذلك الشهر المريع (شهر تموز) فما كادت تغمض عيناي حتى سمعت دويا كبيرا اعقبه اندلاع لسان من اللهيب يخترق اجواز الفضاء ثم طلقات

شديدة اشبه بطلقات القنابل والقذائف في الحروب فهرولت مع المهرولين فاذا بالشوارع والازقة تعج بالناس والاطفال والشيوخ (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) وكان السعيد من استطاع ان ينجو بنفسه ويفر الى البحر وكان من حسن طالعي انني كنت قد اودعت امتعتي منذ النهار في الباخرة التي ستقلني الى الحديدة فاضطررت ان التجيء اليها لانني وجدت فيها الملجأ الوحيد الذي يعصمني من الحريق ولكن يظهر ان الباخرة نفسها كانت تحمل كمية من المواد الملتهبة فشرارة صغيرة كانت تكفي لتدميرها وتمزيقها شر ممزق فاضطر الربان ان ينتقل بها من الشاطيء الى وسط البحر وابتعد عن المدينة زهاء مائة ميل وبذلك نجا من الخطر واستطيع ان اقول في هذه المناسبة بان هذه الحادثة كانت اخطر حادثة جابهتها في حياتي اذا استثنيت حادثة انهيار السيارة في اليمن التي سأتكلم عنها في الاجزاء المقبلة .

رحلتي الى البلاد العربية السعيدة

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر السبت الواقع في ١٨ تموز اقلعت الباخرة بنا من مصوع قاصدة الحديدة ميناء اليمن (باسم الله مجراها ومرساها) حيث ازمعت الشخوص اليها .

وقد افردت لهذه الرحلة كتابا خاصا سيمثل للطبع قريبا .

التقسيمات الجديدة في بلاد الحبشة

رأيت ان اختم هذا الكتاب بمعلومات وافية عن النظام الجديد الذي تدار به مملكة الحبشة (افريقيا الشرقية) الآتية كما نشرته الصحف الايطالية فالى القراء تعريبه بالحرف الواحد .

لقد عقد مجلس الوزراء الايطالي في اليوم الاول من حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٦ جلسة تاريخية سياسية هامة تحت رئاسة رئيس الحكومة الذي رسم ضمن خطوط كبيرة القواعد التي يتمشى عليها النظام السياسي في افريقيا الشرقية الايطالية .

وقد عرض رئيس الحكومة ووزير المستعمرات مختلف القوانين التي تنظم ادارة افريقيا الشرقية الايطالية المؤلفة من الاريترية والامبراطورية الحبشية والصومال وحسب التدابير الفاشيستية التي اتخذتها الحكومة الايطالية ستصبح افريقيا الشرقية خاضعة لقيادة موحدة .

وسيكون على رأس هذا التنظيم العام نائب الملك يساعده نائب الحاكم العام الذي يقوم مقامه اثناء غيابه . وتقسم كامل الاراضي الى خمس حكومات كل منها تشكل وحدة متجانسة جغرافية تاريخية وسياسية .

يكون مقر الحاكم العام بالعاصمة اديس ابابا حيث يوجد رئيس الاركان الحربية المكلف بالقضايا العسكرية . ويساعد نائب الملك في مهمته مجلس الامبراطورية العام المؤلف من موظفين ملكيين وعسكريين ذوي رتب عالية . وعدا عن

المجلس العام فقد اوجد المجلس الاستشاري المؤلف من ستة اعضاء وطنيين يكون انتخابهم من بين التجار وارباب الصناعة والزراع المقيمين في افريقيا الشرقية وستة زعماء او اعيان ينتخبوا من بين اصحاب النفوذ في الامبراطورية وها هي الخمس حكومات :—

(١) حكومة الاريترية وعاصمتها اسمرة وتضم عدا عن السكان الاصليين للمستعمرة القديمة سكان التيغرى والدناكل واوسا حتى حدود الصومال الافرنسي من جهة ومن الجهة الاخرى حتى الحدود السودانية .

(٢) حكومة امهرة وعاصمتها غوندار وتضم جميع السكان الامهريين القاطنين في حوضة بحيرة تانا وشوا .

(٣) حكومة الغالا وسيدانو وعاصمتها جيما وتضم جميع الاراضي الغربية في الامبراطورية ومنطقة البحيرات والاراضي الممتدة نحو الحدود السودانية .

(٤) حكومة هرر وعاصمتها هرر تضم جميع سكان هرر المسلمين وقبائل العروسي .

(٥) حكومة الصومال وعاصمتها موغاديشيو وتضم جميع اراضي الصومال الايطالي القديمة مع الاوغادين .

ان جميع هذه الحكومات المؤلفة على هذه الصورة تصبح مستقلة تماما ويكون في معية كل حاكم امين سر عام وقائد من القوى المسلحة التي تحترم النظام السياسي والعسكري .

وتنقسم كل حكومة الي دوائر محلية تسمى (مفوضيات) والى مقرات ومقرات ملحقة حسب النظام المنفذ في المستعمرات نفسها قديما .

وتحكم العاصمة اديس ابابا حكما مستقلا ويكون لها ادارة واحدة تحت ادارة حاكم ملكي . وتنص المراسيم الاشتراعية على تأليف بلديات في مختلف الاوساط الهامة وفي جميع عواصم هذه الحكومات الخمس .

ومظهر هام آخر لهذا التنظيم الجديد كونه يقوم على الاحترام التام لمصالح الاهالي . والقانون يقرر ما يلي :

(١) تقسم افريقية الشرقية الايطالية الى اراض متجانسة من الوجهة العرقية والجغرافية والتاريخية والسياسية . وكل فريق له اراضيه وحكومته . ولكل من سكان هرر وامهره وسيدانو وغالا حكومة بينما يضم سكان التيغرى والدنا كل الى الارتيرية وسكان الاوغادن الى الصومال .

(٢) يتمتع المسلمون في هذا التنظيم الجديد بالحرية التامه بينما كانوا مضطهدين اضطهادا شديدا في عهد حكومة النجاشي وستتخذ جميع الضمانات الضرورية لاصلاح جوامعهم واوساطهم الثقافية وفتح مدارسهم . وستدرس اللغة العربية بصورة اجبارية في جميع الاماكن التي تؤلف فيها السكان المسلمون الاكثرية . ويحكم في القضايا الاسلامية قاض مسلم يتمش في احكامه على الشريعة الاسلاميه .

(٣) ستعقد اتفاقات ملائمة مع بطرك الاقباط في اسكندرية لكي يقوم المسيحيون الاقباط بواجباتهم الدينية بحرية تامة .

(٤) يكون تحت التصرف نائب الملك مجلس استشاري يساعده في القضايا الادارية . ويؤلف هذا المجلس من الاهالي الذين يساهمون باخلاص في حياة البلاد .

(٥) يوضع هذا القانون الاساسي للامبراطورية موضع التنفيذ ابتداء من اول حزيران سنة ١٩٣٦ السنة الرابعة عشر للفاشستية .

مناظر الحرب الحبشية

رأينا ان نختم هذا الكتاب بنشر بعض الصور الفوتوغرافية التي تمثل الاحباش والايطاليين في شتى المظاهر والاوضاع اثناء الحرب الاخيرة . وقد نشرا اكثرها تباعا في جريدة الجزيرة





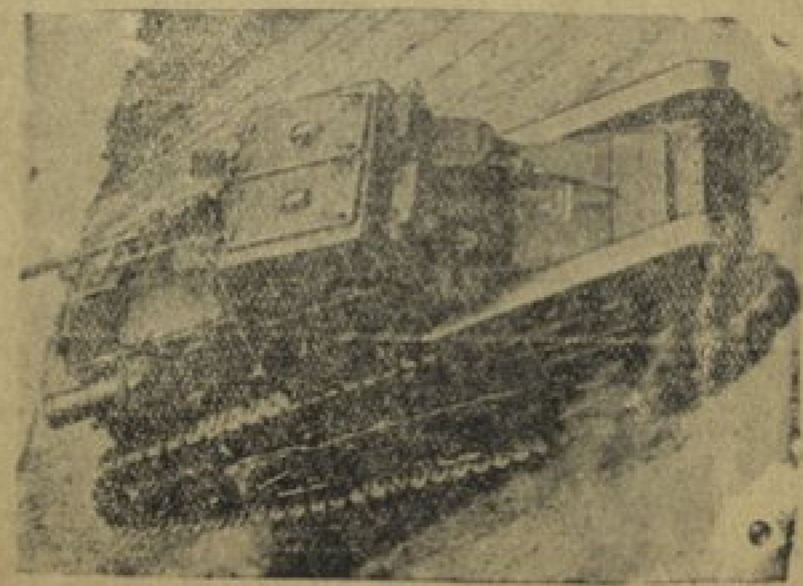
ضابط ايطالي يوزع الرواتب على الاحباش المتطوعين



فريق من الجيش الحبشي يقوم بتمارين حربية



ولي عهد الحبشة يحوط به بعض وزراء الامبرطورية



دبابة ايتالية حديثة اشتركت في الحرب الاخيرة



فرقة من الجيش الايطالي الحديث التي اشتركت
في الحرب الحبشية الاخيرة



سرب من الطيارات الايطالية قاذفة القنابل في الحبشة



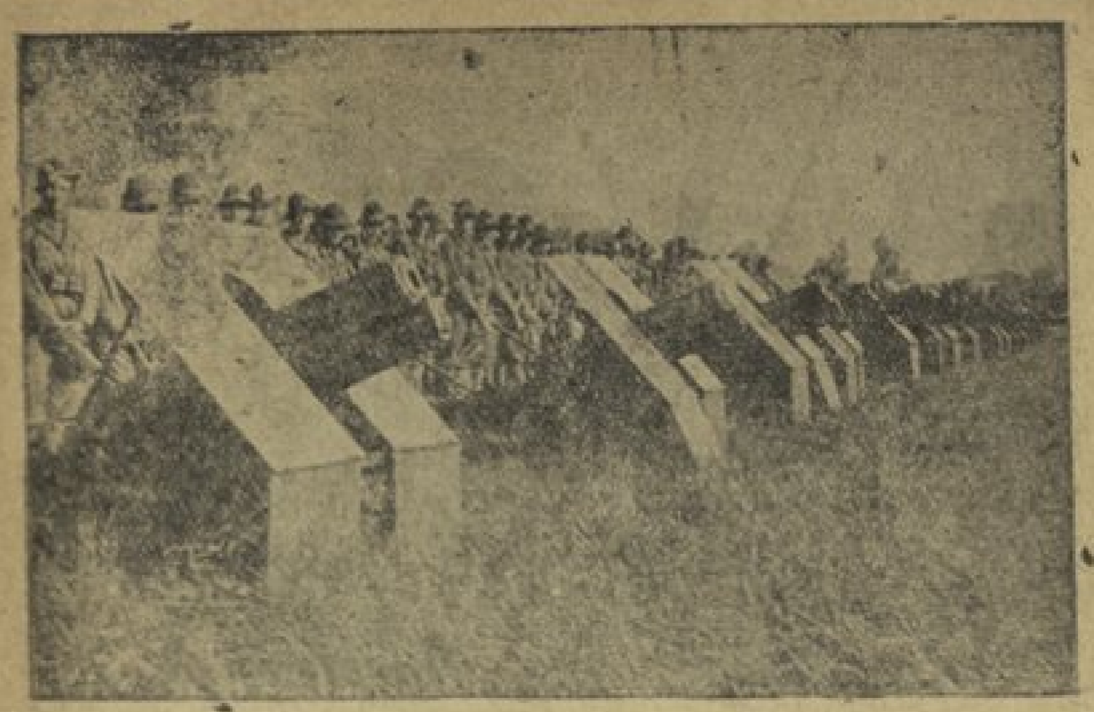
فتح الطرقات في الحبشة



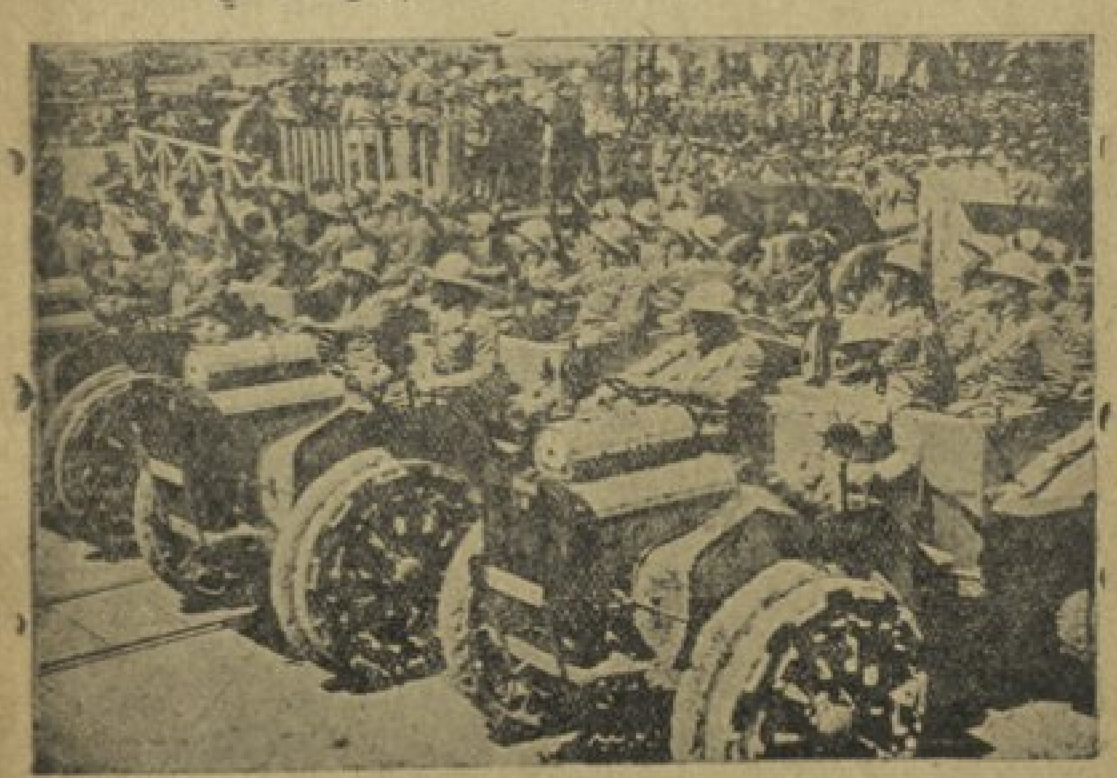
الانشاات التي كان يقوم بها الجيش الايطالي في الحبشة لاجل بناء الجسور



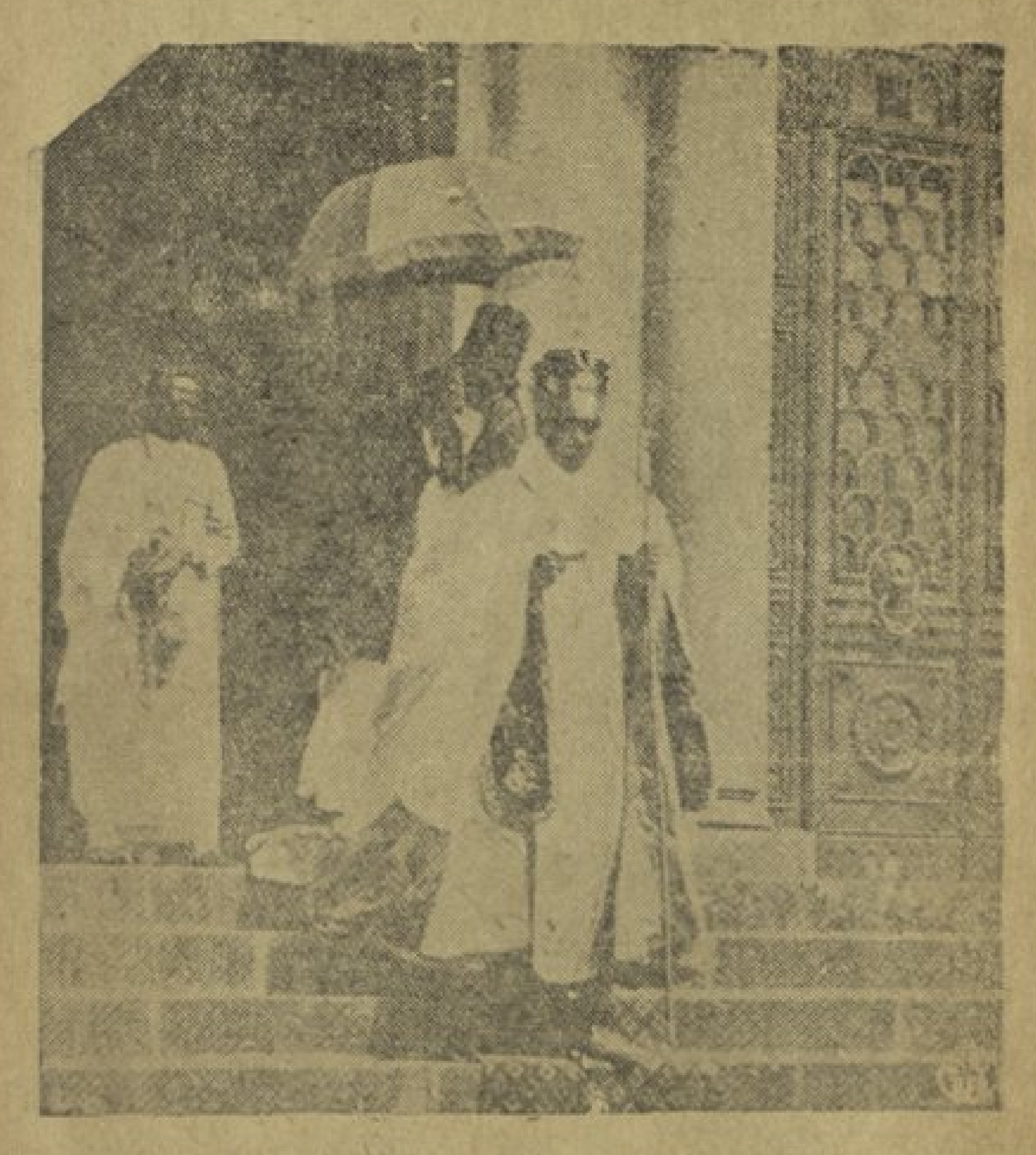
بعض الجنود الاحباش من الطراز القديم والعشائري وهم يؤلفون الكثرة في الجيش الحبشي



الوحدات المدفعية الجبلية الثقيلة للجيش الايطالي



بعض الدبابات والسيارات الحربية التي اشتركت في الحرب الحبشية



امبراطورة الحبشة نازلة من قصرها الملكي



فريق من الجنود الصوماليين في الجيش الايطالي اثناء المعارك



الذهب يبذل بسخاء في ايتاليا رداً على قرار العقوبات



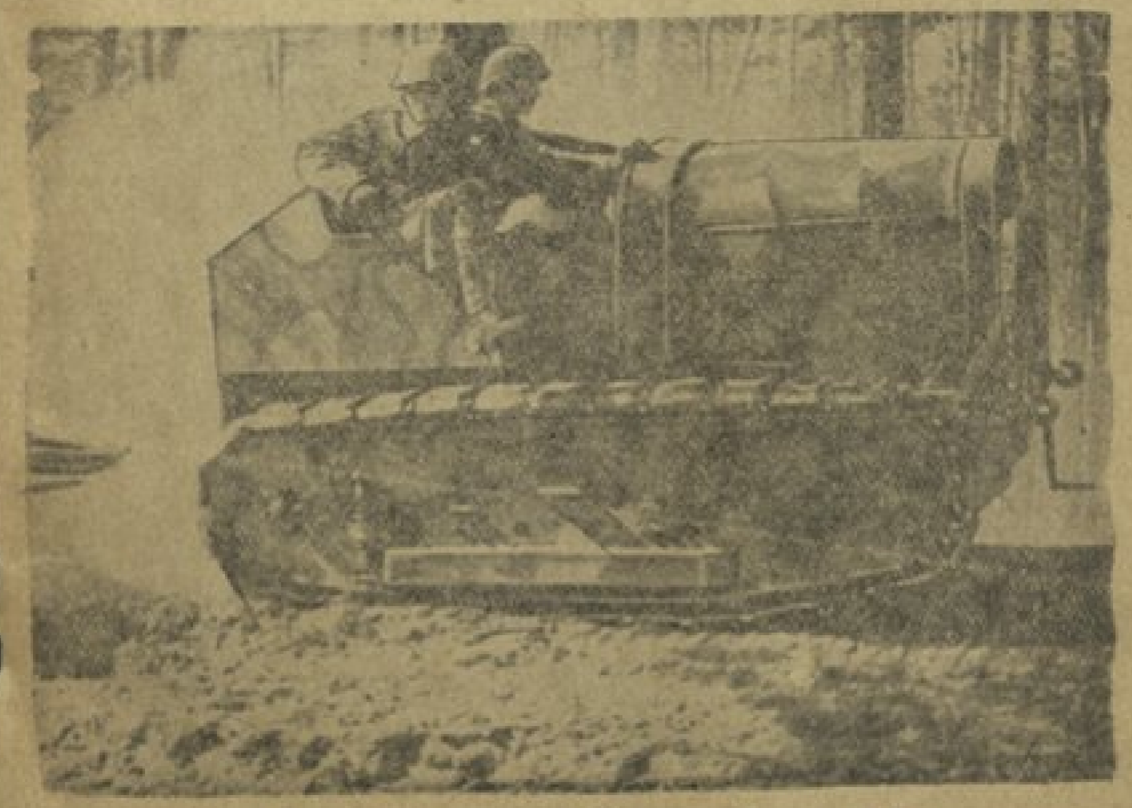
الدوك (دوسبوله‌نو) يفحص احد الرشاشات التي كانت توردها الحكومات الاوروبية الى الاحباش



ترتفع درجة الحرارة في بعض مناطق الحبشة الى ٥٠ فوق الصفر فيصاب الجنود بضربة الشمس لذلك امر النجاشي السابق بارتداء القبعات كما يرى في الصورة



فريق من زعماء الحبشة يشاهدون احد الجنود يقوم ببعض التمرينات العسكرية



دبابة خفيفة استعملت كثيرا في الساحات الحربية



منظر من مناظر استخراج المياه في صحاري الحبشة وتوزيعها على العمال الايطاليين

٣ دولار

Ce que J'ai vu dans
les Pays Musulmans

L'Ethiopie Musulmane

PRÉFACE de l'Emir Chakib Arslan

PAR
M. TAYSSIR ZABIAN KAYLANIE
PROPRIETAIRE
DU JOURNAL EL DJAZIRAH

DAMAS
1937